

شوقي أبو خليل

غزوة أحد
عاقبة المخالفة

دار الفكر

تصوير ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

عن ط ١ - ١٩٨٢ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير ، كما يمنع الاقتباس منه ، والترجمة إلى لغة أخرى ، إلا بإذن خطي من دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق

سورية - دمشق - شارع سعد الله المجابري - ص.ب (٩٦٢) - س.ت ٢٧٥٤
هاتف ٢١١-٤١ ، ٢١١١٦٦ - بريقياً : فكر - تليكس 411745 Sy FKR Tx



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْزِيَّةُ أَحَدِك
عَاقِبَةُ الْخَالِفَةِ

ما بدؤا بنبي صلي الله عليه وسلم
عرباً قط، إذ كان عربياً لله يرادهم إنساني ..
فهو نبي الرحمة .

ولكن، إذ كانت له محالة واقعة
كان رجليها للهدى .. فهو نبي الملاحمة .
لقد كان عظيماً في رحمة بالناس ،
عظيماً في استعداده للحرب ، عظيماً في
خطه ، عظيماً في تحقيق النصر
وإستتاره ..

سوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

تَصْدِيرٌ

☆ ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، إِنْ
يَمْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ
مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ
شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝

[آل عمران : ١٣٩ / ١٤٠]

هُزِمَتْ قريش ببدر ، فسارت في شوال السنة الثالثة للهجرة ،
باتجاه المدينة المنورة تريد ثأرها ، فكانت غزوة أُحُد ، وكان خطأ
الرماة الذي قرر مصير المعركة .

وفي حياة رسول الله ﷺ حدثان متميزان ، أُحُد ، وحنين .

ففي أُحُد وقع خطأ فني حربي مادي ، عندما خالف الرماة الأمر
العسكري .

وفي حنين وقع خطأ أخلاقي معنوي تربوي ، عندما قال بعض
المسلمين : « لَنْ نُغَلِبَ الْيَوْمَ عَنْ قِلَّةٍ » .

وإن كنا ندع الحديث عن حُنين إلى حينه ، فإننا نقول : في أحد ما أخطأ رسول الله ﷺ ، بل أخطأ الرماة ، في اجتهاد خاطئ ، فسببوا ماسببوا ، تركوا النص ، وهو أمر رسول الله ﷺ الذي لا يحتمل التأويل ، إلى التحليل والتأويل ؛ فوقعوا في المخالفة .

ومع ذلك لم تحقق قريش ما أرادت ، على الرغم من الخطأ الفادح المرتكب ، والذي ساق إليها النصر ، وهي المهزومة المندحرة .

فإن أرادت ثأراً لقتلها بيدر ، فقد حققت مطلباً .

وإن أرادت استعادة لهيبة أو سمعة مهدورة ، فقد حققت ذلك إلى أجل .

ولكن إن أرادت الأمر الأهم الأعظم ، ألا وهو القضاء على المسلمين ، والقضاء على رسول الله ﷺ لتسطيع فتح طريق تجارتها إلى الشام ، فهذا ما لم تستطع تحقيقه .

وفي غزوة أحد دفع المسلمون ثمن مخالفة أمر رسول الله ﷺ ، كما كشفت أحد مدى استعدادات المسلمين المادية والروحية .

في أحد منع الله عز وجل النصر عن المسلمين ، كي لاتتعلق القلوب بغير الله ، فخطأ واحد مع كل الفضائل المجتمعة ، ماحال دون العقوبة والجزاء . فكانت أحد درساً مؤثراً ، عمق الإيمان ، مع خالص الحب

والطاعة لرسول الله ﷺ ، ففازوا بكامل الإيمان ، فجاء النصر الدائم المستمر ، حتى فتح الله عليهم مكة المكرمة .

أُحَد .. امتحان واختبار ، لاليعلم الله النتيجة ، فعلمه سبحانه سابق ، الامتحان والاختبار ليعلم المسلمون أنفسهم ، فكانت أُحَد ونتائجها عملية طهارة وتركية ، وعودة إلى سلامة النفس ، وطهارة القلب .

اختبار أُحَد ليعرف المسلمون مراحل إيمانهم ، وإلى أيّة مرحلة وصلوا ، فمن أثر الآخرة على الدنيا ومغانمها ، ازداد إيماناً وعُلُوّاً ، ومن أثر الدنيا ومغانمها على الآخرة ، استدرك ، ولحق بعد أُحَد بمن أثر الآخرة على الدنيا .

وفي أُحَد كان بإمكان رسول الله ﷺ ، وبمجد إلهي ، أن يهزم قريشاً بحفنة تراب ، ولو فعل ، لبطل الجهاد ، لقول من بعده ﷺ : ونحن بحاجة إلى حفنة تراب لنهزم الأعداء ، ولا وجود لتلك اليد التي ترمي هذه الحفنة ؛ إذن .. فلا جهاد ..

أُحَد .. لبنة في استكمال بناء الشخصية الإسلامية ، وتأکید على أن الإسلام - مع الأحكام - عمل قلبي ، وتذوق وجداني ، وشعور روحي ، وطاعة تامة ، والتزام كامل لا يقبل شائبة أو مخالفة .

وبعد المخالفة ، جاء العزاء من الله سبحانه ، مع عفوه ، للمسلمين ، فكان تضيقاً للجراح ، وتبديلاً للنفوس من الوهن إلى القوة ، ومن اليأس إلى الأمل .. فانتقلوا إلى حمراء الأسد يحمل بعضهم بعضاً ، فكاننا أحياء بعد موت ، وأوجدنا بعد عدم .

إلى حمراء الأسد كي لا يظن العدو أن المسلمين قد انهزموا نفسياً ، أو مغنواً ، أو قلبياً ... ومع أنهم لا يستطيعون المشي من كثرة جراحاتهم ، حملهم إيمانهم لأبدانهم ، وحملهم يقينهم لاصحتهم وأجسامهم .

وبذلك الإيمان ، وبهذا اليقين ، ما قالوا : نحن جرحى ، فكيف المسير إلى حمراء الأسد بعد يوم واحد من غزوة أحد !! وما وقع في نفوسهم عدم صلاحهم للقتال ، وقال ﷺ : « وأن لا يخرجنَّ معنا أحدٌ إلا من حضر يومنا بالأمس » ، فرفض ﷺ بذلك الجندي سليم الجسد مريض القلب ، وقبل الجندي جريح الجسد معافي الإيمان ، صحيح القلب ، فساروا وجراحاتهم في صدورهم وليست في ظهورهم ، واستجابوا بعد أن مسهم القرع .



وعلى الرغم مما جرى في غزوة أحد ، تجلّت عظمة رسول الله ﷺ فيها :

- في قَرْضه ميدان المعركة على قريش .

- وفي إحرازه النصر سريعاً قبل مخالفة الرماة .

- وفي فكّه الطوق الذي فُرض على المسلمين ، والذي كان كافياً لإفناء جيش بكامله .

- وفي يأس قريش من القضاء على المسلمين ، بعد أن كان فناؤهم أمراً ممكناً سهلاً ، يحققه جيش أقل عدداً من جيش قريش .

لقد كان رسول الله ﷺ قائداً فذاً ، جنبَ جُنْدَه الخطر المحقق بمهارة وحنكة ، وأعاد لهم هيبته بعد يوم واحد فقط بمناورته الرائعة إلى حمراء الأسد ، فانسحب أبو سفيان ومن معه مكتفياً بصورة فوز ، وسعة انتصار ، لن ينال مثلها مطلقاً ، وسيفتح الله على نبيّه ، وسيدخل مكة ، لاليزل قريشاً ، ولالكي يحطّم كبرياءها ، لا .. فبعد أحد استغفر لقريش قائلاً : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » ، ولما أراد أبو قتادة الأنصاري التمثيل من قريش ، لما رأى من المثلة بالمسلمين ، قال ﷺ : « يا أبا قتادة إن قريشاً أهل أمانة ، من بغاهم العوثر أكبّه الله تعالى إلى فيه ، وعسى إن طالت بك مدّة أن تحقر عملك مع أعمالهم ، وفعالك مع فعالهم ، لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله » .

صلى الله عليك ياسيدي يا رسول الله ، لقد كنت رائعا في
جهادك ، ورائعا في مجال التربية والأخلاق والمحبة ..

لقد انتصرتَ على التخلف فحل التقدم .

وانتصرتَ على الذل فحلت العزة .

وانتصرتَ على الجهل فحل العلم .

وانتصرتَ على الشرك والأصنام فحلّ الإسلام والإيمان .

وانتصرتَ على القبلية والعصبية فحل التوحد والوئام والإخاء .

جئت - صلى الله عليك - فأطفأت عداوة العرب وعشائريتهم
وشتاتهم ، وأضأت نور المحبة بين القلوب ، فقامت مجتمعة للهداية
والتحريير .

اللهم اجزه عنا خير ماجزيت نبياً أذى الأمانة ، وبلغ الرسالة .

وإلى أحد .. وما فيها من أحداث ، على بركة الله ، فهو من وراء

القصد ..



شوقي أبو خليل

دمشق - سورية

ص . ب : ٦٢٢٢

دمشق : ١٤٠٢ / ٦ / ٧ هـ

الموافق : ١٩٨٢ / ٤ / ١ م

أسبابُ أحد

☆ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ،
فَيُفْنِقُوهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَرَةً
ثُمَّ يَغْلِبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْطَرُونَ ۝﴾ .

[الأُنْفَال : ٢٦]

لما أصيب من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع - بعد غزوة بدر - فلهم^(١) إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بغير التجارة ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة^(٢) ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آبائهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سفيان ، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة . وكانت تلك العير موقوفة في دار الندوة لم تعط لأربابها^(٣) ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن عمداً قد وتركم^(٤) ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على

(١) « قُلْ » الجيش : هزمه ، قُلْ فانقلْ أي كسره فانكسر ، « مختار الصحاح » ، ص ٥١٢ .

(٢) الاكتفاء ، ج ٢ ص ١٠٠ ، وفي ابن هشام : عبد بن أبي ربيعة ، ج ٣ ص ١٤ ، وهو في الطبري

« عيد الله » ، ج ٢ ص ٥٠٠ .

(٣) الروض الأنف، ج ٣ ص ١٤٨، السيرة النبوية والآثار الحمديدية، ج ٢ ص ٢٢، السيرة

الحلية ، ج ٢ ص ٢٢٩ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ٢ .

(٤) وَتَرَهُ حَقَّهُ يَتَرَهُ وَتَرَأُ : تَقَّصَهُ . « مختار الصحاح ، ص ٧٠٧ » .

حربه ، فعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا .

قال أصحاب التجارة : ونحن طيبو النفوس أن تجهزوا لذلك بربح المال . فسلّم لهم رؤوس أموالهم ، وكانت خمسين ألف دينار ، وأخرجوا أربابها - وكان الربح لكل دينار ديناراً - فأخرج لتجهيز الجيش خمسون ألف دينار^(١) . وفيهم أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ، ثُمَّ يُغْلَبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴾^(٢) .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب وأصحاب العير بأحايشها^(٣) ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد منّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأسارى فقال : إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتُها ، فامنن عليّ صلى الله عليك وسلم ؛

(١) السيرة الحلبية . ج ٢ ص ٢٢٩ ، ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٤ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٢٣ .

(٢) سورة الأنفال . الآية الكريمة : ٣٦ .

(٣) الأحايش : الجماعة أيأ كانوا . أو هم أحايش قريش . أو هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمه ، اجتمعوا عند جبل يسمى « حبشيا » ، بأسفل مكة ، فحالفوا قريشاً . « الطبري » ، ج ٢ ص ٥٠٠ ، هامش الصفحة .

فمن عليه رسول الله ﷺ . فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فاخرج معنا ، فقال : إن محمداً قد منَّ عليَّ فلا أريد أن أظاهر عليه ، قال : بلى ، فأعنا بنفسك ، فلك الله عليَّ إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي ، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، فخرج أبو عزة في تهامة ، ويدعو بني كنانة ويقول :

إيها بني عبد مناة الرزّام^(١) أنتم حماة وأبوكم حام
لاتعدوني نصركم بعد العام لاتسلموني لايحل إسلام^(٢)

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة الجحفي إلى بني مالك بن كنانة ، يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، فقال :

يامال^(٣) ، مال الحسب المقدم أنشد ذا القربي وذا التذم
من كان ذا رُحم ومن لم يرحم الحلف وسط البلد المحرم
عند حطيم الكعبة المعظم^(٤)

(١) الرزّام : من يشتون في مكانهم لا يبرحونه ، أي أنهم ثابتون في الحرب ، وفي البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٠ « أيا بني عبد مناة » .

(٢) ابن هشام ، ج ٣ ص ١٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٢٠ .

(٣) يامال : أراد يامالك فرخمه ، وذو التذم : الذي له ذمام ، والذمام العهد .

(٤) الروض الأثف ، ج ٣ ص ١٤٨ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١١ .

ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له : وحشي ، يقذف بحربة له قذف الحبشة قلماً يخطئ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق . لأن حمزة هو قاتل طعيمة في بدر ، « وقيل : إن وحشياً كان غلاماً لطعيمة وإن ابنة سيده طعيمة قالت : إن قتلت محمداً أو حمزة أو علياً في أبي فإني لأدري في القوم كفواً له غيرهم فأنت عتيق » ^(١) .

وفي بدر قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فأقبلت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ترثيهم ، وبلغها تسويم ^(٢) الخنساء هودجها في الموسم ، ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سوّمت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ، وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك . فلما أصيبت هند بما أصيبت به ، وبلغها ذلك قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوّم براية ، وشهدت الموسم بعكاظ ^(٣) . فقالت : أقرنوا جملي بجمال الخنساء ، ففعلوا . فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : مَنْ أنت

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٢٩ . الاكتفاء ، ج ٢ ص ١٠٠ .

(٢) الخيل المُسوّمة : الخيل المُعلّمة ، « مختار الصحاح » ، ص ٣٢٢ .

(٣) عَكاظُ : اسم سوق للعرب بناحية مكة ، كانوا يجتمعون بها في كل سنة ، فيقيمون شهراً يتبايعون ويتناشدون الأشعار ويتفاخرون .

يأخِيَّة ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغني أنك تعاضمين العرب بمصيبتك ، فِيمَ تعاضمينهم ؟ فقالت الخنساء : بأبي عمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو . وبِمَ تعاضمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عتبة بن ربيعة وأخي الوليد ، قالت الخنساء : أو سواء هم عندك ، ثم أنشدت تقول :

أبكي أبي عَمْرَأَ بعين غـزيرة قليل إذا نام الخلي هجودها
وصنوي لأنسى معاوية الذي له من سراة الحرتين وفودها
وصخرأومن ذامثل صخر إذا غدا بسلبه الأبطال قبا يقودها^(١)
فذلك ياهند الرزية^(٢) فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند تجيبها :

أبكي عـميد الأبطحين كليهما^(٣) وحاميهما من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي وشيبة والحامي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب وفي العزم منها حين ينمي عديدها^(٤)

وخرجت قريش بكل طاقاتها ، ومعها أحايشها ومن تابعها من

(١) السلب : الطويل من الرجال ، « لسان العرب ، ج ١ ص ٤٧٤ » .

(٢) الرُزِيَّة : المصيبة ، « مختار الصحاح ، ص ٢٤٠ » .

(٣) الأبطح والبطحاء : الرمل المنبسط على وجه الأرض ، أو كل ميل فيه دقاق الحصى فهو أبطح ، والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى ، « معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٤ » .

(٤) أعلام النساء ، ج ٥ ص ٢٤٣ .

بني كنانة وأهل تَهَامَة ، وخرجت معهم النساء التماس الحفيظة ، وألا يفروا ، فخرج أبوسفیان بن حرب - وهو قائد الناس - بهند بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأُم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بَبْرَزَة بنت مسعود بن عمر بن عمير الثقفية وهي أُم عبد الله بن صفوان بن أمية . وخرج عمرو بن العاص بِرَيْطَة بنت منبه بن الحجاج وهي أُم عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية ، وهي أُم بني طلحة : مُسَافِع والجلال وكلاب ، قتلوا يومئذهم وأبوه . وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزيز بن عمير ، وهي أُم مصعب بن عمير . وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة^(١) .

وكانت هند بنت عتبة كلما مرَّت بوحشي أو مر بها قالت :
« وَيْهَا^(٢) أبا دَسَمَة ، أَشَفِ واستشف » .

(١) ابن هشام ، ج ٢ ص ١٦ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٢٣ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٠١ .

(٢) في الطبري ، ج ٢ ص ٥٠٢ « إيه » ، وهي كلمة تقال للتحضيض . وكان وحشي يكنى بأبي دَسَمَة . الاكتفاء ، ج ٢ ص ١٠٠ ، والطبري ، ج ٢ ص ٥٠٢ ، والروض الأنف ، ج ٢ ص ١٤٨ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ٣ .

وأقبلت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، مع الأحابيش ، وفيهم مائتا فرس^(١) ، وثلاثة آلاف بعير ، وسبعائة دارع ، حتى نزلوا بعينين ، بجبل بيطن السبخة من قناة على شفير الوادي ، مقابل المدينة ، عند أحد .



أُحُد

سمي هذا الاسم لتوحدته وانقطاعه عن جبال آخر هنالك ، وقال فيه الرسول ﷺ : « هذا جبل يحبنا ونحبه ، إذا مررتم به فكلوا من شجره ، ولو من عضاهه^(٢) » ، أي نخب أهله ، وهم الأنصار في رأي ، وفي رأي آخر أنه كان يبشره إذا رآه عند القدوم من أسفاره بالقرب من أهله ولقائهم ، وذلك فعل الحب ، وقيل : بل نخبه حقيقة ، وُضِعَ الحب فيه كما وضع التسبيح في الجبال المسبحة مع داود ، وكما وضعت الخشية في الحجارة ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْهُوْا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾^(٣) .

(١) في البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٢ مع قريش مائة فرس . والثابت مائتا فرس كما في المراجع الأخرى .

(٢) العضاه : كل شجرة كبيرة عظيمة لها شوك ، والقصد الحث على عدم إهمال الأكل من شجره تبرُّكاً به .

(٣) سورة البقرة ، الآية الكريمة : ٧٢ .

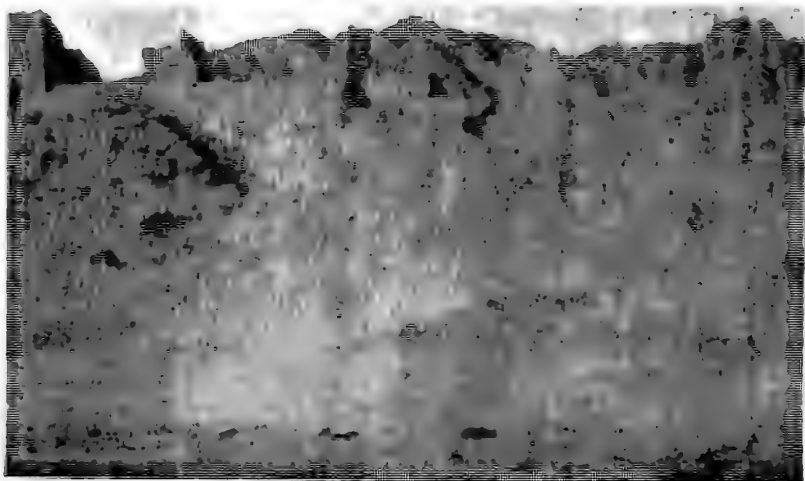
وكان ﷺ يحب الاسم الحسن ، ولأحسن من اسم مشتق من الأحديّة ، وقد سُمّي الجبل بهذا الاسم ، تقدمة - لما أراده سبحانه - من مشكلة اسمه ومعناه ، إذ أهله وهم الأنصار نصروا التوحيد ، والمبعوث بدين التوحيد ، عنده استقرار حياً وميتاً ، وكان من عادته عليه الصلاة والسلام أن يستعمل الوتر ويحبّه في شأنه كله استشعاراً للأحديّة ، فقد وافق اسم هذا الجبل أغراضه عليه السلام ومقاصده في الأسماء ، فقد بدّل كثيراً من الأسماء استقباحاً لها من أسماء البقاع وأسماء الناس ، وذلك لايحصى كثرة ، فاسم هذا الجبل من أوفق الأسماء له ، لأنه مشتق من الأحديّة^(١) .

وأحد على بعد ميل أو ثلاثة أميال من المدينة^(٢) .

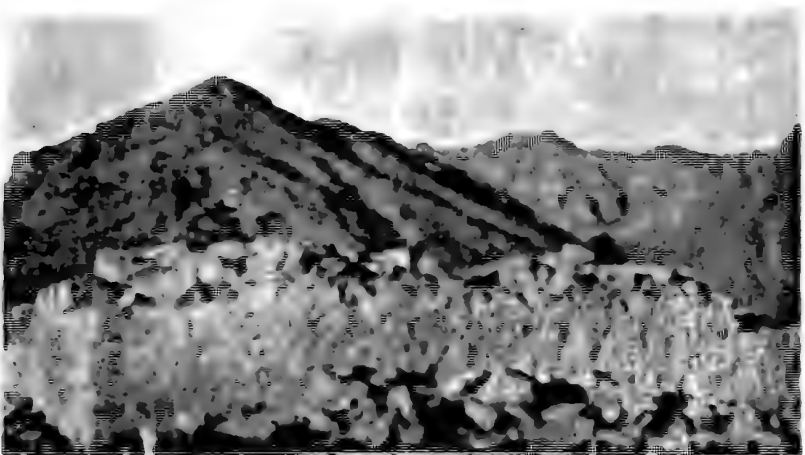


(١) الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٥٨ و ١٥٩ .

(٢) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٨٨ .



جبل الرماة



صورة توضح مكان انسحاب المسلمين بعد مخالفة الرماة

حيث التفوا حول رسول الله ﷺ يقدونه بحياتهم

الموقف في المدينة المنورة

☆ ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ
رَبُّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ .

[آل عمران : ١٤٦]

بلغ رسول الله ﷺ أمر قريش ونزولها قرب أحد ، وذلك من رسالة أرسلها العباس^(١) مع رجل استأجره من بني غفار ، وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ، ففعل كذلك . فلما جاءه ﷺ الكتاب فكّ ختمه ، ودفعه لأبي بن كعب فقرأه عليه ، واستكتم النبي ﷺ أيباً ، ونزل على سعد بن الربيع^(٢) فأخبره بكتاب العباس واستكتمه أيضاً ، فلما خرج رسول الله ﷺ من عند سعد ، قالت له امرأته : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ .

فقال سعد بن الربيع : لأأمّ لك ، ومأنت وذاك ؟ !

فقالت : قد سمعت ما قال ، وأخبرته بما قال له رسول الله ﷺ ،

(١) العباس عم النبي ﷺ مسلم يكتّم ويغفي إسلامه في مكة ، فكان عيناً على المشركين ، يبعث بأخبارهم من مكة للنبي ﷺ ، ولولا رسالة العباس لأطبق المشركون على المدينة في غفلة من أهلها .

(٢) سعد بن الربيع ، شهد العقبة الأولى والثانية ، كان نقيب بني الحارث بن الخزرج ، هو وعبد الله بن رواحة ، استشهد يوم أحد ، « أسد الغابة » ج ٢ ص ٣٤٨ .

فاسترجع ، وأخذ بيدها ولحق برسول الله ﷺ فأخبره خبرها ، وقال :
يا رسول الله إني خفت أن يفشوا الخبر فترى أني أنا المفشي له وقد
استكمتني إياه . فقال له ﷺ : خَلَّ عنها^(١) . وهنا تتجلى أمانة سعد
لسر رسول الله ﷺ ، وحرصه على ألا تتغير ثقة رسول الله ﷺ به
ونظرته إليه ، إذا ذاع الخبر .

وقال رسول الله ﷺ لكبار الصحابة : « إني قد رأيت والله
خيراً ، رأيت بقرأ لي تذبح ، ورأيت في ذباب^(٢) سيفي ثلماً ، ورأيت
أنني أدخلت يدي في درع حصينة ، وأنني مردف كبشاً^(٣) » .

وقال ﷺ : « فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقْتَلُونَ ، وأما
الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي ، فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، وأما
الكبش فإني أَقْتُلُ كبش القوم^(٤) . وأول ﷺ الدرع الحصينة بالمدينة
المنورة » .

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٢٠ .

(٢) ذباب اليف : حدُّ طرفه الذي بين شفرتيه ، « لسان العرب ، ج ١ ص ٢٨٢ » .

(٣) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٠ ، ابن هشام ، ج ٢ ص ١٦ ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١٠٢ ،

السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٢١ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ٢ .

(٤) وفي رواية : « وأولت الكبش بأني أقتل صاحب الكتيبة » ، وقد صدق الله رؤياه ، فكان
الرجل الذي هو من أهل بيته حمزة سيد الشهداء ، وقُتِل طلحة بن عثان صاحب لواء المشركين ،
فهو صاحب الكتيبة ، وكبش القوم : سيِّدُهم . « السيرة النبوية والآثار الحمديّة ،
ج ٢ ص ٢٥ » .

ثم قال ﷺ : « فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها » .

وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ، يرى رأييه في ذلك ، وألاً يخرج إليهم ، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين لم يحضروا بدرأ : يارسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبناً عنهم وضعفنا ، فيكون ذلك جراءة منهم علينا ، والله لانطمع العرب في أن تدخل علينا منازلنا ، وفي لفظ ، قالت الأنصار : يارسول الله ما غلبنا عدولنا أتاناً في دارنا - أي في ناحية من نواحيها - فكيف وأنت فينا ؟! ووافقهم على ذلك حمزة رضي الله عنه ^(١) . فقال عبد الله بن أبي بن سلول ^(٢) : يارسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدولنا قط إلا أصاب منا ، ولادخلها علينا إلا أصبنا منه . فدعهم يارسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ،

(١) وما قاله حمزة : « والذي أنزل عليك الكتاب لأطعم طعاماً حتى أجالدم بسيفي خارج المدينة » ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٣١ .

(٢) دعاه رسول الله ﷺ - ولم يدعه قط قبلها - فاستشاره ، وفي الطبري (٢ / ٥٠٣) قال ابن أبي بن سلول : اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب ، وهذا لا يناسب ما سيأتي عند رجوعه ، وقوله : خالفني ، أطاعهم وعصاني .

ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا .

وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة ، فيقاتلوا في الأزقة ، فأتاه النعمان بن مالك الأنصاري ، فقال : يا رسول الله لا تحرمني الجنة ، فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة ، فقال له : بيم ؟ قال : بأني أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله ، وأني لأفر من الزحف ، قال ﷺ : صدقت ، فقتل يومئذ^(١) .

ولم يزل الناس برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل ﷺ بيته ، فلبس لأمته^(٢) ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ، وأخبرهم أن لهم النصرة ماصبروا ، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ، ففرح الناس في بادئ الأمر ، ولكن سعد بن معاذ وأسيد بن حضير قالوا : استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج ، ولم يكن لنا ذلك ، فردوا الأمر إليه ، ويلاحظ أن عامة من أشار عليه ﷺ بالخروج ، رجال لم يشهدوا بدرأ ، وقد علموا الذي سبق لأصحاب بدر من الفضل والخير والمكانة . فقالوا : يا رسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى

(١) الطبري ، ج ٢ ص ٥٠٣ .

(٢) لأمته : درعه ، وقد يسمى السلاح كله لأمة .

الله عليك^(١) . فقال رسول الله ﷺ : « ما ينبغي لنبي إذا لبس لأُمته أن يضعها حتى يقاتل » ، فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس ، منهم مائة دارع ، مع فرس لرسول الله ﷺ اسمه « السكب » ، وفرس لأبي بردة . وعقد ﷺ لواء الأوس وجعله بيد أسيد بن حضير ، ولواء للخزرج وجعله بيد الحباب بن المنذر « أوسع بن عبادة » ، ولواء للمهاجرين جعله مع علي بن أبي طالب ، ثم دفعه إلى مصعب بن عمير^(٢) كما سئرى .



انخزال المسافعين

وفي منتصف المسافة بين المدينة وأحد ، انخزل عن النبي ﷺ عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الجيش ، وجعل تبريراً لحياتته فقال :

(١) جاء في السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٢٥ : « قالوا : يا رسول الله امكث كما أمرتنا ، فقال : ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب ، وأذن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأيتيم إلا الخروج ، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو ، وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا » .

(٢) جاء في تاريخ خليفة بن خياط العصفري ، ج ١ ص ٢٩ : الراية مرط أسود من مراحل كان لعائشة ، وراية الأنصار يقال لها العقاب . ولحملة الرايات ، راجع السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٢٢ . وقال ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٤ : « وكان مع المسلمين خمسون فارساً » !!! ولم يورد ذلك غيره ، وهذا خطأ .

أطاعهم وعصافي ، ماندري عَلَامَ تقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ، فرجع
 بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن
 عمرو بن حرام أخو بني سلمة ، وهو في الخزرج كعبد الله بن أبي بن
 سلول ، يقول : يا قوم ، أذكركم الله ألا تأخذلوا قومكم ونبىكم عندما حضر
 من عدوهم ، فقالوا : لو نعلم أنكم تقتاتلون لما أسلمناكم ، ولكننا لانرى أنه
 يكون قتال ، ولما استعصوا عليه ، وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال :
 أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيّه ^(١) .

لقد كان رأي عبد الله بن أبي بن سلول أن لا يخرج ، فظاهر القول
 سليم ، ولكن باطنه : لا يريد القتال ، بدليل تراجعته بثلاث الجيش ،
 وهذا الانسحاب قبيل المعركة ، يضعف معنويات المقاتلين .

وموقف عبد الله بن أبي بن سلول يتضح سببه الحقيقي في قول
 سعد : ارفق به يا رسول الله ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لننظم له
 الخرز لنتوجه .

وقال الأنصار يوم أحد لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ألا نستعين
 بحلفائنا من اليهود ؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم ، وهذا أمر طبيعي ،
 فشعورهم كما مر معنا بعد غزوة بدر الكبرى كان مع قريش .

(١) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٩ ، والطبري ، ج ٢ ص ٥٠٤ ، والسيرة النبوية ، ج ٢ ص ١٧ ،
 والكمال في التاريخ ، ج ٢ ص ١٠٣ .

ومضى ﷺ حتى سلك في حرّة^(١) بني حارثة ، فذب فرسه بذنبه ، فأصاب كُلاب سيف^(٢) فاستله ، فقال رسول الله ﷺ ، وكان يحب الفأل ولا يعتاف^(٣) لصاحب السيف : شم سيفك^(٤) ، فإني أرى السيوف ستسل اليوم^(٥) .



مربعُ المنافق

وسأل رسول الله ﷺ أصحابه : مَنْ رجل يخرج بنا على القوم من كُثب^(٦) ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فنفذ به في حرّة بني حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك في مال لمربع بن قيطي الحارثي ، وكان رجلاً منافقاً ضير البصر ، فلما سمع حسّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ، قام يحثي في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله

(١) الحرّة : الأرض ذات الحجارة السود النخرة ، وأكثر هذه الحرّات توجد حول المدينة المنورة ، وتسمى مضافة إلى أماكنها .

(٢) كُلاب السيف : هي الحديد العفاء ، وهي التي تلي الغمد ، وقيل : مسار في قائم السيف ، « الروض الأنف » .

(٣) اعتاف : تَطَيَّر .

(٤) شم سيفك : اغمده .

(٥) الطبري ، ج ٢ ص ٥٠٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ١٨ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٢٨ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٤ .

(٦) أي من قرب .

فإني لا أحلّ لك أن تدخل حائطي^(١) ، وأخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر^(٢) . وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل قبل نهي رسول الله ﷺ عنه ، فضربه بالقوس في رأسه فشجّه .

وغضب له ناس من بني حارثة ، كانوا على مثل رأيه ، أي منافقين لم يرجعوا مع من رجع مع عبد الله بن أبي بن سلول ، فهم بهم أسيد بن حضير حتى أوماً إليه رسول الله ﷺ بترك ذلك .
وهنا نقول :

إن قاعدة فقهية تقول : درء المفسد أولى من جلب المنافع .

إذا وُجدَ ضرر عام سيحل في الأمة كلها ، وهو هنا خطر العدو المهاجم للمدينة المنورة ، فإن فوات بعض المصلحة من فرد واحد ، أو أكثر ، يقدم عليها الصالح العام على الصالح الخاص .

(١) الحائط : واحد الحيطان وحِوط كَرَّمه تحويطاً : بني حوله حائطاً فهو كَرَّم مُحَوَّط . مختار الصحاح ، ص ١٦٢ ، والمراد هنا : بستانه أو كَرَّمه .

(٢) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠١ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٠٦ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٤ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ١٧ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٣٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٢٨ .

لقد حقق ﷺ بعبوره السريع باتجاه أُحُد عبر حائط مربع المنافق
أهدافاً هامة :

١ - لم تر قريش عدد قواته ، فلو مَرَّ بهم عن قرب ، لعرفوا
إمكانات المسلمين ، وكشفوا قلة عددهم .. وبصورة عامة ، لعرفت
قريش ما لا يجب أن يعرفوا .

٢ - حقق رسول الله ﷺ الوصول من أقرب طريق ، فوصل
المسلمون إلى أُحُد في غاية السرعة ، مع تمام الراحة الجسمية أيضاً .

٣ - وكَسَبُ الزمن شيء هام عظيم في الحروب ، لقد وصل ﷺ
ليضع خطته الحربية حسب طبيعة الأرض ، مع أخذ المكان المناسب
التحصين ، والذي يتلاءم مع قلة عدد المسلمين وكثرة عدد عدوهم .

والنبي ﷺ لما مرَّ ومن معه في أرض مربع بن قبيصة المنافق ، لم
يخربوا شيئاً ، ولم يخسر ابن قبيصة من أرضه أو ثمره شيئاً ، مما يدل على
نفاقه وحبه تأخير المسلمين ، وسلوكهم طريقاً طويلاً ، مما يضيع على
المسلمين الفرصة والزمن ، فيتحقق ما يريده المنافقون ، انهزام المسلمين
وانكسارهم ، وسيظهرون شمتهم - في المدينة وما حولها - بعد أُحُد .

المسلمون بأحد

☆ « إِنَّا لَن نَزَالُ غَالِبِينَ مَا تُثْبِتُمْ

مَكَانَكُمْ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ عَلَيْهِمْ » .

« مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » .

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشَّعْبَ من أُحُدٍ في عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحُدٍ ، واستقبل المدينة ، وأجاز ﷺ يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ، ورافع بن خديج أخا بني حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد رَدَّها ، فقبل : يا رسول الله ، إِنَّ رافعاً رَامَ فَأَجَازَهُ ، فلما أجاز رافعاً قيل له : يا رسول الله فَإِنْ سمرة يصرع رافعاً ، فَأَجَازَهُ .

ورد ﷺ أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وعمر بن حزم ، وأسيد بن ظهير ، وعرابة بن أوس بن قبيصة ، وهو الذي يقول فيه الشماخ :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مَنْقَطَعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَةَ رُفِعَتْ لِحْجِدُ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ^(١)

ومن المستصغرين يوم أُحُدٍ سعد بن حبة^(٢) ، رَدَّ رسول الله ﷺ

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٢) سعد بن حبة عُرِفَ بأمه ، وهي حبة بنت مالك الأنصارية ، وهو : سعد بن بجير .

لصغرسنه ، فلما كان يوم الخندق رآه يقاتل قتالاً شديداً ، فدعاه ومسح على رأسه ، ودعاه بالبركة في ولده ونسله : فكان عمّاً لأربعين ، وخالاً لأربعين ، وأباً لعشرين ، ومن ولده أبو يوسف صاحب أبي حنيفة ، وقاضي قضاة هارون الرشيد .

فما فرغ ﷺ من استعراض جنده ، إلا وقد غابت الشمس ، فأذن بلال بالمغرب ، صلى رسول الله ﷺ بأصحابه ، ثم أذن بالعشاء فصلي بهم ، وبات واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً يطوفون بالعسكر ، ونام رسول الله ﷺ وذكوان بن عبد قيس يحرسه لم يفارقه .

وفي صباح السبت ١٥ من شوال سنة ٢ للهجرة ، أذن بلال للصبح ، صلى رسول الله ﷺ بأصحابه صفوفاً ، وخطب خطبة حثهم فيها على الجهاد ، وقال : لا يقاتلن أحدٌ منكم حتى نأمره بالقتال ، وسرّحت قریش الظهر والكراع^(١) في زروع كانت بالصُّمغة^(٢) من قناة للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أترعى زروع بني قيلة^(٣) ولما نضارب ؟! وهذا يحدث في

(١) الظهر : الإبل ، والكراع : الخيل .

(٢) الصُّمغة : مكان قرب أحد .

(٣) قيلة : أم الأوس والخزرج ، وينسبون إليها .

بعض المواقف بين القائد وجنده ، منهم من ينطق به ، ومنهم من يبقيه
 يحول في خاطره ، ويثبت الزمن والمستقبل ، بعد نظر القائد ،
 ونظرته الشاملة ، وقصر نظر الجندي الذي لم يطلع على أبعاد خطة
 القائد وعلى كل جوانبها وأهدافها ، فنظرة القائد أعمق وأشمل وأعم ،
 وبخاصة هنا وأنه رسول الله !! وأنه ﷺ لم يعبى جنده حسب طبيعة
 الموقع ، ولم يتواجد الجند على ميدان المعركة حسب الخطة التي أعدها ،
 فكيف يقاتل والحالة هذه ، ولو رعت الأنعام الزروع !!؟

وتعبى رسول الله ﷺ للقتال ، وهو في سبعمائة رجل على
 التشكيل التالي :

- على المينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
- وعلى الميسرة المقداد بن عمرو الساعدي رضي الله عنه .
- وعلى القلب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .
- وجعل الزبير بن العوام على رجال قبالة خالد بن الوليد ، وقال
 له : « كن يازائه » .

- وعلى الرماة عبد الله بن جبير أخو بني عمرو بن عوف وهو معلّم
 يومئذ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً^(١) ، وقال ﷺ :

(١) الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١٠٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٢٩ ، البداية

انضح^(١) الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ،
فأثبت مكانك لا نُؤتِين من قبلك ، الزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، فإذا
رأيتونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن
رأيتونا تُقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا ، وارشقوهم بالنبل فإن الخيل
لا تقدم على النبل ، إنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم ، اللهم إني
أشهدك عليهم ، احوا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا ، إن رأيتونا
تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، وإن
رأيتونا هزَمنا القوم وأوطأناهم^(٢) فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، إن
رأيتونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتونا قد غمنا فلا تشركونا ،
اللهم إني أشهدك عليهم^(٣) .



والنهاية ، ج ٤ ص ١٤ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ١٨ . وتمركز الرماة في جبل عينين ، السُمى
بجبل الرماة اليوم ، ويقع جنوب غرب معسكر المسلمين ، على ضفة الوادي الجنوبية ، على بعد
مائة وخمسين متراً عن مقر القيادة .

(١) انضح : ادفع .

(٢) أوطأناهم : مشينا عليهم وهم قتلى .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط العصفري ، ج ١ ص ٢٩ . والكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١٠٥ ،
والسيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٢٩ ، والبداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٤ ، وابن هشام ،
ج ٢ ص ١٨ ، والسيرة النبوية والآثار الحمديدية . ج ٢ ص ٢٥ ، والسيرة الحلبسية ،
ج ٢ ص ٢٣٥ .

وتعبأت قريش بقيادة أبي سفيان وهم ثلاثة آلاف رجل ،
وسبعمائة درع ، ومئتا فرس قد جنبوها^(١) ، وجعلوا على مينة الخيل
خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وعلى المشاة
صفوان بن أمية ، أو عمرو بن العاص .

ومن الملاحظ قبيل معركة أُحُد ، أن رسول الله ﷺ قبيل بدر
أكَّد النصر ، وقرَّر النتيجة قبل وقوعها :

١ - « سيروا على بركة الله وأبشروا فإنَّ الله قد وعدني إحدى
الطائفتين »^(٢) ، والقافلة وصلت مكة ، فلم يبقَ إلا النصر في المعركة .

٢ - « والله لكانني الآن أنظر إلى مصارع القوم ، هذا مصرع
فلان »^(٣) ، يضع يده على الأرض ههنا ، وههنا ، فما أناط أحدهم عن
موضع يده الشريفه ﷺ .

٣ - ولما أشار سعد بن معاذ رضي الله عنه ببناء العريش ، وأعدَّ
الركائب ليعود الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ، إن لم يتحقَّق النصر ،
قال رسول الله : « أو يقضي الله لك خيراً من ذلك يا سعد »^(٤) ، أي
النصر والظهور على قريش .

(١) أي جعلوها إلى جانبهم ليستعملوها عند الحاجة .

(٢) ابن هشام ، ج ٢ ص ١٨٨ ، والطبري ، ج ٢ ص ٤٢٤ ، والبداية والنهاية ، ج ٣ ص ٢٦٢ .

(٣) البداية والنهاية ، ج ٣ ص ٢٦٣ ، الطبري ، ج ٢ ص ٤٤١ .

(٤) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ١ ص ٤٣٤ .

٤ - وفي العريش ، قال رسول الله ﷺ : « اللهم فنصرك الذي وعدتني » ، حتى أنه ﷺ طلب من الله بعض رؤوس الكفر بأسمائهم : « اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأمة ، وزمعة بن الأسود .. » .

بينما كان رسول الله ﷺ قبل أحد يحذر :

١ - رؤيا رسول الله ﷺ في المدينة :

أ - رأيت بقرأ لي يذبح ، فهي ناس من أصحابي يقتلون .
ب - رأيت في ذباب سيفي ثلماً ، فهو رجل من أهل بيتي يُقتل .
ج - ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، فأولتها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم ...

٢ - وفي الطريق إلى أحد : « شم سيفك فياني أرى السيوف ستسل اليوم » .

٣ - وحذر ﷺ أمير الرماة ومن معه ، من أمر كأنه يراه :

أ - « لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك » .

ب - « لا تبرحوا .. فإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا » .

ج - « إنا لن نزال غالبين ما مكثتم - أو ما ثبتم - مكانكم .. إن رأيتونا تحطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم .. إن رأيتونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتونا قد غمنا فلا تشركونا ، اللهم إني أشهدك عليهم » .

فقبل أحد ، كان النبي ﷺ يحذر من أمر كأنه يلوح بين ناظريه ، يحذر من المخالفة ، وسرى عاقبتها !!

سؤال يعرض لنا قبل البدء بأحداث أحد :

لماذا لم يختار أبو سفيان ، وبالتالي قريش ، الموقع الاستراتيجي من أرض المعركة ، على الرغم من وصولهم إلى موقع أحد قبل المسلمين ؟!
إجابة من الإجابات الخمس التالية كافية جواباً لهذا السؤال ، وقد تكون مجمعة الجواب الكامل :

١ - ضيق الأفق العسكري عند أبي سفيان وقريش ، فالعرب في الجاهلية ، لم يخوضوا معارك كبيرة منظمّة ، فيها خطط حربية مدروسة .

٢ - ولعل قريشاً ما أرادت حصر نفسها في مساحة قليلة صغيرة ضيقة ، وهم ثلاثة آلاف مع خيلهم وإبلهم ونسائهم .

٣ - ولعل القرشيين لم يقدّروا سير الأحداث القادمة ، ولا أين من

الممكن أن يتركز رسول الله ﷺ ، وما ظنوا أنه لن يمر عليهم ليتجاوزهم إلى شعبٍ معين ، فيجعل ظهره إلى الجبل ، ووجهه قبالة المدينة المنورة .

٤ - ولعلمهم فكّروا بالفرار عند الحاجة ، بعد أن ذاقوا مرارة الهزيمة المنكرة ببدر ، فهم في منبسط من الأرض متصل بطريق القوافل العام الموصل إلى مكة .

٥ - لقد فرض رسول الله ﷺ موقع المعركة وميدانها على القرشيين ، فاختار المكان الأنسب الذي يلائم قلة عدد جنده ، مما يعطيه الفعالية ، ويشل حركة جيش المشركين ، وبخاصة فرسانهم ، وتمّ له ﷺ ذلك كما أراده .



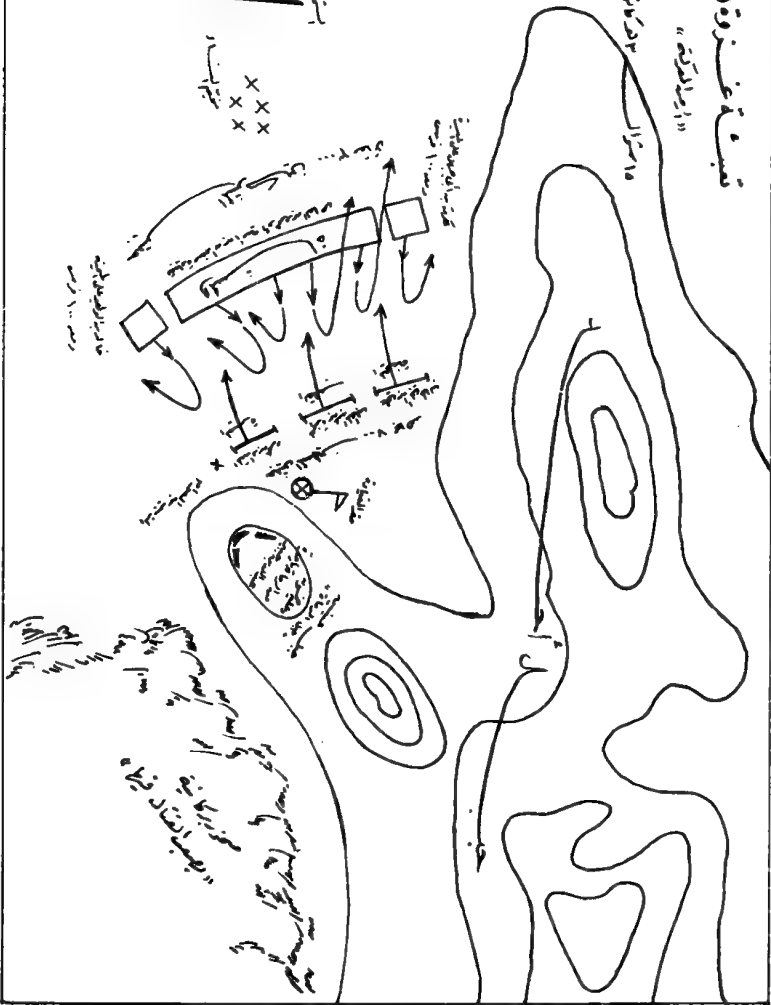
نقشه قه غنر و قه احد

«ایستادگانه»

۱۵ اسیران ۳۰۰ مرد و ۱۰۰ زن و ۱۰۰۰ گاو



۳۰۰ مرد و ۱۰۰ زن و ۱۰۰۰ گاو



غزوة أحد

البت ١٥ منه شوال ٥٣ هـ

☆ ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ
إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ
مَا أَرَاكُمْ مَا تَحِبُّونَ ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ
الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ، ثُمَّ
صَرَفْنَا عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ، وَلَقَدْ عَفَا
عَنْكُمْ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[آل عمران : ١٥٢]

أبودجانة سمالك بن خرسة :

أخرج رسول الله ﷺ سيفاً ، جاء في السيرة الحلبية^(١) ، « وكان
مكتوباً في إحدى صفحاته :

في الجبن عار وفي الإقبال مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر »
وقال ﷺ : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال ،
فأمسكه عنهم ، ومن جلتهم علي رضي الله عنه ، قام ليأخذه ، فقال :
اجلس ، وعمر رضي الله عنه ، فأعرض عنه ، والزبير رضي الله عنه

(١) ج ٢ ص ٢٣٥ .

طلبه ثلاث مرات ، ورسول الله ﷺ يعرض عنه ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة ، فقال : وماحقه يارسول الله ؟

قال ﷺ : أن تضرب به العدو حتى ينحني .

فقال أبو دجانة : أنا أخذه يارسول الله بحقه ، فأعطاه إياه .

وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يخال^(١) عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أراد القتال ، يُخرج عصابة حمراء ، يُعلم بها عند الحرب يعتصب بها ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ، ثم جعل يتبخر بين الصفين ، فقال ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبخر : إنها لمِشِيَةٌ يَبْغُضُهَا اللهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ^(٢) .

☆ ☆ ☆

أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ :

عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان ، من الأوس ، وكان عبد الله بن أبي بن سلول من الخزرج ، وهما من رؤوس أهل المدينة ،

(١) أي يمشي مشية التكبر .

(٢) لأن فيها عدم الاكتراث بالعدو . الطبري ، ج ٢ ص ٥١١ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٣٠ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٥ . وإعطاء السيف لأبي دجانة لا يعني أنه أفضل من علي وعمر والزبير ، ولكنها خصوصية لأبي دجانة ، لإظهار شأن الأنصار وفضلهم ، وحب رسول الله ﷺ لهم ، وهم أهل لهذا الحب ، ولتقدير رسول الله .

وعظماؤها المتوجهين للرياسة على أهلها ، فعبد الله بن أبي أظهر الإسلام نفاقاً ، وأما أبو عامر فأصرَّ على الكفر ، إلى أن مات طريداً وحيداً في بلاد الشام .

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة خرج أبو عامر إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، وفي رواية : كانوا خمسة عشر رجلاً ، وكان يعد قريشاً أن لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يامعشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يافاسق ، وكان أبو عامر يُسمى في الجاهلية الراهب ، فسمَّاه رسول الله ﷺ : الفاسق . فلما سمع ردَّهم عليه قال : أصاب قومي بعدي شر ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم^(١) بالحجارة^(٢) .

لقد كان أبو عامر من الرهبان ، وعلى هؤلاء وعلى الأخبار أخذ الله الميثاق على لسان أنبيائهم بأنَّه إذا ظهر النبي العربي أن يؤمنوا به ، وأن يدعوا الناس إلى الإيمان به ، وكانوا قبل ظهوره يبشرون به ،

(١) راضخهم : رامهم .

(٢) البيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٣ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥١٢ ، البيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٣٢ ، الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٥١ .

ويذكرون أوصافه ، والبركات والخيرات وانتشار الإيمان ، وإيادة الأصنام عند ظهوره . فلما ظهر وبعث وأرسل ، كانوا أول الأعداء له ، ونبذوا ميثاق الله الذي أخذه عليهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، ونظروا بعين المصلحة الدنيوية ، فخيّل إليهم أنهم إذا اعترفوا بنبوته سيحرمون المنافع المادية التي كانوا يأخذونها من أتباعهم ، ورأوا أنهم سيخسرون زعامتهم ، فآثروا المنفعة الدنيوية العاجلة على ميثاق الله الذي أخذه على أنبيائهم وعليهم ، وآثروا دنياهم على آخرتهم^(١) ، والعاجل على الآجل ، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾^(٢) .

كتموا الحق ، وأخفوا الحقيقة .. وكان ما يجب أن يفعلوه الوفاء بالميثاق ، وأن يبشّروا بالنبي المنتظر ، ويؤمنوا به ، فلم يفعلوا ذلك ، وأحبوا أن يحمّدوا وعملوا عكس ما يجب أن يفعلوا : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣) .

(١) مع أن دنياهم لن تضيع ، وسينعمون بعز الإيمان ، ورفاه الإسلام .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٨٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٨٨ .

أَبُوسَفْيَانَ وَامْرَأَتُهُ يُحَرِّضَانِ قُرَيْشًا :

قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخللوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ؟! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ، وهذا ما أرادته أبو سفيان .

ونادى أبو سفيان : يامعشر الأوس والخزرج ، خللوا بيننا وبين بني عمنّا ونصرف عنكم ، فجاء الجواب حاسماً قاسياً ، لأن أبا سفيان فاته أن رابطة العقيدة وحّدت بين رسول الله ﷺ وبين الأنصار ، وفرّقت بين رسول الله ﷺ وبين أبناء عمه الوثنيين ، لذلك شتمه الأنصار أقبح شتم ، ولعنوه أشد اللعن ^(١) .

وخرج رجل من المشركين على بعير له ، فدعا للبراز ، فأحجم عنه الناس ، حتى دعا ثلاثاً ، فقام إليه الزبير بن العوام ، فوثب حتى استوى معه على البعير ، ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير ، فقال رسول الله ﷺ : الذي يلي حضيض الأرض مقتول ، فوقع المشرك ، فوقع عليه

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٣٥ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٢٢ ، الطبري ،

ج ٢ ص ٥١٢ .

الزبير فذبحه ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ ، وقال : « لكل نبي حوارى ^(١) ، وإن حوارى الزبير » ، وقال ﷺ : « لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه » ؛ لما رأى من إحجام الناس عنه ^(٢) .

وخرج طلحة بن أبي طلحة ^(٣) ، وطلب المبارزة مراراً ، فلم يخرج إليه أحد ، فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة ، وأن قتلانا إلى النار ، يا أصحاب محمد ، إنكم تزعمون أن الله تعالى يعجلنا بسيوفكم إلى النار ، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة ، فهل أحد منكم يعجلني بسيفه إلى النار ؟ أو أعجله بسيفي إلى الجنة ؟ ! كذبتهم واللات والعزى ، لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليّ بعضكم ، فخرج إليه علي بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين ، فقتله علي رضي الله عنه .

وفي رواية : التقيا بين الصّفين ، فبدره علي فصرعه وقطع رجله ^(٤) ، ووقع على الأرض ، وبدت عورته ، فقال طلحة : يا بن عمي

(١) حوارى : أي ناصر ، راجع كتاب دول الإسلام ، ج ١ ص ١٧ ، طبع دائرة المعارف ، حيدر آباد ، سنة ١٣٣٧ هـ ، والكتاب للحافظ شمس الدين أبي عبد الله ، المتوفى سنة ٧٤٦ هـ .

(٢) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٣) واسمه أبي طلحة عبد الله بن عثمان بن عبد الدار ، وكان بيده لواء المشركين ، لأن بني عبد الدار كانوا أصحاب لواء المشركين ، لأن اللواء كان لوالدهم عبد الدار كما تقدم .

(٤) وفي رواية : تقدم علي وهو يقول : أنا أبو القُصم ، أي أبو المعضلات القصم والدواهي العظم . وقيل : « أبو القُصم » ، وفي التنزيل : ﴿ وَكَمْ قَصْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ ، وفيه : ﴿ لَا أَنْقِصُهَا ﴾ ، ابن هشام ، ج ٢ ص ٢٢ .

أنشدك الله والرَّحْم ، فرجع علي عنه ولم يجهز عليه ، فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟! فقال علي رضي الله عنه : إنه استقبلني بعورته ، فعطفتني عليه الرَّحْم ، وعرفت أن الله قد قتله . وسأله رسول الله ﷺ : مامنك أن تجهز عليه ؟ فقال : ناشدني الله والرَّحْم ، فقال ﷺ : اقتله ، فقتله ^(١) ، واستبشر رسول الله ﷺ وأصحابه ، لأنه كبش الكتيبة .

ثم أخذ لواء المشركين أخو طلحة ، عثمان بن أبي طلحة ^(٢) ، فحمل عليه حمزة ، فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتره ، فرجع حمزة وهو يقول : أنا ابن ساقى الحجيج ^(٣) .

فأخذ اللواء أخو عثمان ، وأخو طلحة ، أبو سعيد بن أبي طلحة ، فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فقتله ، فحمله مسافع بن

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٣٦ . وطلحة هو كبش الكتيبة ، أي الجيش ، الذي رآه رسول الله ﷺ في رؤياه المتقدمة .

(٢) وقال يومئذ وهو يحمل لواء المشركين :

إن على أهل اللواء حقاً أن يخضبوا الصُّعدة أو تندقاً

(٣) ساقى الحجيج : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الحارث ، زعم قريش في الجاهلية ، وأحد سادات العرب ومقدميهم ، مولده في المدينة ومنشؤه بمكة ، كان عاقلاً ، ذا أناة ونجدة . فصيح اللسان ، حاضر القلب ، أحبه قومه ورفعوا من شأنه ، فكانت له السقاية والرفادة . وهو جد رسول الله ﷺ ، توفي سنة ٥٧٩ م عن نحو ثمانين عاماً أو أكثر . « الأعلام ، ج ٤ ص ٢٩٨ » .

طلحة بن أبي طلحة الذي قتله علي رضي الله عنه ، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فقتله . ثم حمل اللواء أخو مسافع ، وهو الحرث بن طلحة ، فرماه عاصم فقتله . وكانت أمها وهي سلافة معها في جيش المشركين ، وكل واحد منهما بعد أن رماه عاصم يأتي أمه ويضع رأسه في حجرها ، فتقول له : يا بني من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رماني يقول : خذها وأنا ابن أبي الأفلح ، فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وجعلت لمن جاء برأسه مائة من الإبل^(١) .

فحمل لواء المشركين أخو مسافع وأخو الحارث ، وهو كلاب بن طلحة ، فقتله الزبير أو قزمان ، فحمله أخوهم الجلّاس بن طلحة ، فقتله طلحة بن عبيد الله .

فكل من مسافع والحرث وكلات والجلّاس الأربعة أولاد طلحة بن أبي طلحة ، كل قتل كأبيهم ، وعميهم عثمان وأبي سعيد . وعند ذلك حمل

(١) فلما أصيب عاصم يوم الرّجيع أرادوا أن يأخذوا رأسه ليبيعوه من سلافة ، فبعث الله عز وجل عليه مثل الظلّة من النحل والزناوير فحمته ، ولم يقدرُوا على شيء منه ، فلما أعجزهم قالوا : إن النحل والزناوير ستذهب إذا جاء الليل ، فبعث الله مطراً ، فجاء سيل فحمله فلم يوجد ، وكان قد عاهد الله تعالى أن لا يمس مشركاً ولا يمسّه مشرك ، فحماه الله بعد وفاته . (أسد الغابة في معرفة الصحابة . ج ٢ ص ١١١) .

اللواء أروطاة بن شرحبيل ، فقتله علي رضي الله عنه أو الحمزة ، فحمله شريح بن قارظ ، فقتل ولم يعرف قاتله ، ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار ، فقتله قزمان ، فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم ، فقتله قزمان أيضاً ، ثم حمله صواب غلامهم وكان حبشياً ، فقاتل حتى قطعت يده ، ثم برك عليه فأخذه لصدره وعنقه ، حتى قتل عليه ، قتله قزمان أو علي أو سعد بن أبي وقاص .

وعند قتل أصحاب اللواء صار المشركون كتائب متفرقة ، فجاس المسلمون فيهم ضرباً حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أثقالمهم ، وكان شعار المسلمين : أمت ، أمت ، أي أمتهم يا الله ، وشعار المشركين : ياللعزى^(١) ، يالهلبل^(٢) .

وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات ، فكانت تنضح بالنبل ، نبل الرماة الخمسين ، فترجع مغلولة متفرقة .

ولما التقى الناس ، وحيث الحرب ، قامت هند بنت عتبة ، زوج أبي سفيان بن حرب ، في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم ، فقالت هند فيما قالت :

(١) العزى : شجرة كانوا يعبدونها .

(٢) قبل : صم كان داخل الكعبة منصوباً على بئر .

وَيْهًا^(١) بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَهَأْخَاةَ الْأَذْبَارِ
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ^(٢)

وتقول :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ^(٣) نَمْشِي عَلَى النَّارِقِ^(٤)
مَشْيَ الْقَطَا النَّوَاتِقِ^(٥) وَالْمَسْكُ فِي الْمَفَارِقِ
وَالدَّرُ فِي الْخَانِقِ إِنْ تَقْبَلُوا نَعَانِقِ
وَنَفْرَشَ النَّارِقِ أَوْ تَدْبُرُوا نَفَارِقِ
فِرَاقٍ غَيْرِ وَامِقٍ^(٦)

الزَّيْبُ بْنُ الْعَوَّامِ وَأَبُو دَجَانَةَ :

قال الزبير بن العوام : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله
ﷺ السيف وأعطاه أبا دجانة ، وقلت : أنا ابن صفيّة عمته ، ومن

(١) وِهَا : كلمة إغراء وتحريض ، كما تقول : دونك يا فلان . والأذبار : الأعقاب ، أي الذين يحمون
أعقاب الناس .

(٢) البتّار : السيف القاطع .

(٣) الطارق : النجم ، والمراد : نحن بنات من بلغ العلو وارتفع القدر كالنجم .

(٤) النارق : الواسد الصغيرة ، وكل ما يجلس عليه .

(٥) أي مشية الخفاف .

(٦) الوامق : الحب ، والأبيات مجموعة من : البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٦ ، السيرة النبوية لابن

كثير ، ج ٣ ص ٣١ ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١٠٦ ..

قريش ، وقد قتت إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه إياه وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع ؛ فاتبعته ، فأخرج عصاة له حمراء ، فعصب بها رأسه ، وكان مكتوباً على أحد طرفيها : « نصر من الله وفتح قريب » ، وفي طرفها الآخر : « الجبانة في الحرب عار ، ومن فر لم ينج من النار »^(١) ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصاة الموت ، وهذا ما كانت الأنصار تقوله إذا تعصب بها . فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلي^(٢) ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم للدهر في الكيول^(٣) أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقي أحداً إلا قتله ، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً مسلماً إلا ذفف عليه ، أي أسرع في قتله ، فجعل كل واحد فيهما يدنو من صاحبه ، يقول الزبير : فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشركُ أبا دجانة ، فاتقاه

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٣٧ .

(٢) يعني رسول الله ﷺ ، وكان أبو هريرة يقول : حدثني خليلي ، وأنكره عليه بعض الصحابة ، وقيل له : متى كان خليلك ؟! وإنما أنكر عليه لقوله ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام » . وليس في الحديث ما يدفع أن يقول الصحابي : حدثني خليلي ؛ لأنهم يريدون به معنى الحبيب ، وإنما فيه أن النبي ما خص بها أحداً ، دون أن يمنع غيره من أصحابه أن يقولها له ، وما كان في قلوبهم من المحبة له يقتضي هذا ، وأكثر منه ، مالم يكن الفلو : « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ، فإنما أنا عبد الله ورسوله » .

(٣) الكيول : آخر الصفوف .

بدرقته ، فعضت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأيتَه قد حمل
السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها ،
فقلت : الله ورسوله أعلم^(١) .

وقال أبو دجانة : رأيت إنساناً يخمش الناس خشاً شديداً ،
فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمت سيف
رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة .

وهذا تكريم رائع للمرأة ، كي لا يقال : إن المسلمين قتلوا النساء
وهن غير محاربات في الجيش ، فهن ظعائن خلف الجيش يحمنن
فقط . وفي السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٣١ ، يقول
أبو دجانة سبب عدم قتل هند بوضوح : « لا ناصر لها » ، لا احتقاراً
ونظرة دون للمرأة ، بل احتراماً وتقديراً وتكريماً للمرأة ، وحماية لها .



اسْتِشْهَادُ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن شرحبيل بن
هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون

(١) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٧ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٢١ ، الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠١ ، السيرة
النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٢٢ .

اللواء ، ثم مرّ به سباع بن عبد العزى الغبشاني ، وكان يكنى بأبي نيار ، فقال له حمزة : هلم إلي يا بن مقطعة البطور^(١) ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

قال وحشي ، غلام جبير بن مطعم : والله إني لأنظر إلى حمزة يهد^(٢) الناس بسيفه ما يليق^(٣) به شيئاً ، مثل الجمل الأورق^(٤) ، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى ، فقال له حمزة : هلم إلي يا بن مقطعة البطور ، فضربه ضربة ، فكأنما أخطأ رأسه ، وهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها إليه ، فوقعت في ثنته^(٥) حتى خرجت من بين رجله ، فأقبل نحوي ، فغلب فوق ، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ، ثم تنحّيتُ إلى العسكر ، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره .

(١) كانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكانت ختانة بمكة ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٠ .

(٢) يهد : يهلك .

(٣) ما يليق : ما يبغي .

(٤) الأورق : مغبر اللون .

(٥) ثنته : تحت السرة وفوق العانة ، وكان حمزة قد عثر فانكشف الدرع عن بطنه ، وفي رواية : كان حمزة يقاتل سيفين وهو يقول : أنا أسد الله ، ولكنه عثر عثرة وقع منها على ظهره ، فانكشف الدرع عن بطنه فطمعه وحشي . (الروض الأنزه في مناقب سيدنا حمزة رضي الله عنه لجعفر حسن البرزنجي الشافعي المفي بطيبة ، ص ٣ ، مخطوطة في دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق ، رقم : ٨٤٦٣) .

قال عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث ، عن سلمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري ، قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار أخو بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية بن أبي سفيان^(١) ، فأدربنا مع الناس^(٢) ، فلما قفلنا مررنا بمحص ، وكان وحشي قد سكنها وأقام بها ، فلما قدمناها قال لي عبيد الله بن عدي : هل لك في أن نأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ فقال : إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بمحص ، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحباً تجدا رجلاً عريباً ، وتجدا عنده بعض ما تريدان ، وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به ، فانصرفا عنه ودعاه ، قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسة^(٣) له ، فإذا شيخ كبير مثل البغات^(٤) .

فإذا هو صاح لا بأس به ، قال : فلما انتهينا إليه سلمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي ، فقال : ابن لعدي بن الخيار أنت ؟

(١) الخليفة الأموي الأول ، من : ٤١ هـ ، إلى : ٦١ هجرية .

(٢) أدربنا : اجتزنا الدروب .

(٣) الطنفسة : كل ما يجلس عليه كالسباط والوسائد والحصير والثوب .

(٤) البغات : ضرب من الطير ، لونه أسود .

قال : نعم ، قال : أما والله ما رأيته منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى^(١) ، فإني ناولتكها وهي على بعيرها ، فأخذتك بعرضيك^(٢) ، فلمعت لي قدماك حين رفعتك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفت عليّ فعرفتها . قال : فجلسنا إليه ، فقلنا له : جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة ، كيف قتلته ؟!

فقال وحشي : أما إني سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك ، كنت غلاماً لجبير بن مطعم ، وكان عمه طعينة بن عدي قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد ، قال لي جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق ، فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة ، فلما أخطئ بها شيئاً ، فلما التقى الناس ، خرجت أنظر حمزة وأتبصره ، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هدأً ، ما يقوم له شيء ، فوالله إني لأتياً له ، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنوني ، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال له : هلم إلي يا بن مقطعة البظور ، فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه ، وهزرت

(١) أم عبيد بن عدي قرشية أمية لا سعدية ، إلا أن يريد بها مرضعته إن كانت سعدية ، واسمها : أم قتال بنت أبي العيص بن أمية ، ذكرها البخاري في هذا الخبر ، ولم يقل إنها سعدية . أما عبيد الله بن عدي فولد في حياة رسول الله ﷺ ، ومات في خلافة الوليد بن عبد الملك .

(٢) بعرضيك : بجانيبك .

حربي حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه^(١) ، وذهب لينوء^(٢) نحوي فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيت فأخذت حربي ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدت فيه ، ولم يكن لي بغيره حاجة ، وأنا قتلت لأعتق ، فلما قدمت مكة أعتقت ، ثم أمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة ، هربت إلى الطائف ، فمكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيت^(٣) علي المذاهب ، فقلت : الحق بالشام أو باليمن ، أو ببعض البلاد ، فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال لي رجل : ويحك إنه والله ما يُقتل أحد من الناس دخل في دينه ، وتشهد شهادته .

فلما قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه ، أتشهد بشهادة الحق ، وقال الناس : يا رسول الله هذا وحشي ، فقال ﷺ : دعوه فلا سلام رجل واحد أحب إلي من قتل ألف رجل كافر^(٤) . فلما رأي قال : أوحشي ؟

(١) قال حسان بن ثابت : والله إني لأنظر إلى الحربة تهوي وأنا على رأس فارح - أي أطمه - فقلت : والله إن هذه ل سلاح ماهي بسلاح العرب ، كأنها إنما تهوي إلى حمزة ولأدري ، وفي البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٩ (حتى خرجت مابين وركيه) .

(٢) ينوء : ينهض متعباً .

(٣) تعيت بالأمر كتنفى ، ويقال في الشيء : أعيتت وأنا غيب .

(٤) الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٦٣ ، وأوردنا هنا رواية ابن هشام ، ج ٣ ص ٢٢ . وهي أيضاً في :

قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة ، قال وحشي : فحدثته كما حدثتكما ، فلما فرغت من حديثي قال : ويحك !! غيَّب عني وجهك ، فلا أرينك ، فكنت أتكذب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني ، حتى قبضه الله ﷻ .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلة الكذاب صاحب اليمامة ، خرجت معهم ، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس ، رأيت مسيلة الكذاب قائماً في يده السيف وما أعرفه ، فتهيات له ، وتهياً له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريد ، فهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت فيه ، وشد عليه الأنصاري^(١) بالسيف ، فربك أعلم أينما قتله ، فإن كنت قتلت ، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقد قتلت شر الناس .

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب - وكان قد شهد اليمامة - : سمعت يومئذ صارخاً يقول : قتله العبد الأسود .

ولم يزل وحشي يشرب الخمر حتى خلع من الديوان^(٢) ، فكان عمر

البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٣٧ ، والطبري ،

ج ٢ ص ٥١٦ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٦٣ ، والاكتفاء ، ج ١ ص ١٠١ .

(١) وهو عبد الله بن زيد ، وفي رواية : اشترك معها أبو دجانة أيضاً .

(٢) ديوان المجاهدين أيام عمر رضي الله عنه .

ابن الخطاب يقول : قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة^(١) .



اسْتِشْهَادُ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ :

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتِلَ ، وكان الذي قتله ابن قُتَيْبَةَ الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش فقال : قتلتم محمداً^(٢) ، فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب .

ولم يترك مصعب رضي الله عنه إلا نَمْرَةً^(٣) ، يقول عبد الرحمن بن عوف : إذا غطينا بها رجله خرج رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله (الإذْخِر)^(٤) . وكان مصعب بن عمير قبل الإسلام فتي مكة شاباً وجمالاً ولباساً وعطراً .

لقد أسلم مصعب ورسول الله ﷺ في دار الأرقم ، وكان يختلف إلى

(١) أي لم يكن ليترك من الابتلاء ، فتكرر خدّه في شرب الخمر ، وإخراجه من ديوان المجاهدين من أقبج الابتلاء ، من حديث رواه الدارقطني في صحيحه عن سعيد بن المسيب ، (السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٦٢) .

(٢) لأن مصعباً رضي الله عنه كان إذا لبس لأمته يشبه النبي ﷺ .

(٣) النَمْرَة : بردة من الصوف .

(٤) الإذْخِر : - بكسر الهمزة - حشيش معروف طيب الرائحة .

رسول الله ﷺ سرّاً ، فبصر به عثمان بن طلحة العبدري يصلي ، فأعلم أهله ، فأخذوه فحبسوه ، فلم يزل محبوساً إلى أن هاجر إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة بعد بيعة العقبة الأولى يفقه أهلها ويقرئهم القرآن ، ويصلي بهم . وكان يسمى بالمدينة المقرئ ، وأسلم على يده أسيد بن حضير وسعد بن معاذ ، وكفى بذلك فخراً وأثراً في الإسلام .

كان عمره يوم استشهد في أحد أربعين سنة أو أكثر قليلاً .

قال سعد بن أبي وقاص : كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة ، وأجوده حلةً مع أبيه ، ثم لقد رأيتَه جُهد في الإسلام جهداً شديداً ، حتى لقد رأيت جلدَه يَتَحَشَّفُ^(١) كما يتحشَّف جلد الحية .

وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول : « ما رأيت بمكة أحسن لمة^(٢) ، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير »^(٣) .

رحم الله مصعباً .. فلو لم يجد منتهى السعادة الروحية في إسلامه ، وغاية السرور في إيمانه ، مع كامل الصفاء القلبي في صحبة رسول الله ﷺ ، لما انقلب وتحوّل هذا التحوّل الجذري في حياته وسلوكه .

(١) يتحشَّف : يتقبض ويتقلَّص .

(٢) لمة : من شعر الرأس دون الجمّة ، سُمِّيَتْ بذلك لأنها أُلْتُ بالمنكبين ، فإذا زادت فهي الجمّة .

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٥ ص ١٨١ .

ما أعظم هذه العينة من الرجال ، وما أرقى تربيتهم التي رباهم عليها رسول الله ﷺ . لقد رفع مصعب لواء المسلمين في أحد ، وما وصل وارثي إلى هذا المقام ، إلا بعد أن تزكت روحه ، وعشقت ربها ، واستنار قلبه بنور الله عز وجل ، فأنكر ذاته ، وعاش لعقيدته ، واستشهد من أجلها .

وسيبقى مصعب في تاريخنا من الخالدين ، مع الشخصيات الجليلة ، والنفوس النبيلة ، والأعلام العظام .



ولما اشتد القتال يوم أحد ، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار ، وقال : « اللهم بك أحول^(١) ، وبك أصول ، وفيك أقاتل ، حسبي الله ونعم الوكيل » . وأرسل ﷺ إلى علي رضي الله عنه أن تقدم بالراية - بعد استشهاد مصعب - فتقدم علي يحمل الراية .

حَنْظَلَةُ غَسِيلَ الْمَلَائِكَةِ :

استأذن حنظلة رسول الله ﷺ في قتل أبيه - أبي عامر الفاسق - ، فنهاه عن قتله^(٢) . وخلال المعركة التقى حنظلة وأبو سفيان ، فلما

(١) أي أضعف .

(٢) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٢ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢١ ، الروض الأنف .

ج ٢ ص ١٥٤ ، الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٢ . واسم أبي عامر : عبد عمرو .

استعلاه حنظلة ، رآه شداد بن الأسود بن شعوب قد علا أبا سفيان ،
 فضرب شداد حنظلة فقتله . فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبكم
 - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة في صحاف الفضة بماء المزن بين السماء
 والأرض »^(١) ، فسألوا أهله - بعد المعركة - ما شأنه ؟! فقالت زوجته
 جميلة بنت أبي بن سلول ، أخت عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان
 ابنتي بها تلك الليلة^(٢) ، فكانت عروساً عنده ، فرأت في النوم تلك
 الليلة كأن باباً في السماء فُتح له فدخله ، ثم أغلق دونه ، فعلمت أنه
 ميت من غده ، فدعت رجالاً من قومها حين أصبحت فأشهدتهم على
 الدخول بها خشية أن يكون في ذلك نزاع . وقالت زوجها : خرج وهو
 جنب ، سمع الهاتفة ، ومناذي الجهاد ، فعجل عن الغسل إجابة
 للداعي^(٣) . فقال رسول الله ﷺ : « لذلك غسلته الملائكة » ، والتمس
 في القتلى ، فوجدوه يقطر رأسه ماءً ، وليس بقربه ماء تصديقاً لما قاله
 ﷺ .

-
- (١) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٢ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٤ ، الروض الأنف ، ج ٢ ص ١٦٢ ،
 الطبري ، ج ٢ ص ٥٢٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٤١ ، الكامل في التاريخ ،
 ج ٢ ص ١١٠ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٥٥ ، وابن هشام ، ج ٢ ص ٢٥ ...
 (٢) ولدت له عبد الله بن حنظلة ، وهو الذي ولّاه أهل المدينة عليهم لما خلعوا يزيد بن معاوية .
 (٣) جاء في الحديث الشريف : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ، كلما سمع هجمة - منادي
 الجهاد - طار إليها » . ابن هشام ، ج ٢ ص ٢٥ .

وقال أبو سفيان بن حرب ، وهو يذكر صبره في ذلك اليوم ،
ومعاونة ابن شعوب إياه على حنظلة :

ولو شئتُ نَجَّتِي كَمَيْتٍ طِمْرَةٌ^(١) ولم أُحْمِلِ النِّعَاءَ لابنِ شُعُوبٍ
وما زالَ مُهْرِي مَرْجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى دَنَتْ لِفُرُوبٍ^(٢)
وسَلَى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنِّي قَتَلْتُ مِنَ النَّجَارِ^(٣) كُلَّ نَجِيبٍ
وَمِنْ هَاشِمٍ قَرْمًا^(٤) كَرِيمًا وَمُضْعَبًا وَكَانَ لَدَى الْمَيْجَاءِ غَيْرَ هَيُوبٍ
فَلَو أَنِّي لَمْ أَشْفِ نَفْسِي مِنْهُمْ

لَكَانَتْ شَجَاً فِي الْقَلْبِ ذَاتُ نُدُوبٍ^(٥)
فَأَبَاوَا وَقَدْ أَوْدَى الْجَلَايِبُ مِنْهُمْ بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُعْبِطٍ وَكُتَيْبٍ^(٦)
أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ كَفِيًّا وَلَا فِي خُطَّةٍ بِضْرِبٍ^(٧)
فَأَجَابَهُ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ :

(١) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٢) أي لم يبعد عنهم إلا بمقدار الموضع الذي يزجر إليه الكلب ، والضير المستتر في دَنَتْ للشمس .

(٣) بنو النجار ، من سكان المدينة ، وهم أخوال رسول الله ﷺ ، ولعلهُ يعني الأنصار عموماً .

(٤) القرم : السيد ، يعني حمزة .

(٥) ندوب : جمع ندب أو النَّدْبَةُ : أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد ، لأن العرب ،
ج ١ ص ٧٥٣ .

(٦) الجلايب : جمع جلباب ، وهو الإزار الخشن ، وكان المشركون يسمون من أسلم الجلايب ،
والخدب : الطعن النافذ ، والمعبط : الذي يسيل دمه .

(٧) ليست هذه كل الآيات ، راجع ابن هشام ، ج ٣ ص ٢٥ ، والبيعة النبوية لابن كثير ،
ج ٣ ص ٤١ .

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَلَسْتَ لِزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبِ
 أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حِمْزَةَ مِنْهُمْ نَجِيباً وَقَدْ سَمَّيْتَهُ بِنَجِيبِ
 أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرَأً وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ وَالْحَجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبِ !
 غَدَاةَ دَعَا الْعَاصِيَ غَلِيّاً فِرَاعَهُ بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلَّاهُ بِخَضِيبِ

وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبي سفيان فيما دفع عنه :

لَأَحْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي بِطَعْنَةٍ مِثْلِ شِعَاعِ الشَّمْسِ
 وقال أيضاً :

وَلَوْلَا دِفَاعِي يَا بَنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي لِأُلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ ^(١) غَيْرَ مُجِيبِ
 وَلَوْلَا مَكْرِّي الْمُهَرَّ بِالنَّعْفِ فَرَقَرْتُ ^(٢) عَلَيْهِ ضَبَاعٌ ^(٣) أَوْ ضِرَاءُ كَلِيبِ ^(٤)



(١) النعف : ما انحدر من حذوة الجبل ، ويعني يوم أحد .
 (٢) فرقرت : أسرع وطاشت ، وفي ابن هشام والطبري : فرقرت « بالقاف » .
 (٣) ابن هشام والطبري : ضباع عليه .
 (٤) الضراء : الضارية من الكلاب .

عند فقد المباداة يستعيد تعقب النصر

☆ ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوْ مِتُّمْ لَغْفِرَةِ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ﴾ .

[آل عمران : ١٥٧]

ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فحسوهم
بالسيوف ، حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لاشك فيها . ولما
قُتِل أصحاب لواء المشركين واحداً بعد واحد ، ولم يقدر أحد أن يدنو
منه ، انهزم المشركون ، وولّوا لايلوون على شيء^(١) ، ونساؤهم يدعون
بالويل بعد فرحهن وضربهن بالدفوف ، وألقين الدفوف ، وقصدن
الجل كاشفات سيقانهن ، يرفعن ثيابهن ، وتبع المسلمون المشركين
يضعون فيهم السلاح ، ويأخذون الغنائم . ففارقت الرماة محلهم الذي
أمرهم ﷺ أن لا يفارقوه ، ونهّاهم أميرهم عبد الله بن جبير ، فقالوا له :
انهزم المشركون فما مقامنا هنا ؟ وانطلقوا إلى الغنائم .

(١) قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه : احمل على جماعة من المشركين ، وفرّقهم ، وقتل فيهم ،
ثم أبصر ﷺ جماعة أخرى فقال له : احمل عليهم ، فحمل عليهم وفرّقهم وقتل منهم ، فقال
جبريل : يا رسول الله هذه المواصلة ، فقال رسول الله ﷺ : إنه مني وأنا منه ، فقال جبريل :
وأنا منك ، يقال : تبع صوت عندها يقول : لاسيف إلا ذو الفقار ، ولا فاق إلا علي .

وثبت عبد الله بن جبير مكانه ، وثبت معه دون العشرة ، وقال : لأجوز أمر رسول الله ﷺ . فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل من الرماة ، وقلة من به منهم ، ففكر بالخيـل ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوا مع أميرهم عبد الله بن جبير ، ومثلوا به ، ومن كثرة طعنه بالرماح خرجت أحشائه .

الزبير بن العوام يذكر سبب الهزيمة :

قال ابن العوام رضي الله عنه : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ، مادون أخذهن قليل أو كثير ، إذ مالت الرماة إلى العسكر ، حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيـل ، فأتيننا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قتل ، فانكفأنا ، وانكفأ علينا القوم ، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى مايدنوا منه أحد من القوم^(١) .

لقد أحاط المشركون بالمسلمين وقد شغلوا بالغنائم ، ودخلت

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٢٩ ، الروض الأنف ، ج ٢ ص ١٥٥ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٤ ، وفي الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٢ : قال الرماة : والله ما نجلس هنا لشيء ، قد أهلك الله العدو ، وإخواننا في عسكر المشركين ، فتركوا منازلهم التي عهد إليهم رسول الله أن لا يتركوها ، وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول ، فأوجفت الخيل فيهم قتلاً ، ولم تكن نبيل تتضحها ، ووجدت مدخلاً عليهم ، فكان ذلك سبب الهزيمة .

خيول المشركين تنادي فرسانها بشعارها : ياللعزى ، يالهبل ، ووضعو السيوف في المسلمين وهم آمنون ، وتفرّق المسلمون في كل وجه مما أصابهم من الدهش والحيرة^(١) .

ولم يزل لواء قریش صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعته لقریش فاجتمعوا عليه ، وكان اللواء مع صؤاب غلام لبني أبي طلحة ، وكان صؤاب حبشياً ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يده ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء ب صدره وعنقه حتى قتل عليه ، وهو يقول : اللهم هل أعذرت ؟

قال حسان بن ثابت في ذلك :

| | |
|--------------------------------------|-----------------------|
| لواء حين رُدَّ إلى صؤاب | فخرتم باللواء وشرفخري |
| والأم من يطأ عفر التراب | جعلتم فخركم فيه لعبد |
| وما إن ذاك من أمر الصواب | ظنتم والبقيّة له ظنون |
| بمكة يئعكم حمر العياب ^(٢) | بأن جلدنا يوم التقينا |
| وما إن تُعصبان على خضاب | أقر العين أن عصبت يده |

وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم :

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٣٩ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٣٥ . ويقول الحافظ

ابن حجر في هزيمة المسلمين بأحد : إنها شؤم ارتكاب النهي .

(٢) العياب : ماتضع فيه الناس حوائجهم .

إذا عَـضَلَ سَـيَقَتْ إِلَيْنَا كَأَنهَا جَدَايَةُ شُرْكَ مَعْلَمَاتِ الْحَوَاجِبِ^(١)
 أَقْنَاهُمْ طَعْنًا مَبِيرًا مُنْكَلًّا وَحُزْنَاهُمْ بِالضَرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 فَلَوْلَا لَوَاءُ الْحَارِثِيَةِ أَصْبَحُوا يُبَاعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ بَيْنَ الْجَلَائِبِ^(٢)



وانهزمت طائفة من المسلمين إلى جهة المدينة ، ولم يدخلوها .
 وقال رجال من المسلمين حيث نودي أن رسول الله قد قُتِلَ : (ارجعوا
 إلى قومكم يؤمنوكم) .

وقال ثابت بن الدحداح : يامعشر الأنصار ، إن كان محمد قد قتل
 فإن الله حي لا يموت ، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم ،
 فنهض إليه نفر من الأنصار ، فحمل بهم على كتيبة فيها خالد وعمر
 وعكرمة وضرار بن الخطاب ، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح
 فقتله ، وقتل من كان معه من الأنصار رضي الله عنهم .

وقال بعض المنافقين : ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي بن
 سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان ، يا قوم إن محمداً قد قُتِلَ فارجعوا
 إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .

(١) الجداية : الغزال ، وشرك : اسم موضع ، وعضل : اسم قبيلة .

(٢) الجلائب : ما يجلب إلى الأسواق لبيع فيها .

وانهزمت طائفة منهم حتى دخلت المدينة ، فلقيتهم أم أيمن ، فجعلت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به ، وأعطني سيفك .

قال البخاري : حدثنا عُبْدَان « عبد الله بن عثمان المروزي » ، أخبرنا أبو حمزة ، عن عثمان بن مَوْهَب ، قال : جاء رجل حجَّ البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قال : هؤلاء قریش ، قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر ، فأتاه فقال : إني سائلك عن شيء ، أتحدثني ؟ قال : أنشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أن عثمان بن عفان فرَّ يوم أحد ؟ قال : نعم . قال : فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم ، قال : فكبر ، مستحسناً لما أجابه ابن عمر ، لمطابقته لما يعتقد في عثمان رضي الله عنه .

قال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه .

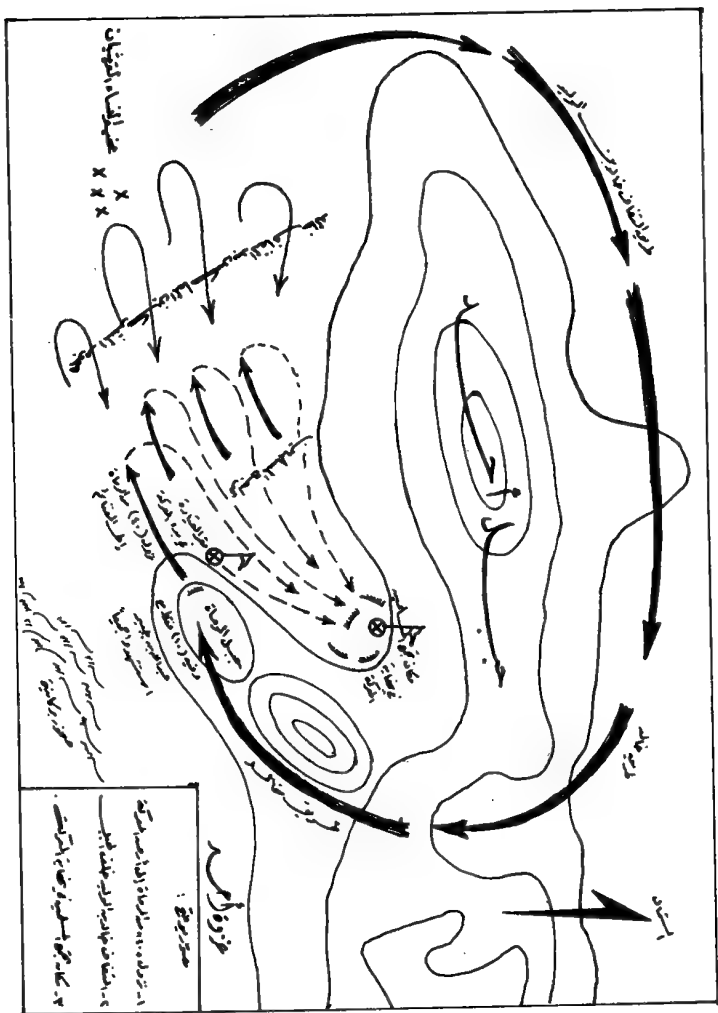
أما فراره يوم أحد : فأشهد أن الله عفا عنه ، ﴿ ... ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١) . وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحت بنت النبي ﷺ وكانت مريضة ، فقال له

(١) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٥٢ .

رسول الله ﷺ : إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه . وأما تغيبه
عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحد أعز بيطن مكة من عثمان بن عفان
لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى
مكة ، فقال النبي ﷺ بيده اليمنى : هذه يد عثمان ، فضرب بها على
يده ، فقال : هذه لعثمان . اذهب بهذا الآن معك^(١) .



(١) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٥٤ .



منبع: وزارت نیرو

۱- ترانسفورماتور و تجهیزات مربوط به شبکه

۲- ایستگاه پمپاژ و تجهیزات مربوط به شبکه

۳- شبکه توزیع و تجهیزات مربوط به شبکه

۴- شبکه انتقال و تجهیزات مربوط به شبکه

۵- شبکه جمع و تجهیزات مربوط به شبکه

إِنْ مَحْظَرٌ وَاحِدَةٌ يُمْكِنُهَا أَنْ تُحَدِّدَ مَصِيرَ الْمَرْكَةِ

☆ ﴿ قَبَا رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ لَئِنْ
لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ قَفْلاً غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَا نَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا
عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

[آل عمران : ١٥٩]

مَا أَصَابَ الرَّسُولُ يَوْمَ أُحُدٍ :

وانكشف المسلمون ، فأصاب العدو فيهم ، وكان يوم بلاء
وتمحيص ، وأكرم الله فيه مَنْ أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص
العدو إلى رسول الله ﷺ ، وقذف بالحجارة حتى وقع لشقه ^(١) ،
فأصابت رباعيته ، وشجَّ في وجهه ، وَكَلِمَت ^(٢) شفته ، وكان الذي
أصابه عتبة بن أبي وقاص ^(٣) .

(١) الشق : الجانب .

(٢) كلمت : جرحت .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٥٧ ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١٠٧ ، الطبري ،

ج ٢ ص ٥١٥ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٢٨ ، عيون الأثر : ج ٢ ص ١٢ .

عن أنس بن مالك قال : كُـسِرَت رِباعية النبي ﷺ يوم أحد ، وشج في وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله ؟ ! فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ^(١) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : إن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، ودعا عليه ﷺ بقوله : اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً ، وقد استجاب الله عز وجل ذلك ، وقتله في ذلك اليوم حاطب بن أبي بلتعة . قال حاطب : رأيت ما فعل عتبة برسول الله ﷺ قلت لرسول الله ﷺ : أين توجه عتبة ؟ فأشار النبي ﷺ إلى حيث توجه ، فضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحته رأسه ، وأخذت فرسه وسيفه ، وجئت به إلى رسول الله ﷺ ، فقال لي : رضي الله عنك ، رضي الله عنك مرتين ^(٢) .

(١) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٢٨ .

(٢) وهذا يخالف قول بعضهم : إنه مات بعد أن أسلم بعد الفتح « الكامل في التاريخ ،

ج ١ ص ١٠٧ » .

وشجَّ عبد الله بن شهاب الزهري رسول الله ﷺ في جبهته^(١) .

وإن ابن قَمَئة الحارثي جرح وجنته ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر^(٢) في وجنته ﷺ ، وقال لما تقدم نحو رسول الله : خذها وأنا ابن قئة ، فقال رسول الله ﷺ : أقمأك الله عز وجل^(٣) ، واستجاب الله فيه دعوة نبيِّه ﷺ ، فإنه بعد أحد ، خرج إلى غنمه فوافاها على ذروة الجبل ، فأخذ يعترضها ، فشدَّ عليه كبشها فنطحه نطحة أرداه من شاق الجبل فتقطع .

وفي رواية : فسَلَطَ الله عليه تيس جبل ، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة^(٤) .

ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر الفاسق ، ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، وكان من سبب وقوعه أيضاً أن ابن قئة الحارثي علاه ﷺ بالسيف ، فلم يؤثر فيه السيف^(٥) ،

(١) هذا عبد الله بن شهاب الأصغر ، أما عبد الله بن شهاب الأكبر فهو من مهاجرة الحبشة ، توفي بمكة قبل الهجرة ، وأسلم عبد الله الأصغر فيما بعد .

(٢) المغفر : حلق يجعل على الرأس يتقى به ضرب السلاح في الحرب . واسم ابن قئة : عبد الله بن قئة الحارثي .

(٣) أي صَفَرَك وأذلك .

(٤) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٤٦ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥١٩ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٥٠ .

(٥) لقد لبس ﷺ درعين ، أخذاً بالأسباب ، فلم يؤثر السيف فيه .

إلا أن ثقل السيف أثر في عاتقه الشريف ، فشكا ﷺ منه شهراً أو أكثر .

وأخذ علي رضي الله عنه بيد رسول الله ﷺ ، ورفع طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حتى استوى قائماً ، لقد جلس طلحة تحت رسول الله ﷺ ، ثم نهض به حتى استوى ، وأجلسه على صخرة في الشعب ، فقال رسول الله ﷺ : « أوجب طلحة » ، أي فعل شيئاً استوجب به الجنة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع ^(١) .

ومصّ مالك بن سنان - أبو أبي سعيد الخدري - الدم عن وجه رسول الله ﷺ ، ثم ازدرده ، فقال رسول الله ﷺ : « من مسّ دمي دمه لم تصبه النار » ^(٢) .

وما قاله ﷺ بحق مالك بن سنان : « من أراد أن ينظر إلى

(١) السيرة النبوية والآثار الحمديّة ، ج ٢ ص ٤٩ ، جاء : « واحتضنه طلحة حتى استوى قائماً » وقال ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه ، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله » .

(٢) وكذلك عبد الله بن الزبير ، قال : أتيت النبي ﷺ وهو يحتجم ، فلما فرغ ، قال : يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حتى لا يراك أحد ، قال : فشربته ، فلما رجعت قال : يا عبد الله ما صنعت ؟ قلت : جعلته في أخفى مكان علمت أن يخفى على الناس ، قال : لعلك شربته ؟؟ قلت : نعم ، قال : ويل للناس منك ، وويل لك من الناس ، لن تمس النار جوفك إلا تحلّة القسم . ولم يأمر النبي ﷺ بغسل فم الذي ازدرد الدم ، كل ذلك خصوصية لرسول الله ﷺ .

رجل من أهل الجنة فليُنظر إلى هذا « وأشار إليه ، وفي لفظ : « من سرّه أن ينظر إلى من لآتمسه النار ، فليُنظر إلى مالك بن سنان » . فاستشهد في أحد ، رضي الله عنه .

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال : إن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ ، فسقطت ثنيته ^(١) ، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى ، فكان ساقط الثنيتين .



مِنْ بَطُورَاتِ الصَّحَابَةِ فِي أَحَدٍ :

قال الحافظ ابن حجر : صار المسلمون ثلاث فرق ، فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة ، فما رجعوا حتى انقض القتال ، وهم قليل ، وفي حقهم نزل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ، وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ^(٢) .

وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل ، فصارت

(١) ثنيته : الأسنان الأمامية « الثنايا » . ومن كُبرت ثناياه فهو : أفتَم ، لسان العرب ، ج ١٢ ص ٦٠٠ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٥٥ .

غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه ، أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل ، وهم أكثر الصحابة .

وفرقه تثبتت مع النبي ﷺ . ثم تراجعت إليه الفرقة الثانية شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه ﷺ حي ^(١) ، وجاء أنه ثبت بين يديه ﷺ ثلاثون رجلاً كلهم يقول : وجهي دون وجهك ، ونفسي دون نفسك ، وعليك السلام غير مودّع ^(٢) .

قال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم : من رجل يشري لنا نفسه ؟ فقام زياد بن السَّكَن ^(٣) في نفر خمسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً يَقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد بن السَّكَن ، فقاتل حتى أثبت ^(٤) ، ثم فاءت منه فئة من المسلمين ، فقاتلوا عنه حتى أجهضوا عنه العدو ، فقال رسول الله ﷺ : أدنوه مني ، فأدنوه منه ، فوسَّده قدمه ، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ ^(٥) .

☆ وقاتلت أم عمار ، نُسَيبَةُ بنت كعب المازنية يوم أحد .

(١) السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٢٨ .

(٢) السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٤٢ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٣ .

(٣) زياد بن السَّكَن بن رافع بن امرئ القيس الأنصاري الأوسي الأشهلي ، يجتمع هو وسعد بن معاذ في امرئ القيس ، قتل شهيداً يوم أحد . « أسد الغابة في معرفة الصحابة » ، ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٤) أي حتى منعه جراحاته أن يفارق مكانه .

(٥) ابن هشام ، ج ٣ ص ٢٩ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥١٥ .

ذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري ، أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أم عمارة ، فقلت لها : يا خالة ، أخبريني خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وهو في أصحابه والدولة والريح^(١) للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون ، انخرت إلى رسول الله ﷺ ، فقممت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح إليّ ، قالت أم سعد : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قئمة ، أقماه الله ، لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلانجوت إن نجيا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ ، فضربني هذه الضربة ، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

وفي رواية : خرجت نُسَيْبَة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناهما خبيب وعبد الله^(٢) ، وقال لهم رسول الله ﷺ : « رحمكم الله أهل البيت ، بَارَكَ اللهُ فيكم أهل البيت » ، فقالت له نُسَيْبَة : ادع الله

(١) أي إقبال النصر .
(٢) اشترك ابنها عبد الله بقتل مسيلة الكذاب ، قالت نُسَيْبَة : رأيت الحبيث مقتولاً ، وإذا ابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بشيابه ، فقلت : أقتلته ؟ قال : نعم ، فجدت لله شكراً .

أن نُرَافقك في الجنة . فقال ﷺ : « اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة » .
وعند ذلك قالت رضي الله عنها : ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا .

وقال ﷺ في حقها : « ما التفت يميناً ولا شمالاً يوم أحد إلا
ورأيتها تقاتل دوني » . وقد جُرحت رضي الله عنها اثني عشر جرحاً
بين طعنة برمح ، أو ضربة بسيف ^(١) .

☆ وترّس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه ، يقع النبل في
ظهره وهو منحن عليه ، حتى كثرفيه النبل .

☆ وقال المقداد بن الأسود : ياسعد ، هذا رسول الله ﷺ
يدعوك ، فقال سعد : وأين هو ؟ فأشار إليه ﷺ . يقول سعد بن أبي
وقاص : فقممت وكأنه لم يصبني شيء من الأذى ، وأجلسني أمامه ،
فجعلت أرمي وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله ﷺ
يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته ، وأجب دعوته ، فكان
سعد مجاب الدعوة ، حتى إذا فرغ النبل من كنانتي نثر ﷺ لي ما في
كنانته ، وانكشف الناس عنه ﷺ ، قال سعد : لقد رأيتني والنبي ﷺ
يناولني النبل ويقول : ارم فداك أبي وأمي ، حتى إنه ليناولني السهم

(١) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٢ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٤ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٤٣ ،

ابن هشام ، ج ٣ ص ٣٠ .

ماله نصل ، فيقول : ارم به . وجاء أن سعداً رضي الله عنه رمى يوم
أحد ألف سهم مامنها سهم إلا ورسول الله ﷺ يقول : ارم فداك أبي
وأمي ، ففداه ذلك اليوم ألف مرة^(١) .

وكان ﷺ يفتخر بسعد ، ويقول : « هذا سعد خالي^(٢) » ، فليرني
امرؤ خاله » ، وكان رضي الله عنه إذا غاب يقول النبي ﷺ : « مالي
لأرى الصبيح المليح الفصيح » .

ورمى رسول الله ﷺ عن قوسه حتى اندقت سِيَّتُهَا^(٣) ، فأخذها
قتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأصيبت يوم أحد عين قتادة^(٤) حتى
وقعت على وجنته ، وقيل : صارت في يده ، فألقى بها رسول الله ﷺ ،
فقال ﷺ : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها ودعوت
الله فلم تفقد منها شيئاً ، فقال : يارسول الله ، إن الجنة لجزاء جميل ،

(١) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٥٤ ، السيرة النبوية والآثار
الحمدية ، ج ٢ ص ٤١ و ٤٥ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٧ .

(٢) لأن سعداً رضي الله عنه كان من بني زهرة ، وكانت أم النبي ﷺ منهم . « السيرة النبوية والآثار
الحمدية ، ج ٢ ص ٤١ » .

(٣) سيتها : طرفها .

(٤) لإصابة عين قتادة بن النعمان الأوسي رضي الله عنه ، راجع : السيرة النبوية والآثار الحمدية ،
ج ٢ ص ٥٧ ، الاكتفاء : ج ١ ص ١٠٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٦٧ ، البداية
والنهاية ، ج ٤ ص ٣٣ ، ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٥ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥١٦ ، عيون الأثر ،
ج ٢ ص ١٤ .

وعطاء جليل ، ولكني لي امرأة أحبها ، وأخشى إن رأيتي أن تقذربي ،
 فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردها إلى موضعها ، وقال : اللهم اكسبه
 جمالاً ، وقال ﷺ : اللهم ق فتادة كما وقى وجه نبيك ، اللهم اجعلها
 أحسن عينيه وأحدهما^(١) ، فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

قال الأصمعي : قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد
 فتادة بن النعمان ، فقال : ممن الرجل ؟ فقال مرتجلاً :

أنا ابن الذي سألت على الخدَّ عينه فَرَدَّتْ بكفَّ المصطفى أحسن الردِّ
 فعادت كما كانت لأوَّلِ أمرها فيا حُسْنَهَا عَيْناً ويا حُسْنَ ما خَدَّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك :

تلك المكارم لا قُعبان من لبن شيئا بماءٍ فعادا بعد أبوالا !
 ووصله عمر وأحسن جائزته^(٢) .

(١) أحدهما : أقوامها نظراً .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٦٧ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٣ ، السيرة النبوية
 والآثار الحمديّة ، ج ٢ ص ٥٨ .

☆ ورمى أبو طلحة الأنصاري^(١) ، وكان رجلاً رامياً شديداً الرمي ، فنثر كنانته بين يدي رسول الله ﷺ ، وصار يقول : نفسي لنفسك الفداء ، ووجهي لوجهك الوقاء ، فلم يزل يرمي بها ، وكان الرجل يمرّ بالجعبة من النبل فيقول ﷺ : انثرها لأبي طلحة ، وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة ، وصار رسول الله ﷺ يشرف^(٢) ليرى مواضع النبل ، فيقول له أبو طلحة : يا بني الله بأبي أنت وأمي ، لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم ، نخري دون نخرك ، ويتطاول أبو طلحة ب صدره ليقبى رسول الله ﷺ^(٣) .

☆ ولم يشهد أنس بن النضر^(٤) بدرأ ، فشق عليه ذلك ، فلما كان يوم أحد قال : يا رسول الله ، إني غبت عن أول قتال وقع قاتلت فيه المشركين ، والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما صنع ، فلما رأى تراجع المسلمين قال : اللهم إني أعوذ إليك مما صنع هؤلاء^(٥) ،

(١) أبو طلحة الأنصاري اسمه : زيد بن سهل ، قال عنه رسول الله ﷺ : « صوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة رجل » ، وفي رواية : « خير من فئة » ، راجع أسد الغابة ، ج ٢ ص ٢٨٩ وج ٦ ص ١٨١ .

(٢) ينظر إلى القوم .

(٣) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٧ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٣٠ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٤١ .

(٤) عم أنس بن مالك ، قال أنس بن مالك : سُميت به ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٦٢ .

(٥) يعني المسلمين .

وأبرأ إليك مما فعل هؤلاء^(١) ، ولما سمع قتل رسول الله ﷺ ، مرَّ برجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟!! قالوا : قُتِلَ رسولُ الله ﷺ ، قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟! ، قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله ﷺ . ثم استقبل المشركين ، وقال لسعد بن معاذ : يا أبا عمرو أين ؟ واهأ لريح الجنة ، ورب الكعبة أجد ريحها دون أحد^(٢) ، وقاتل رضي الله عنه حتى قُتِل ، فوجد فيه بضع وثمانون جراحة ، مابين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ومثَّل به المشركون ، فما عرفته أخته « الربيع » إلا بينانه .

☆ وأصيب عبد الرحمن بن عوف في فيه يومئذ فهم^(٣) ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، إصابة بعضها في رجله فعرج^(٤) . وكان أول

(١) يعني المشركين ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٢) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٣ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٦٢ ، البداية والنهاية ،

ج ٤ ص ٣١ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥١٧ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٢٩ ، السيرة

الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٩ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٣٠ .

(٣) هم : كسرت ثنيته .

(٤) كان ابن عوف عظيم التجارة ، فكثر ماله ، حتى قدمت له سبعائة راحلة تحمل البُرَّ والدقيق

والطعام ، فلما دخلت المدينة ، سَمِعَ لأهل المدينة رجَّةً ، فقالت عائشة : ما هذه الرجَّة ؟ فقيل

لها : غير قدمت لعبد الرحمن بن عوف ، سبعائة بعير تحمل البُرَّ والدقيق والطعام ، فقالت

عائشة : سمعت النبي ﷺ يقول : يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة خَبُوءاً ، فلما بلغه ذلك قال :

من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة ، بعد أن قال الناس : قَتَلَ رسول الله ﷺ كعبُ بن مالك ، قال كعب : عرفت عينيه تزهران^(١) من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إليَّ رسول الله ﷺ أن أنصت . فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم ومعه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة ، ورهط من المسلمين^(٢) .



مَقْتَلُ أَبِي بَنِي خَلْفَ :

وفي الشَّعْبُ أَسْنَدَ رسول الله ﷺ إلى صخرة ، فأدركه أبي بن خلف وهو يقول : أي محمد ، لا نجوتُ إن نجوتَ ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال ﷺ : دعوه ، فلما

يا أمه ، إني أشهدك الله أنها بأحمالها وأحلاسها وأقتابها في سبيل الله عز وجل . والأحلاس : جمع حلس وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ، والقتب للبعير بمثابة البرذعة للحمار ، أسد الغابة ، ج ٣ ص ٤٨٠ .

(١) تزهران : تضيئان .

(٢) ابن هشام ، ج ٣ ص ٣١ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٤ .

دنا ، تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، فلما أخذها ﷺ انتفض بها انتفاضة تطاير بها من حوله تطاير الشعراء^(١) عن ظهر البعير ، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأداً منها .

وكان أبي بن خلف حين افتدي من الأسر يبدر يقول : والله إن عندي العوذ ، فرساً أعلفها كل يوم فرقاً^(٢) من ذرة ، أقتل عليها محمداً . فبلغت رسول الله ﷺ فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله .

فلما رجع أبي بن خلف إلى قريش ، وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلني والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك من بأس ، قال أبي : إنه قد كان قال : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق علي لقتلني ، فمات بسرف^(٣) وهم قافلون به إلى مكة^(٤) .

قال حسان بن ثابت في ذلك :

لقد ورث الضلالة عن أبيه أبي يوم بارزه الرسول
أتيت إليه تحملاً رم عظمي وتوعده وأنت به جهول

(١) الشعراء : ذباب له لدع .

(٢) الفرق : مكيال يسع اثني عشر رطلاً .

(٣) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

(٤) وفي رواية : أن النبي طعنه طعنة وقع منها مراراً من على فرسه ، وجعل يخور ، كما يخور الثور إذا ذبح ، (السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٤٤) .

وقد قتلتُ بنو النجار منكم
وتبَّ ابنا ربيعة إذ أطاعا
وأفلتَ حارثٌ لمَّا شغلنا
وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا منْ مُبْلِغٌ عَنِّي أُتِيًّا
تمنَّى بالضلالةِ من بعيدٍ
تمنيكَ الأمانِي منْ بعيدٍ
فقد لاقتك طعنةٌ ذي حِفاظٍ
فقد ألقيتَ في سُحْقِ السَّعِيرِ
وتقسمُ أنْ قَدَرْتَ مع النذورِ
وقولُ الكفرِ يَرْجِعُ في غُرورِ
كريم البيتِ ليس بذي فُجورِ
له فضلٌ على الأحياء طُرّاً
إذا نابت مُلَمَّاتُ الأمورِ^(١)



وعندما كان رسول الله ﷺ في فم الشَّعْب ، خرج علي بن أبي طالب ، حتى ملأ درقته ماء من المِهراس ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليُشرب منه ، فوجد له ريحاً ، فعافه ، فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم^(٢) ، فخرج محمد بن مسلمة رضي الله عنه يطلب له ماء ، فلم

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٦٩ ، وابن هشام ، ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) ولما غِيل جرح النبي زاد دمه ، فأحرقت بعدها فاطمة حصيداً حتى أصبح رماداً ، وكُتبت له حق لصق بالجرح فاستمسك الدم .

يحد ، فذهب إلى (مياه) ، فألقى منها بماء عذب فشرب رسول الله ﷺ ، ودعاه بخير ، وصبَّ على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمي وجه نبيه .

فبينما رسول الله ﷺ بالشَّعْبِ معه أولئك نفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل^(١) ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

وصلى رسول الله ﷺ يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلقه قعوداً^(٢) .



مَقْلُ الْيَمَانِ وَأَبْنُ وَقْش :

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد ، رفع حَسِيل بن جابر^(٣) ، وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شيخان كبيران : (ما أبالك ، ما تنتظر ؟ فوالله

(١) كانت كوكبة من الخيل ، عليها خالد بن الوليد .

(٢) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٦ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٢٢ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٤٩ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٧١ .

(٣) حَسِيل بن جابر هو أبو حذيفة بن اليمان ، الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٣ .

لا بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار^(١) ، إنما نحن هامة^(٢) اليوم أو غداً ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله ﷺ ، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ ؟) .

فأخذوا أسيافهما ثم خرجا ، حتى دخلا في الناس ، ولم يعلم بهما . فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبي ، فقالوا : والله إن عرفناه ، قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه ، فتصدَّق حذيفة بديته على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً .

مقتل قَرْمَانَ منافقاً :

قال عاصم بن عمر بن قتادة : كان عندنا رجل غريب ، لا ندري من هو^(٣) ، يقال له : قَرْمَانَ ، وكان ذا بأس وقوة ، وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر يقول : إنه لمن أهل النار . فلما كان يوم أحد قاتل قَرْمَانَ قتالاً شديداً ، وكان يرمي النبال كأنها الرمال ، ثم فعل بالسيف

(١) يُضْرَب لقرب الأجل ، فالظمء ما بين الشربتين ، والحمار لا يصبر على العطش .

(٢) الهامة كما تزعم العرب : طائر يخرج من رأس القتييل يصيح : استقوني استقوني لا يسكت حتى يؤخذ بثأره .

(٣) أي يظهر الإسلام .

الآفاعيل ، ولما أخبر ﷺ بذلك قال : إنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، وأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفر ، لأنه كان حليفاً لهم ، فجعل رجال من المسلمين يقولون : والله لقد ابتليت اليوم يا قزمان فأبشر ، فيقول : بماذا أبشر ، فوالله ما قاتلت إلا على أحساب قومي^(١) ولولا ذلك ما قاتلت^(٢) .

وقال له قتادة رضي الله عنه : هنيئاً لك الشهادة يا أبا الغيداق ، فقال قزمان : إني والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت إلا على الحفاظ أن تسير إلينا قريش حتى تطأ أرضنا . فلما اشتدت عليه الجراحة ، أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه^(٣) ، وعند ذلك جاء رجل إلى رسول الله فأخبره بذلك ، فقال ﷺ : « أشهد أنني رسول الله حقاً »^(٤) .

سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله ؟

(١) أي على شرفهم ومفاخرهم ، ومناصرة لهم .

(٢) فلم يقاتل لإعلاء كلمة الله ورسوله وقهر أعدائها .

(٣) قطع عروفاً في باطن الذراع يقال لها الزواحق ، وقيل أيضاً : جعل ذباب سيفه في صدره بين ثدييه ثم تحامل عليه حتى قتل نفسه ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٢ .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٧١ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٦ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٣١ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٢ ، الكامل في التاريخ ، ج ١ ص ١١٢ .

فقال ﷺ : « من يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » ، وقال : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ^(١) .

مَقْتَلُ مَخْرِيْقٍ :

وكان ممن قتل يوم أحد مخريق ، وكان أحد بني ثعلبة بن الفِطَيون ، قال لما كان يوم أحد : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم سبت ، قال : لا سبت لكم ، فأخذ سيفه وَعَدَّتْهُ وقال : إن أُصِبْتُ فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ ، فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله ﷺ : مخريق خير يهود . وجعل رسول الله ﷺ أموال مخريق ، وكانت سبع حوائط ، أوقافاً بالمدينة لله . فكانت أول وقفٍ بالإسلام ^(٢) .

الأَصِيرُ عَمْرُو بْنُ وَقْشٍ :

رَجُلٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطْ ، فكيف كان ذلك ؟!؟

كان أَصِيرُمُ يَأْبَى الْإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى أُنْدُ ، شرح الله صدره للإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ورمحه ولأُمته فغدا

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٢ .

(٢) الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٨٠ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٧ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٣١ ،

السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٧٣ .

حتى دخل في عَرْض الناس^(١) ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلمسون قتلاهم في المعركة إذ هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث ، فسألوه ما جاء به ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحذب على قومك ، أم رغبة في الإسلام ؟

قال الأصيرم : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله ، وأسلمت ، ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله ﷺ ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله ﷺ ، فقال : إنه لمن أهل الجنة^(٢) .

عمرو بن الجموح :

كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل قد عذرك ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة . فقال

(١) عَرْض الناس : جانبهم وناحيتهم .

(٢) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٣ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٧ ، السيرة النبوية والآثار

المحمدية ، ج ٢ ص ٥٤ ، الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٣ . عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٧ .

ﷺ : أما أنت فقد عذرك الله ، فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة ، فخرج معه وقد أخذ سلاحه وأقبل على القبلة وقال : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني خائباً إلى أهلي ، وقال : يا رسول الله ، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل ، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة ؟ فقال رسول الله ﷺ : كآني أنظر إليك تمشي برجليك هذه صحيحة في الجنة^(١) واستشهد رضي الله عنه في أحد .



هَذَا تُمَثِّلُ بِحُمْرَةِ :

ومثَّلتِ هند بنت عتبة - والنسوة اللاتي معها - بشهداء أحد ، يجدن الآذان والآنف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً^(٢) وقلائد ، وأعطت خدماً وقلائدها وقرطتها وحشياً غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة ، فلاكته ، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها ، فقالت :

(١) وفي رواية قال ﷺ : « لقد رأيته يطأ في الجنة بمرجته » ، ويمكن الجمع بين الروایتين بأنه في أول دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ، ثم تصير صحيحة في الجنة .

(٢) الخدم : الخلاخيل .

نَحْنُ جَزَيْنَاكَ يَوْمَ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سَعْرِ
 مَا كَانَ لِي عَنْ عَثْبَةٍ مِنْ صَبْرٍ وَلَا أَخِي وَعَمِّهِ وَبَكْرِ
 شَفِيتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي شَفِيتَ وَحْشِي غَلِيلَ صَدْرِي
 فَشَكَرْتُ وَحْشِي عَلَيَّ عُمْرِي حَتَّى تَرِمَ الْعَظْمِي فِي قَبْرِي

فأجابتها هند بنت أثناة بن عبّاد بن المطلب فقالت :

خَزَيْتِ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ يَا بِنْتَ وَقَاعٍ عَظِيمِ الْكَفْرِ
 صَبَّحَكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ مِ الْهَاشِمِيِّينَ الطَّوَالِ الزُّهْرِ^(١)
 بِكُلِّ قَطَّاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي حَمَزَةُ لَيْثِي وَعَلِيٌّ صَقْرِي
 إِذَا رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكَ غَدْرِي فَخَضْبًا مِنْهُ ضَوَاحِي النَحْرِ
 وَنَذْرِكَ السَّوَاءَ فَشَرُّ نَذْرٍ^(٢)

ومرّ الحليس بن زَبَان ، أخو بني الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، مرّ بأبي سفيان ، وهو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب ، بزج الرمح ، فقال الحليس : يا بني كنانة ، هذا سيد قريش يصنع بآبن عمه ما ترون لحماً^(٣) ، فقال أبو سفيان :

(١) م الهاشميين : أرادت من الهاشميين ، والزهر : البيض .

(٢) الأبيات في : ابن هشام ، ج ٢ ص ٣٦ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٧ ، السيرة النبوية لابن

كثير ، ج ٢ ص ٧٤ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٨ .

(٣) أي ميتاً لا يستطيع الدفاع عن نفسه .

ويحك !! اكتمها عني ، فإنها كانت زلة^(١) .

وحين أراد أبو سفيان الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته فقال : أنعمت فعال^(٢) ، وإن الحرب سجال ، مرة لنا ومرة علينا ، يوم أحد بيوم بدر ، يوم نساء ويوم نسر ، حنظلة بحنظلة^(٣) ، وفلان بفلان .. أعلُ هَبَل^(٤) ، أعلُ هَبَل ..

فقال رسول الله ﷺ : قم يا عمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ، لا سواء^(٥) ، قتلنا في الجنة وقتلنا في النار ، فلما أجاب عمر أبا سفيان ، قال له أبو سفيان : هلم إلي يا عمر ، فقال رسول الله ﷺ لعمر : ائته فانظر ماشأنه ، فجاء فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه لسمع كلامك الآن ، قال أبو سفيان : أنت أصدق عندي من ابن قنئة وأبر^(٦) .

ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مثل ، والله ماضيت ، وما سخطت ، وما نهيت ، وما أمرت ، ولما هم بالانصراف ومن معه

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٧ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٨ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٣٧ .

(٢) خطاباً لنفسه وللأزلام التي استقسم بها قبل خروجه من مكة ، ويقصد : بالغنا في فعالنا .

(٣) حنظلة بن أبي سفيان قُتل ببدر ، وقتل حنظلة غسيل الملائكة بأحد .

(٤) أي زد علواً ، وأظهر دينك .

(٥) أي نحن وأنتم لسا سواء ، ولا ينبغي لك أن تقول هذا .

(٦) لقول عبد الله بن قنئة : إني قد قتلت محمداً .

نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد .

ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وقال له : اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل^(١) وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده ، لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأنجزهم .

قال علي رضي الله عنه : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة .



لماذا لم يهاجم أبو سفيان المدينة ؟

لقد فكر أبو سفيان في نهب المدينة ، فهذا أمر يخطر في البال ، مادام جيش المسلمين في أحد يعتني بجرحاه ، ويدفن قتلاه ، بعد أن أعاد تجمعه . ولكن صفوان بن أمية قال : لاتفعلوا ، فإنكم لاتدرون ما يغشاكم فيها .

(١) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم ليستعملوها وقت الحاجة .

حقّق أبو سفيان بعد هزيمة نصرّاً لم يكن يملك مقومات تحقيقه ،
ولولا خطأ الرماة ما أحرزه ، فهو ليس بقدره احتلال المدينة بعد تنظيم
جيش المسلمين ، وعندها سيشارك كل من في المدينة - شيوخاً ونساء
وصبياناً - في سحق أبي سفيان ومن معه .

لقد اكتفى المشركون بقيادة أبي سفيان سمعة بين القبائل ،
وأعادوا اعتبار قريش بعد هزيمة بدر . فتحقق الهدف الإعلامي من
أحد .

وعرف أبو سفيان أيضاً قدرة المسلمين العسكرية الحقيقية ،
بدليل .. لما أراد الرجوع إلى حمراء الأسد - كما سيم معنا - وعلم أن النبي
ﷺ أعاد استعداداته وسار إليه ، فرأى أبو سفيان ومن معه ، قرّة
المنتصرون ، فهم على يقين أنهم ليسوا بقدره المسلمين القتالية .

إن النصر الذي أحرزه أبو سفيان ، أحرزه مغلوب منهزم ، أخطأ
خصمه خطأ واحداً قرّر مصير المعركة لصالح المنهزم المغلوب ، ولولاه
ما عرف النصر . فآثر الانسحاب إلى مكة ، وعدم دخول المدينة ،
حفاظاً على الكسب الذي حقّقه ، ولم يكن بمقدوره تحقيقه لولا خطأ
الرماة المسلمين .



بعد

☆ « ادفنوهم حيث صرِعوا ،
(١)
ادفنوهم بدمائهم وثيابهم » .
« رسول الله ﷺ »

سعد بن الربيع « رحمه الله نصح الله ولسوله حيّاً وميتاً » :
وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله ﷺ : من رجل ينظر لي
ما فعل سعد بن الربيع ؟ في الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل
من الأنصار ، وهو محمد بن مسلمة (٢) : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل
سعد . فنادى في القتلى : يا سعد بن الربيع مرة بعد مرة ، فلم يجب
أحد ، قال : يا سعد إن رسول الله ﷺ أرسلني أنظر ما صنعت ، فأجابه
حينئذ بصوت ضعيف ، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق ،
فقال له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أم في
الأموات ؟

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٨٥ .

(٢) أو : « أبي بن كعب » .

قال سعد بن الربيع : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلصَ إلى نبيكم ﷺ ، ومنكم عين تطرف ، الله ، الله ، وما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، فوالله ما لكم عند الله عذر^(١) .

ثم لم يبرح محمد بن مسلمة حتى مات سعد ، فجاء رسول الله ﷺ فأخبره خبره ، فقال ﷺ : « رحمه الله ، نصح الله ولرسوله حياً وميتاً » .

دخل رجل على أبي بكر الصديق و بنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يقبلها ويلاعبها ويلطفها في حنان ، فقال له الرجل : من هذه ؟ قال : هذه بنت رجل خير مني ، سعد بن الربيع ، كان من النقباء يوم العقبة ، وشهد بدرأ ، واستشهد يوم أحد .

(١) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٤ ، الروض الأنف ، ج ٢ ص ١٧١ ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١١٢ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٢٨ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٩ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٩ ، ابن هشام ، ج ٢ ص ٢٨ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٧٨ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٩ .

سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ :

وخرج رسول الله ﷺ يلتس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ، ومثّل به ، فجُدع أنفه وأذناه ، فلما رأى ﷺ ما رأى ، قال : لولا أن تحزن صفيّة ، ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثّلن بثلاثين رجلاً منهم ^(١) .

وقال ﷺ : رحمة الله عليك ، فإنك كنت ما علمتك فعولاً للخيرات ، وصولاً للرحم . وبكى رسول الله ﷺ وانتحب حتى شهق ، وقال : يا عم رسول الله ، وأسد الله ، وأسد رسول الله ، يا حمزة يا فاعل الخيرات ، يا حمزة ياكشف الكربات ، يا حمزة يا ذاب ^(٢) عن وجه رسول الله ^(٣) .

وقال المسلمون لما رأوا حزن رسول الله ﷺ وغيظه على ما فعل

(١) ابن هشام ، ج ٣ ص ٢٩ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٦١ وفي الروض الأنزه (مخطوطة) ص ٤ « لأمثّلن بـسبعين منهم » .

(٢) الذاب : المانع الدافع ، مختار الصحاح ، ص ٢١٩ .

(٣) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٤٠ ، وابن هشام ، ج ٣ ص ٢٩ .

بعمه : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر ، لتمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب .

وقال ﷺ وهو واقف أمام جثة حمزة : لن أصاب بمثلك أبداً^(١) ، ماوقفت موقفاً قط أغيظ إليّ من هذا ، ثم قال : جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله^(٢) .

وأنزل الله عز وجل في قول رسول الله ﷺ ، وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُو خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾^(٣) . فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة^(٤) . وصار كلما فارق مقاماً أمر بالصدقة .

وقال ﷺ لأصحابه : « استووا حتى أثني على ربي عز وجل ،

(١) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٤٠ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٧٩ .

(٢) وكان رسول الله ﷺ وحمزة وأبوسلمة بن عبد الأسد ، إخوة من الرضاعة ، أرضعتهم ثويبة مولاة لأبي لهب .

(٣) سورة النحل ، الآيات الكريمات : ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ .

(٤) وفي الروض الأنزه ، ص ٤ : « فقال ﷺ : بل نصبر ، وكفر عن يمينه » ، المخطوطة .

فصاروا خلفه صفوفاً ، فقال : اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قرّبت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك .

اللهم إني أسألك النعم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعم يوم العيلة ، والأمن يوم الخوف .

اللهم إني عائد بك من شرّ ما أعطيتنا ، وشرّ ما منعتنا .

اللهم حبّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

اللهم توفّنا مسلمين ، وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين .

اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدّون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك .

اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب^(١) ، إله الحق^(٢) .

(١) أوتوا الكتاب ولم يأخذوا بأحكامه .

(٢) رواه النسائي ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٧٧ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٨ .

وأقبلت صفيّة بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة ، وكان أخاها
لأبيها وأمها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام : القها
فأرجعها لاترى مابأخيها ، فقال لها : يأممه ، إن رسول الله ﷺ
يأمرك أن ترجعي ، قالت : وَلِمَ ؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي ،
وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحسنين ولأصبرن إن شاء
الله . فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، قال ﷺ :
خَلِّ سبيلها ، فأتته فنظرت إليه ، واسترجعت قائلة : « إنا لله وإنا
إليه راجعون » ، واستغفرت له . ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن^(١) .

وسجي حمزة بثوب ألقاه عليه رجل من الأنصار ، ثم قام آخر
فرمى بثوبه عليه ، فقال ﷺ : « يا جابر هذا الثوب لأبيك » ، وكَفَنَ
حمزة بقميص كانوا إذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه ، وإن مدوها على
رجليه انكشف رأسه ، فمدوها على رأسه ، وجعلوا على رجليه الإذخر أو
الحرمَل^(٢) .

وجاء في بعض الروايات : « ثم أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجي

(١) الروض الأنزه ، ص ٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٨٢ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٢٩ ،

الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١١٢ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٤١ .

(٢) نباتان معروفان في الحجاز . وجابر الذي خاطبه رسول الله ﷺ هو : جابر بن عبد الله بن

عمرو بن حرام بن غم بن كعب الأنصاري السلمي .

ببردة ثم صلى عليه ، فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة ، صلى عليهم ، وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ^(١) .

لقد أجمع الفقهاء على ترك غسل الشهيد ، واختلفوا في الصلاة عليه ، والأرجح أن حديث الصلاة هذا لم يثبت ، ولهذا لم يأخذ به فقهاء الحجاز والأوزاعي ^(٢) .

ودفن مع حمزة في قبر واحد ابن أخته عبد الله بن جحش ^(٣) ، وكان قد مثل به ، غير أنه لم يقرر بطنه .

وذكر سعد بن أبي وقاص أنه هو وعبد الله بن جحش دَعَا بدعوة فاستجيب لهما ، فدعا سعد أن يلقي فارساً من المشركين شديداً بأسه ، شديداً حرده ^(٤) ، فيقتله ، ويأخذ سلبه . فقال عبد الله آمين .

ثم استقبل عبد الله القبلة ، ورفع يديه إلى السماء ، وقال : اللهم

(١) وهذا غريب وسنده ضعيف كما يذكر ابن كثير في السيرة النبوية ، ج ٢ ص ٨٠ ، تفرد به الإمام أحمد ، وضعفه في سنده من جهة عطاء بن السائب .

(٢) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٤ ، وفي الروض الأنزه ، ص ٥ ، جاء : « ولم يصل عليه ﷺ كما هو الأثبت » . وراجع : البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٤٠ ، والروض الأنف ، ج ٢ ص ١٧٩ ، وفي ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٦ : « ولم يصل النبي على الشهداء » .

(٣) أمه أمية بنت عبد المطلب ، فحمزة خاله .

(٤) الحرّد : الغضب ، مختار الصحاح ص ١٢٩ .

لقني اليوم فارساً شديداً بأسه ، شديداً حرده ، يقتلني ويمجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك غداً تقول لي : يا عبدي : فِيمَ جُدَعُ أَنْفُكَ وَأُذْنُكَ ؟ فأقول : فيك يارب وفي رسولك ، فتقول لي : صدقت ، قل ياسعد : آمين ، قال سعد : فقلت : آمين ، ثم مررت به آخر النهار قتيلاً مجدوع الأنف والأذنين ، ولقيت أنا فارساً من المشركين فقتلته ، وأخذت سلبه ^(١) .



مَا وَرَدَ فِي شَهَادَةِ أَحَدٍ :

☆ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ^(٢) .

عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هذه الآية ، فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعه

(١) قتل عبد الله بن جحش أبو الحكم بن الأخنس بن شريق ، وسمي عبد الله رضي الله عنه (المجدع في الله) بعد جدع أنفه وأذنيه ، الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٦٩ .

فيقول : يا عبادي ، ماتشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! « يُسألون ويحييون ثلاثاً » ثم يقولون : إلا أننا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، ثم نرد إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أخرى ^(١) .

ونظر رسول الله ﷺ إلى جابر بن عبد الله وقال : « مالي أراك مُهْتَمًّا ؟ قال : قلت : يا رسول الله قُتِلَ أَبِي وترك ذيناً وعبالاً ^(٢) ، فقال : ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كِفَاحاً ، وقال له : يا عبدي سَلْنِي أعطك ، فقال : أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق مني القول : أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يارب فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ . » .

وقال رسول الله ﷺ في قتل أحد : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، أنه ما من جريح يُجرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمِي جرحه ،

(١) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٤٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٨٨ . السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٦٨ .

(٢) قال جابر : لما حضر أحد ، دعاني أبي من الليل فقال لي : ما أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتل من أصحاب رسول الله ﷺ ، وإني لأترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله ﷺ ، وإن عليّ ذنباً فاقض واستوص بأخواتك خيراً ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٨٧ .

اللون لونُ دم ، والريح ريح مسك .

وأمر رسول الله ﷺ بنزع الحديد والجلود عنهم ، وقال :
« ادفنوهم بدمائهم وثيابهم ، ادفنوهم حيث صرعوا »^(١) .

وقال ﷺ : « احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرُّجلين والثلاثة في
القبر الواحد ، قيل : يا رسول الله فأَيُّهم يُقدِّم ؟ قال : أكثرهم
قرآنًا » . وفي رواية : « انظروا أكثر هؤلاء جمعًا للقرآن ، فاجعلوه أمام
أصحابه في القبر ، انظروا إلى عمرو بن الجوح ، وعبد الله بن عمرو بن
حرام ، فإنها كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد »^(٢) .

وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، وأرسل
بعضهم ناضحاً^(٣) ليحمل شهيداً إلى المدينة ، فقال ﷺ : « والذي نفسي
بيده لا يُدفن إلا مع إخوته » ، أي حيث صرع .

وروى البيهقي عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يأتي قبور
الشهداء ، فإذا أتى قَرْضَةَ الشَّعْبِ قال : « السلام عليكم بما صبرتم فنعم

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٨٥ .

(٢) جاء في (الروض الأنزه ، ص ٥) : ودفن حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير في قبر
واحد .

(٣) الناضح : البعير ، (مختار الصحاح ، ص ٦٦٤) .

عَثْبِي الدار» ، ثم كان أبو بكر بعد النبي ﷺ يفعلُه ، وكان عمر بعد أبي بكر يفعلُه ، وكان عثمان بعد عمر يفعلُه^(١) .



الْعُودَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ :

ولما عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ، كانت حَمْنَةُ بنت جحش على مشارفها ، فلما لقيها الناس نعوأ إليها أخاها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ! فقال رسول الله ﷺ : إن زوج المرأة منها لمكان ، لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها ، ثم قال لها : لِمَ قلت هذا ؟! قالت : تذكرت يتم بنيه فراغني ، فدعا لها ﷺ أن يحسن الله تعالى عليهم الخلف ، فتزوجت طلحة بن عبيد الله ، فكان أوصل الناس لولدها ، وولدت له محمد بن طلحة^(٢) .

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٨٩ .

(٢) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٦٧ ، وطلحة بن عبيد الله من العشرة المبشرين بالجنة ، وماضيه في الإسلام عريق ، اتقى النبل في أحد عن رسول الله ﷺ بيده ، حتى شَلَّتْ إصبعه ، قال أبو بكر الصديق : (ذاك يوم طلحة) ، ونزفه يوم أحد الدم حتى غشي عليه ، ونفخ أبو بكر الماء في وجهه حتى أفاق ، فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قال له أبو بكر : هو بخير ، وهو أرسلني إليك ، فقال : الحمد لله ، كل مصيبة بعده جَلَل ، أي قليلة ، إنه : طلحة الخير ، طلحة الفيّاض .

وجاءت أم سعد بن معاذ تعدونحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه ، وسعد بن معاذ أخذ بلجامها ، فقال له سعد : يا رسول الله أمي ، فقال ﷺ : مرحباً بها ، فوقف لها ، فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ فعزّاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو بن معاذ ، فقالت : أما إذا رأيتك سالماً فقد اشتويت المصيبة - أي استقلتتها - ، ودعا رسول الله ﷺ لأهل من قُتل بأحد ، بعد أن قال لأم سعد : يا أم سعد أبشري ، وبشري أهلهم أن قتلهم ترافقوا في الجنة جميعاً ، وقد شفّعوا في أهلهم جميعاً ، قالت : رضينا يا رسول الله ، ومن يبكي عليهم بعد هذا ؟ ، ثم قالت : يا رسول الله ، ادع لمن خلفوا ، فقال : « اللهم أذهب حزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا » .

ومرّ ﷺ بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نَعُوا لها قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : كل مصيبة بعدك جلل^(١) .

(١) جلل : تريد صغيرة ، وجاء في السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٦٥ : قالت : أرونيّه حتى أنظر إليه ، فلما رآته ﷺ قالت : كل مصيبة بعدك جلل ، ولم تكثر بمقتل أخيها وأبيها وزوجها وابنها ، حق جاءت رسول الله ﷺ وأخذت بناحية ثوبه ، ثم جعلت تقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا أبالي إذ سلمت من عطب ، واسم المرأة : (أم عامر الأشهلية) على الأغلب .

وسمع ﷺ نساء الأنصار يبكين على أزواجهن وأبنائهن وإخوانهن ، فقال بعد أن ذرفت عيناه : لكن حمزة لا بواكي له ، فأمر سعد بن معاذ وأسيد بن حضير نساء من قومهما أن يذهبن إلى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة^(١) .

ونزل ﷺ عن فرسه مستنداً على السعدين ، ودخل بيته ، ولما أذن بلال لصلاة المغرب ، خرج ﷺ على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين ، فصلى ﷺ ، فلما رجع من المسجد سمع البكاء ، فقال : ما هذا ؟ فقيل : نساء الأنصار يبكين حمزة ، فقال : رضي الله عنكن وعن أولادكن ، وأمر أن ترد النساء إلى منازلهن ، وقال : ارجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتن بأنفسكن ، ونهى يومئذ عن النوح^(٢) .

وباتت وجوه الأنصار تلك الليلة على بابهِ ﷺ بالمسجد يحرسونه ، خوفاً من أي طارئ ، أو تحسباً من أن ترسل قريش عيناً ، أو رجلاً مأجوراً ليقتل رسول الله ﷺ ، كما فعلت بعد بدر .



(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٦٨ .

(٢) لم ينه عن البكاء ، ولكنه نهى ﷺ : « إن فعلن فلا يغمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شراً ولا يشقن جيئاً » .

عَسَدُ السُّيُوفِ :

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ، ناول سيفه (ذو الفقار) إلى ابنته فاطمة ، وقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنيّة ، فوالله لقد صدقني اليوم . وناولها علي رضي الله عنه سيفه فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم ، وقال رضي الله عنه :

أَفَاطِمُ هَاتِي السِّيفَ غَيْرَ ذَمِيمٍ فَلَسْتُ بِرَعْدِيدٍ وَلَا بِلُئِيمٍ^(١)
فقال ﷺ : لئن كنت صدقت القتال ، لقد صدق معك سهل بن حنيف^(٢) وأبو دجانة .

(١) الروض الأتف ، ج ٢ ص ١٧٦ .

(٢) سهل بن حنيف : كان مشهوراً بالرماية ، وكان ممن ثبت مع رسول الله ﷺ في أحد ، وبايعه على الموت ، ولما انكشف الناس ، جعل ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ ، ويقول ﷺ : انبلوا سهلاً ، أي أعطوه نبلاً . (السيرة النبوية والآثار الحمديّة ، ج ٢ ص ٤٢) .

غزوة حمراء الأسد

الأحد ١٦ من شوال ٣ هـ

☆ لقد كان رسول الله ﷺ
بارعاً في علم النفس ، فحفظ
معنويات جنوده مرتفعة عالية ،
قال ﷺ : « لا يصيب المشركون منا
مثلاً حتى يفتح الله علينا »^(١) .

وفي يوم الأحد السادس عشر من شوال ، السنة الثالثة للهجرة ،
أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو ، وأن لا يخرج من معنا
أحد إلا من حضر يومنا بالأمس^(٢) .

وقال جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام : يارسول الله ، إن أبي
كان خلفني على أخوات لي سبع ، وقال : يا بني ، إنه لا ينبغي لي
ولالك أن تترك هؤلاء النسوة لارجل فيهن ، ولست بالذي أوثرك

(١) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٩٤ ، البداية والنهاية ،
ج ٤ ص ٤٧ ، ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٧ .

(٢) ابن هشام ، ج ٣ ص ٤٤ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٤٩ وفي السيرة النبوية لابن كثير : فقال
عبد الله بن أبي بن سلول : أنا راكب معك ، فقال رسول الله ﷺ : لا .

بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي ، فتخلف على أخواتك ، فتخلفت عليهن ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فخرج معه ^(١) .

سَبَبُ حَرِّ الْأَسَدِ :

خرج رسول الله ﷺ والمسلمون في طلب أبي سفيان والمشركين ، إرهاباً لهم ، وليظنوا أن بهم قوة ، وأن الذي أصابهم في أحد لم يوهنهم عن عدوهم ^(٢) .

وتلاوم المشركون ، وقال بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئاً ، أصبتم شوكة القوم وخذمهم ، ثم تركتموهم ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم .

أمام هذا الواقع ، وعلى ما في المسلمين من قروح ، أمر رسول الله ﷺ بطلب العدو ليسمعوا بذلك ، وليعلموا أن بالمسلمين قوة تقف في وجههم ، وأن انتصار المغلوب ، سينهار مع الزمن القريب .

وشهد رجل من بني عبد الأشهل - مع أخيه - أحداً مع رسول الله

(١) ومرّ معنا استشهاد أبيه في أحد ، ومكاته بين الشهداء .

(٢) قال ابن سعد : « ودعا رسول الله ﷺ بلوائه وهو معقود لم يحل - أي لم يحل بعد أحد - فدفعه إلى علي بن أبي طالب » عيون الأثر ، ج ٢ ص ٣٨ .

ﷺ ، ورجعا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو . فقال لأخيه : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟! والله مالنا من ذابة نركبها ، ومامنا إلا جريح ثقیل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وكنت أيسر جرحاً ، فكان إذا غلب حملته عَقْبَةٌ^(١) ، ومشى عَقْبَةٌ ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .



مَعْبِدُ بْنُ أَبِي مَعْبِدٍ الْخَزَاعِي

ومرَّ معبد بن أبي معبد الخزاعي بالمسلمين ، وكانت خزاعة - مسلمهم ومشرکهم - مكن سرَّ رسول الله ﷺ بتهامة ، لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، شعورهم وميلهم مع رسول الله ﷺ ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم .

ثم خرج معبد ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد ، حتى لقي أبا

(١) عَقْبَةٌ : بوزن غَلْبَةٍ : التَّوْبَةُ .

سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء^(١) ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حذاً أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكرنَّ على بقيتهم فلنفرغنَّ منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال أبو سفيان : ويحك ! ماتقول ؟ قال معبد : والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصي الخيل . قال أبو سفيان : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم ، لنستأصل بقيتهم ، قال معبد : فإني أنهارك عن ذلك ، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من الشعر ، قال : وما قلت ؟ قال معبد : قلت :

كَادَتْ تُهْدِمُ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي إِذْ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ^(٢)
تُرْدِي بِأُسْدٍ كَرَامٍ لَا تَنَابِلَةَ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلَ مَعَاذِيلِ^(٣)

(١) الرُّوْحَاءُ : اسم لموضع بين مكة والمدينة ، قال ياقوت : « الروح والراحة من الاستراحة ، ويوم روح أي طيب » ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ٧٦ والروحاء فج واسع يقع على طريق المدينة - مكة ، على مقربة من حمراء الأسد .

(٢) الجرد : عتاق الخيل ، والأبَابِيل : الجماعات .

(٣) تردي : تسرع ، والتناقلة : القصار ، والميل : الذين لارماح معهم ، والمعاذيل : القُرْل من السلاح .

فظلت عَدُوًّا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً لِمَا سَمَوُا بِرُئُوسٍ غَيْرِ مَخْذُولٍ
فقلت وَيَلَّ ابْنُ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ

إِذَا تَغَطَّمْتَ^(١) الْبَطْحَاءُ بِالْجَيْلِ^(٢)

إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسْلِ^(٣) ضَاحِيَةٌ لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولٍ
مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لَا وَخْشَ^(٤) تَنَابُلَةٍ وَلَيْسَ يَوْصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقَيْلِ

فَتَنَى ذَلِكَ أَبَا سَفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ^(٥) .

وَمَرَّ بِأَبِي سَفْيَانَ رَكَبٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُونَ ؟
قَالُوا : نَرِيدُ الْمَدِينَةَ . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالُوا : نَرِيدُ الْمِيرَةَ ، قَالَ : فَهَلْ أَنْتُمْ
مَبْلَغُونَ عَنِّي مُحَمَّدًا رَسُولًا أَرْسَلَكُمْ بِهَا إِلَيْهِ وَأَحْمِلْ لَكُمْ إِبْلَكُمْ هَذِهِ غَدًا زَيْبًا
بِعَظَاظٍ إِذَا وَافَيْتُمُوهَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ فَأَخْبِرُوهُ أَنَا قَدْ
أَجْمَعْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ لِنَسْتَأْصِلَ بِقِيَّتِهِمْ^(٦) .

فَمَرَّ الرُّكْبُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِحِمْرَاءِ الْأَسَدِ ، فَأَخْبَرُوهُ^(٧) بِالَّذِي

(١) تَغَطَّمْتَ : اهْتَزَتْ .

(٢) الْجَيْلُ : الصَّنْفُ مِنَ النَّاسِ .

(٣) أَهْلُ الْبَسْلِ : قُرَيْشٌ ، وَالضَّاحِيَةُ : الظَّاهِرَةُ لِلشَّمْسِ ، وَالْإِرْبَةُ : الْعَقْلُ .

(٤) الْوَخْشُ : الرَّدِيءُ ، وَذَلَّةُ النَّاسِ .

(٥) ابْنُ هِشَامٍ ، ج ٣ ص ٤٥ ، السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ كَثِيرٍ ، ج ٣ ص ١٠٠ .

(٦) الرُّوْضُ الْأَنْفُ ، ج ٣ ص ١٨١ ، ابْنُ هِشَامٍ ، ج ٣ ص ٤٥ ، السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ وَالْأَثَارُ الْمَحْمُودِيَّةُ ،

ج ٢ ص ٧٧ .

(٧) فِي الرُّوْضِ الْأَنْفِ ، ج ٣ ص ١٨١ : « وَكَانَ الْمَوْصِلُ مَقَالَتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ نَعِيمٌ بْنُ مَسْعُودٍ » .

قال أبو سفيان ، فقال : حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيل .

ومن أسباب عودة أبي سفيان وانسحابه إلى مكة ، قول صفوان بن أمية لقريش : لاتفعلوا ، فإن القوم قد حربوا^(١) ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان ، فارجعوا ، فرجعوا . فقال رسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم همُّوا بالرجعة : « والذي نفسي بيده ، لقد سُوِّمت لهم حجارة ، لو صَبَّحُوا بها ، لكانوا كأمس الذاهب »^(٢) .

وفي حمراء الأسد ، كان المسلمون يوقدون تلك الليالي - الاثنين والثلاثاء والأربعاء - خمسمائة نار ، حتى تُرى من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل جهة^(٣) . وأظهرت هذه النيران أن المسلمين أُلوف مؤلفة ، وأن عددهم كبير جداً .

☆ ☆ ☆

(١) حربوا : غضبوا .

(٢) ابن هشام ، ج ٣ ص ٤٦ .

(٣) السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٧٧ .

أبو عزة الجمحي الشاعر :

☆ « المؤمن لا يُلدغ من جُحرٍ مرتين » .
لقد جعل ﷺ التجربة قريناً للإيمان .

وظفر ﷺ بأبي عزة عمرو بن عبد الله الجمحي ، وكان قد أسره بيدر ، ثم مَنَّ عليه من غير فداء لأجل بناته ، وكان شاعراً يشتغل بسب النبي ﷺ وهجاء أصحابه ، ويستنفر الناس للقتال ، وكان عاهد النبي ﷺ بعد بدر على أن لا يعود إلى شيء من ذلك ، فلما مَنَّ عليه وأطلقه ، رجع إلى مكة ونقض العهد ، واشتغل بما كان مشتغلاً به قبل من السَّبِّ والهجاء ، فلما كان يوم أُحُد خرج مع المشركين وهو على ذلك الحال ، فلما نزل المشركون بحمراء الأسد نزل معهم ، ثم ساروا وتركوه نائماً ، فأدركه المسلمون وأسروه ، وكان الذي أسره عاصم بن ثابت رضي الله عنه ، فلما ظفر به ﷺ قال : يا رسول الله أقلني وامنن علي ودعني لبناتي ، وأعاهدك أن لا أعود ، فقال ﷺ : « لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمداً مرتين ، إن المؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت » ؛ فضرب عنقه ^(١) .

☆ ☆ ☆

(١) اعتدنا رواية السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٧٩ ، والبداية والنهاية ، ج ٤ ص ٤٦ .

وظفر ﷺ أيضا بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، جد عبد الملك بن مروان ، أبو أمه عائشة ، فأمر بقتله ، وخلاصة قصته ، أنه لما رجع المشركون من أحد ، ذهب على وجهه ، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فدقّه ، فقالت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ : من أنت ؟ قال : ابن عم عثمان ، فقالت : ليس هو هنا ، فقال : أرسلني إليه فله عندي ثمن بغير كنت اشتريته منه . فجاء عثمان رضي الله عنه ، فلما نظر إليه قال : أهلكني وأهلكت نفسك ، فقال : يا ابن عم ، لم يكن أحد أمس بي منك فأجرني . فأدخله عثمان رضي الله عنه منزله ، وجعله في ناحية ، ثم خرج عثمان رضي الله عنه ليأخذ له أماناً من رسول الله ﷺ ، فسمع رسول الله ﷺ يقول : إن معاوية بالمدينة فاطلبوه ، فدخلوا منزل عثمان رضي الله عنه ، فأشارت إليهم أم كلثوم رضي الله عنها بأنه في ذلك المكان ، بعد أن علمت أن رسول الله ﷺ أمرهم بذلك ، فأخرجوه وأتوا به رسول الله ﷺ ، فأمر بقتله ، فقال عثمان رضي الله عنه : والذي بعثك بالحق ماجئت إلا لأخذ له أماناً ، فهبه لي ، فوهبه له وأجله ثلاثاً ، وأقسم أنه إن وجدته بعدها قتله .

وخرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد فأقام معاوية ثلاثاً ليستعلم أخبار رسول الله ﷺ ليأتي بها قريشاً ، فلما كان في اليوم الرابع ، عاد

رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فخرج معاوية هارباً ، فقال ﷺ : إنكم ستجدونه بموضع كذا وكذا فاقتلوه ، فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فقتلاه ^(١) .



عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وكان لعبد الله بن أبي بن سلول مقام يقومه كل جمعة لا ينكر ، شرفاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزّروه ^(٢) ، واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس . حتى إذا صنع يوم أحد ماصنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعل ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أي عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ماصنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنا قلت بجزاً ^(٣) أن قت أشدد أمره ، فلقى رجل من الأنصار بباب المسجد ، فقال : مالك ؟ ويلك !! قال : قت أشدد أمره ، فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني ،

(١) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٧٨ .

(٢) عزّروه : عظموه .

(٣) البجر : الأمر العظيم ، والبجاري : الدواهي .

لكنما قلت بجرأ أن قت أشدد أمره ، قال الأنصاري : ارجع يستغفر
لك رسول الله ﷺ ، قال : والله ما أتغي أن يستغفر لي .

لقد كان يوم أحد ، يوم بلاء ومصيبة وتمحيص ، اختبر الله به
المؤمنين ، وعن به المنافقين ، ممن كان يظهر الإيمان بلسانه ، وهو
مستخف بالكفر في قلبه ، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة
من أهل ولايته .



ما أنزل الله في أحد من القرآن الكريم

☆ قال المسور بن مخزومة لعبد

الرحمن بن عوف : « أخبرني عن

قصتك يوم أحد ، قال : اقرأ العشرين

ومائة من آل عمران تجدها : ﴿ وإذ

غدوت من أهلِكَ تبسّئ المؤمنين

مقاعِد للقتال ۞ .

أنزل الله ستين آية فيها صفة ما كان في يوم أحد ، وهي أواخر
سورة آل عمران ^(١) .

﴿ وإذ غدوت من أهلك تبسّئ المؤمنين مقاعد للقتال ، والله سميع
عليم ۞ ^(٢) ، أي سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون . ۞ إذ همّت طائفتان
منكم أن تفشلا ۞ أي تتخاذلا ، والطائفتان هما : بنو سلمة بن جشم بن
الحزرج ، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس ، يقول تعالى : ﴿ والله
وليها ۞ أي المدافع عنها ما همّتا به من فشلها ، وذلك أنه إنما كان ذلك
منها عن ضعف ووهن أصابها غير شك في دينها ، فتولّى دفع ذلك
عنها برحمته ، حتى سلمتا من وهنها وضعفها ، ولحقّا بنبيها ﷺ .

(١) من الآية الكريمة : ١٢٠ ، حتى آخر السورة الآية الكريمة : ٢٠٠ .

(٢) سنورد هنا بعض الآيات .

وقالت الطائفتان : ما نحب أنألم نهم بما هممنا به ، لتولي الله إيانا في ذلك .

ثم ذكر عز وجل سبب المصيبة التي نزلت بهم ، والبلاء الذي أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذهم الشهداء منهم ، فقال تعزية لهم ، وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ، ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسخكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾ أي نصرها بين الناس للبلاء والتمحيص ، ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾ ، أي ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ، ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾ ، أي المنافقين الذين يظهرون الطاعة وقلوبهم مصرة على العصية ﴿ وليحص الله الذين آمنوا ﴾ أي يختبر الذين آمنوا ، ﴿ ويمحق الكافرين ﴾ ، أي يبطل من المنافقين قولهم بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذي يستترون به .

ثم قال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ ﴾ فدخل الجنة يكون بعد اختبار بالشدة ، وابتلاء بالمكاره . ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله

الرسول ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ﴿١﴾ ، ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾ ، ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين ﴾ .

﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر ، وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ^(١) ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ ، أي : وقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم ، إذ تحسونهم بالسيوف ، أي القتل ، بإذني وتسليطي أيديكم عليهم ، وكفي أيديهم عنكم .

﴿ حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر ﴾ أي : اختلفتم في أمري ، وتركتم أمر نبيكم ، وما عهد إليكم ، يعني الرماة ﴿ وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون ﴾ أي الفتح ، وهزيمة العدو ، ﴿ منكم من يريد

(١) قال ابن عباس : (هو عبد الله بن جبير الذي كان أميراً على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم ، وألاً يخالفوا أمر نبيهم ، فثبت معه طائفة ، فاستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم ، وأخذ السلب ، ففكر عليهم العدو ، وكانت المصيبة) ، الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٩٤ .

الدنيا ﴿ الذين أرادوا الغنائم وتركوا ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ﴾ ، ﴿ ومنكم من يريد الآخرة ﴾ ، الذين جاهدوا في الله ، ولم يخالفوا ما نهوا عنه لعرض من الدنيا ، رجاء ما عند الله عز وجل من حسن ثوابه في الآخرة .

﴿ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ، والرسول يدعوكم في أخراكم ، فأتائبكم غماً بغم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴾ أي كرباً بعد كرب ، بقتل من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم ، وبما وقع في أنفسكم من قول من قال : قُتل نبيكم ، فكان ذلك مما تتابع عليكم غماً بغم ، ﴿ والله خبير بما تعملون . ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾ ، ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلي الله ما في صدوركم ، وليحص ما في قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور ﴾ ، فأنزل الله النعاس أمانة منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، تخوف القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، والله لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخفوا به منكم .

ثم ذكر سبحانه وتعالى المصيبة التي أصابتهم ، فقال : ﴿ أولمَّا

أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ، إن الله على كل شيء قدير ﴿ ، إن تك أصابتكم مصيبة في إخوانكم بذنوبكم ، فقد أصبتم مثليها قبل من عدوكم ، في اليوم الذي كان قبله بيدر ، قتلاً وأشراً ، ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم . ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ، وليعلم المؤمنين ﴾ ، إن ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فبإذني ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصري ، وصدقتكم وعدي ، ليميز بين المؤمنين والمنافقين ﴿ وليعلم الذين نافقوا ﴾ منكم ، وليظهر ما فيهم ، ﴿ وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ﴾ يعني عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد ، وقولهم : « لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكننا لا نظن أنه يكون قتال » فأظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴿ فهم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم منه شيء ﴾ والله أعلم بما يكتنون ، الذين قالوا لإخوانهم ﴿ الذين أصيبوا معكم من عشائركم وقومهم : ﴿ لو أطاعونا ما قُتِلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ ، فلا بد من الموت ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، لقد نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله ، حرصاً على البقاء في الدنيا ، وفراراً من الموت .

ثم قال عز وجل ، يرغب المؤمنين في الجهاد ، ويهون عليهم الموت : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ، فالذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون في نعيم الجنة وفضلها ، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ^(١) .

وأُنزل عز وجل بالذين استجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء ، وانطلقوا إلى حمراء الأسد يحملون جراحاتهم : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ .

﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فاتقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءً واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ .

وكانت آخر آية في سورة آل عمران : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .



(١) تفسير الآيات في ابن هشام ، ج ٢ ، من ص ٤٧ إلى ص ٥٧ .

خاتمة

نتائج أحد

☆ « ما لا شك فيه أن الطاعة هي قوام النظام في كل جيوش العالم ، وعلى أساسها يضع القائد خطته في المعركة ليحقق النصر ، فإذا ما انعدمت الطاعة ، فسدت الخطة ، وصار الأمر فوضى وخساراً » .

☆ استشهد من المسلمين يوم أحد سبعون^(١) ، قال تعالى : ﴿ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها .. ﴾ ، أي إن المسلمين قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين ، مثلي ما أصيب منهم يوم أحد .
وجرح منهم مائة وخمسون .

وتذكر الروايات التاريخية أنه قُتل من المشركين ثلاثة وعشرون فقط^(٢) ، وهذا الرقم فيه نظر ، فقد جاء أن علياً وطلحة وأبا دجانة ..

(١) أربعة من الشهداء من المهاجرين ، وهم : حمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير ، وعبد الله بن جحش ، وشمس بن عثمان ، وستة وستون من الأنصار ، راجع أسماءهم جميعاً بعد هذه الحادثة .

(٢) وجرح من قريش خمسون .

قتل كل واحد منهم ثمانية أو تسعة من المشركين ، وقتل حمزة وحده واحداً وثلاثين !! ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأحد احتمالين :

١ - إما أن قريشاً حملت بعض قتلها .

٢ - وإما أنها دفنت بعضهم . وهذا ما لم يذكره المؤرخون .

☆ وأظهر أعداء الإسلام بعد أخذ شماتهم ، وقالوا أقبح القول .

فأخذ هزّة عنيفة حاول المسلمون أن يتاسكوا بعدها ، واستطاعوا تحقيق ذلك بعد يوم واحد فقط ، ولكن القبائل حول المدينة حاولت استغلالها والاتقضا على المسلمين ، والغدر بهم ، ففشلوا .

قال اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ، ولا أصيب منه ما أصيب ، ولكنه طالب مُلك ، تكون له الدولة وعليه .

وقال المنافقون : ما محمد إلا طالب مُلك ، ما أصيب بمثل هذا نبي قط ، أصيب في بدنه ، وأصيب في أصحابه ، ولو كان من قُتل معه عندنا ما قتل . فاستأذن عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه رسول الله ﷺ في قتل هؤلاء المنافقين ، فقال ﷺ : أليسوا يظهرون الشهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله ؟ قال عمر : بلى ، ولكن تعوذاً من السيف وقد بان أمرهم ، وأبدى الله أضعافهم ، فقال ﷺ : نهيتُ عن قتل من أظهر ذلك .

لقد أساء المنافقون قبل أخذ وبعدها . أسأؤوا بعدها بدعائهم المضلّة ، وأسأؤوا قبلها عند انسحابهم ، فشقوا بذلك الصفوف ، وأضعفوا القوى . ومع ذلك ما ظهر من رسول الله ﷺ إلا كل صبر وحلم وأناة على الرغم من نفاقهم ودعائهم . ولكنه ﷺ قال عند انسحابهم : « إنها طيبة ، وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة » ، فمثل أحداث أحد ، عملية فرز تطهر المجتمع ، ليبقى صافياً نقيّاً نظيفاً .

☆ ولقد جرت حكمة الله عز وجل أن الرسل تبتلى ، ثم تكون العاقبة لهم ، ولو انتصروا دائماً لدخل في المسلمين من ليس منهم ، ولما تميّز الصادق من غيره ، فاقترضت الحكمة الجمع بين النصر وتأخيره لتمييز الصادق من الكاذب .

ولو قطع الله كل يد امتدت إلى رسول الله في حينه ، لما بقي إسلام بعده ، فلا صبر لداعية ، ولا تحمل لمسلم ، ولقيل : إن الله لم ينتصر لنا كما انتصر لنبيّه ، فتحمله ﷺ أسوة وقدوة لتحمل الدعاة المجاهدين من بعده ، فتأخير النصر في بعض المواطن حكمة ، فهو لتربية النفوس ، ولكسر شموخها وتعاضمها ، فلما كان الابتلاء والامتحان ، صبر المؤمنون ، وجزع المنافقون .

كما أن أجر كل نبيّ في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة

الحاصلة له من المخالفين له ، وعلى قدر ما يقاسيه منهم ، وله أجر الهداية لمن أطاعه أيضاً ، ولا أحد أكثر من نبينا ﷺ في ذلك ، فلم يتفق لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما اتفق له ﷺ من كثرة ما قاساه من قومه ، ومن ثم بعد الصبر والجهد ، من كثرة ما أجابه من الأمم .

☆ كما هيأ الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين الصادقين منازل في دار كرامته ، فقيض لهم أسباب الابتلاء ، ليصلوا إليها ، بفضلته ومنته أولاً ، وبصبرهم وجهادهم واستشهادهم ثانياً .

فالشهادة من أعلى مراتب المؤمنين المخلصين الصادقين ، فساقهم الله إليها إكراماً لهم ، حيث اتخذ منهم شهداء ، وكانوا يتمنون ذلك قبل لقاء العدو .

☆ وكان ما حدث بعد مخالفة الرماة ، كافياً بعد التفاف خالد بن الوليد بفرسانه^(١) ، لإفناء جيش كامل ، وتحطيم كل قواته وعتاده ، ولكن انسحاب النبي ﷺ ببراعة إلى شُعب أُحد ، حنكة حربية ، وتقدير للموقف دقيق ، مع سرعة في اتخاذ القرار الصحيح في الوقت

(١) لم يوضح المؤرخون أن تصرف خالد بن الوليد بأمر من أبي سفيان لكونه القائد العام المخطّط ، أم بمبادرة شخصية من فكره العسكري ، والأرجح أن خالداً تصرف من ذاته ، وحسب تقديره هو للموقف .

المناسب ، مع السيطرة التامة على سير الأحداث ، وبذلك تجنب ﷺ خطر الإفناء الكامل لقواته .

لقد كان رسول الله ﷺ وهو في أشد ساعات الحرج في أحد ، مثال الاتزان والهدوء ، والنظرة الصحيحة الثاقبة البعيدة المدى ، مع القرار السريع ، الذي يحمل في ثناياه الحكمة التامة .

لقد كان مصير الجيش بعد التطويق الإفناء لا محالة ، وبخاصة بعد أن أحدث التطويق ارتباكاً حتى فقد المسلمون قدرة التمييز بين الصديق والعدو ، فقتل بعضهم بعضاً ، فاستطاع ﷺ أن يجعل الخسارة أقل ما يكون ، ففك طوق الحصار ، وأمن سلامة الجند ، مع العلم أن المشركين المطوقين ، كانوا خمسة أمثال المسلمين المطوقين .

☆ ولم يخطر بباله ﷺ لحظة أن أحداً قد رسمت مصير دعوته في المستقبل ، بل هو على يقين أنها صورة عارضة ، سرعان ما تتلاشى ، فقال ﷺ لعلي رضي الله عنه : « لن ينالوا منا حتى يفتح الله علينا » .
فع ما في القول من أهمية النبوة واستشفاف الغيب ، وقلنا : إن نبوءة واحدة ، يأتي الواقع خلافاً لها ، كافية لتنفي النبوة كلها ، فلو لم يكن محمد بن عبد الله رسول الله حقاً وصدقاً ، لما ألزم نفسه ﷺ بمثل هذه النبوءات ، ولكنه رسول الله حقاً ويقيناً ، ولا ينطق عن الهوى . وفي رباطة جأشه ﷺ ، وفي هدوء أعصابه ، وفي صموده وثباته ، درس

عظيم للمسلمين ، فهو دليل على مبلغ ثقته بالله ، ويقينه أن العقابة
للتقوى .

وكانت حمراء الأسد ، بأمره ﷺ ، مناورة عسكرية رائعة
وبارعة ، أعادت الروح المعنوية الرفيعة العالية للمسلمين ، وأعادت
هيبتهم ومكانتهم بين القبائل بعد ما سمعوا بأحد . ففزع زعيم قريش
أبو سفيان من أحد بغنية العودة إلى مكة فرحاً بسمعة الفوز والغلبة ،
مع اليأس من القضاء على المسلمين ، بعد أن كان إفناؤهم أمراً سهلاً ،
يمكن تحقيقه ، لو امتلك أبو سفيان خبرة عسكرية ، وحنكة حربية .



يقول كارل بروكلمان في (تاريخ الشعوب الإسلامية) ،
ص ٥٢ : « وكان على محمد أن يعوّض هذه الخسارة التي أصابت مجده
العسكري من طريق آخر ، ففكر في القضاء على اليهود ، فهاجم بني
النضير ، لسبب واهٍ ، وحاصرهم في حيّهم ، وإذ لم يجرؤ إخوانهم في
الدين من بني قريظة ، على أن يسعفهم ، فقد اضطروا إلى الاستسلام
بعد حصار دام بضعة أسابيع ، ثم إنهم هاجروا إلى واحة خيبر ، التي تقع
على مسافة عشرين ميلاً شمالي المدينة ، والتي كانت تنزل فيها جالية
كبيرة من اليهود » .

وهذا قول كله افتراء ومخالفة للحقيقة التاريخية :

لقد كانت مهاجمة بني النضير حلقة في سلسلة حروب المسلمين ضد اليهود ، ذلك لأن اليهود كانوا يتجسّسون للمشرّكين ، وكانوا يساعدونهم على قتال المسلمين ، مع أن بينهم وبين الرسول معاهدات على لزوم الحياد ، فلما كانوا يخرقون هذا الحياد مرة بعد مرة ، فقد أراد الرسول أن يجليهم عن مساكنهم حتى يأمن كل شرّ منهم في المستقبل ..



وأخيراً ..

مما لا شك فيه ، أن الطاعة هي قوام النظام في كل جيوش العالم ، قديمها وحديثها ، وعلى أساسها يضع القائد خطته في المعركة ليحقّق النصر ، فإذا ما انعدمت الطاعة ، فسدت الخطّة ، وصار الأمر فوضى وخسراناً .

وهذا ما حدث في أحد ، فقد خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ ، وهو القائد الأعلى ، وخرجوا على أميرهم عبد الله بن جبير وهو قائد كتيبته ، واندفعوا مع رغباتهم في حيازة الغنائم ، ففسدت بذلك الخطّة التي وضعها القائد ، ورثب خطواتها على أساس الطاعة التامة من الجنود ، فكانت مخالفة الجنود سبباً في فساد الخطّة ، وكان فساد الخطّة

سبباً في اضطراب الجيش ، وكان اضطراب الجيش سبباً في تحوّل النصر إلى هزيمة ، وقد أوشكت هذه الهزيمة أن تكون ساحقة لولا رعاية الله ولطفه^(١) .

☆ ما الذي دفع الرماة إلى هذه المخالفة التي خرقت الخطّة العسكرية ، وأوقعتهم في الهزيمة ؟

- أهو الخروج على طاعة القائد ؟

- أم هو الحرص على اغتنام الغنائم وجمع الأسلاب ؟

- أم هو خطأ التقدير لظروف المعركة وملاساتها ؟

إنهم تأوّلوا قول رسول الله ﷺ حين رأوا الأعداء منهزمين ، وإخوانهم يجمعون الغنائم ، فلا بأس من مغادرة المواقع والاشتراك في جمع الغنائم ، فأراد الله أن يدرك المؤمنون سنةً من سننه في خلقه ، أن النصر لا يكون إلا بأسبابه ، وأن الهزيمة لها أسبابها أيضاً ، حتى لو كان رسول الله بين الصحابة في المعركة .

وهذا يدل بوضوح على أن صلاح العقيدة وحده غير كاف لتحقيق النصر ، فللنصر نواميسه وأسبابه ، وأن الأخذ بهذه الأسباب من صلاح هذه العقيدة .. إن منهج الله ثابت ، وموازينه ثابتة .

(١) صور من حياة الرسول ، ص ٣٦٩ وما بعدها .

« لقد ربّى الله الجماعة الإسلامية في هزيمة أحد العسكرية ، وهي في مطلع خطواتها لقيادة البشرية ، ربّاهـا بالابتلاء بالشدة ، بعد الابتلاء بالرخاء ، والابتلاء بالهزيمة المرّة بعد الابتلاء بالنصر ، هذا وذاك وضعا وفق أسبابها ، ووفق سنن الله الجارية في النصر والهزيمة ، لتتعلـم هذه الجماعة أسباب النصر والهزيمة ، ولتزيد طاعة الله ، توكلأً عليه ، والتصاقاً بركنه ، وتطبيقاً لشرعه ، ولتعرف طبيعة هذا المنهج وتكاليفه معرفة اليقين » .



شهداء أحد

☆ آمنت قلوبهم بالله رباً ،
وبمحمد بن عبد الله رسولاً نبياً ،
فاسترخصت البذل والعطاء والفداء
لأن مواعدها الجنة ، وهذه عقيدة في
الإسلام فعلت الأعاجيب .

استشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله ﷺ من المهاجرين
القرشيين أربعة نفر^(١) :

- ١ - حمزة بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه .
- ٢ - عبد الله بن جحش .
- ٣ - مصعب بن عمير .
- ٤ - شماس بن عثمان .

واستشهد من الأنصار :

- ٥ - عمرو بن معاذ بن النعمان .

(١) ابن هشام ، ج ٣ ص ٥٩ . وراجع : مجموعة أسماء أهل بدر وأحد المئاة : (بحالية الكُزْب
بأصحاب سيد العجم والعرب) ، لجعفر بن حسن البرزنجي ، دار الكتب الظاهرية بدمشق ،
رقم : و - ١٨٢٧ .

- ٦ - الحارث بن أنس بن رافع .
- ٧ - عمارة بن زياد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس .
- ٨ - سلمة بن ثابت بن وقش .
- ٩ - عمرو بن ثابت بن وقش .
- ١٠ - ثابت بن الدُّحْداح الأوسي .
- ١١ - رفاعة بن وقش .
- ١٢ - أبو حذيفة اليمان حسيل بن جابر .
- ١٣ - صيفي بن قيظي .
- ١٤ - حباب بن قيظي .
- ١٥ - عباد بن سهل .
- ١٦ - الحارث بن أوس بن معاذ .
- ١٧ - إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو .
- ١٨ - عبید بن التيهان .
- ١٩ - حبيب بن يزيد بن تيم .
- ٢٠ - يزيد بن خاطب بن أمية بن رافع .
- ٢١ - أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد .
- ٢٢ - حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن نعمان بن مالك (غسيل الملائكة) .
- ٢٣ - أنيس بن قتادة .

- ٢٤ - أبو حية بن عمرو بن ثابت ، أخو سعد بن خيثمة لأُمّه .
- ٢٥ - عبد الله بن جبير بن النعمان ، أمير الرماة .
- ٢٦ - خيثمة أبو سعد بن خيثمة .
- ٢٧ - عبد الله بن سلمة .
- ٢٨ - سُبَيْع بن حاطب بن الحارث بن قيس .
- ٢٩ - عمرو بن قيس .
- ٣٠ - وابنه : قيس بن عمرو بن قيس .
- ٣١ - ثابت بن عمرو بن زيد .
- ٣٢ - عامر بن مخلد .
- ٣٣ - أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك .
- ٣٤ - عمرو بن مطرف بن علقمة بن عمرو .
- ٣٥ - أوس بن ثابت بن المنذر .
- ٣٦ - أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب (ع
أنس بن مالك ، خادم رسول الله ﷺ) .
- ٣٧ - قيس بن مخلد ، من بني مازن بن النجار .
- ٣٨ - كيسان ، من بني مازن بن النجار ، عبد لهم ،
- ٣٩ - سُلَيْم بن الحارث . من بني دينار بن النجار .
- ٤٠ - نعمان بن عبد عمرو .
- ٤١ - خارجة بن زيد بن أبي زهير .

- ٤٢ - سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير .
- ٤٣ - أوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان .
- ٤٤ - مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبيجر (أبو أبي سعيد الحذري ^(١)) .
- ٤٥ - سعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبيجر ^(٢) .
- ٤٦ - عتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد .
- ٤٧ - ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة .
- ٤٨ - ثقف بن فروة بن البدي .
- ٤٩ - عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش .
- ٥٠ - ضمرة ، حليف لبني طريف ، رهط سعد بن عبادة .
- ٥١ - نوفل بن عبد الله .
- ٥٢ - عباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان .
- ٥٣ - نعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم .
- ٥٤ - المجذر بن زياد البلوي .
- ٥٥ - عبادة بن الحساس .

(١) اسم أبي سعيد الحذري : سنان ، ويقال : سعد .

(٢) البَجَر : خروج الثَّرة وغلظ أصلها ، قال ابن سيده : البُجرة : الثَّرة من الإنسان والبعير عظمت أولم تعظم ، وبَجَرَ بَجْراً فهو أَبْجَر إذا غلظ أصل سُرته ، وقيل : الأبيجر : الذي خرجت سُرته ، لسان العرب ، ج ٤ ص ٣٩ .

- ٥٦ - رفاعة بن عمرو .
- ٥٧ - عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام .
- ٥٨ - عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام .
- ٥٩ - خلاد بن عمرو بن الجموح .
- ٦٠ - أبو أيمن ، مولى عمرو بن الجموح .
- ٦١ - سليم بن عمرو بن حديدة .
- ٦٢ - ومولاه « عنتره » .
- ٦٣ - سهل بن قيس بن أبي كعب بن القين .
- ٦٤ - ذكوان بن عبد قيس .
- ٦٥ - عبيد بن المعلى بن لوذان .
- ٦٦ - مالك بن نميلة المزني .
- ٦٧ - الحارث بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة .
- ٦٨ - إياس الخزرجي ، من بني سواد بن مالك بن مالك .
- ٦٩ - إياس بن عدي ، من بني عمرو بن مالك بن النجار .
- ٧٠ - عمرو بن إياس ، من بني سالم بن عوف .
- ☆ أخبر عليه الصلاة والسلام عن شهداء أحد أن من زارهم وسلّم عليهم إلى يوم القيامة ردّوا عليه السّلام . وكان ﷺ يأتي قبورهم على رأس كل حول فيقول : سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عُقْبَى الدار .

☆ ☆ ☆

وَقَتْلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَاحُدٍّ :

- ١ - طلحة بن أبي طلحة .
- ٢ - أبو سعيد بن أبي طلحة .
- ٣ - عثمان بن أبي طلحة .
- ٤ - مسافع بن طلحة .
- ٥ - الجلاس بن طلحة .
- ٦ - كلاب بن طلحة .
- ٧ - الحارث بن طلحة .
- ٨ - أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف .
- ٩ - أبو زيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف .
- ١٠ - صؤاب غلام أبي زيد بن عمير .
- ١١ - القاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف .
- ١٢ - عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد .
- ١٣ - أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي .
- ١٤ - سباع بن عبد العزى .
- ١٥ - هشام بن أبي أمية بن المغيرة .
- ١٦ - الوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة .
- ١٧ - أبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة .

١٨ - خالد بن الأعم .

١٩ - عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن خذافة بن جمح « أبو
عزة الشاعر » .

٢٠ - أبي بن خلف بن وهب بن خذافة بن جمح .

٢١ - عبدة بن جابر .

٢٢ - شيبة بن مالك بن المضرب .

اثنان وعشرون رجلاً ، وردت أسماؤهم في قتلى أحد من
المشركين .



المحتوى

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٧ | ☆ تصدير |
| ١٣ | ☆ أسباب أحد : |
| ١٩ | - أحد |
| ٢٢ | ☆ الموقف في المدينة المنورة : |
| ٢٦ | - اغتيال المنافقين |
| ٢٨ | - مريع المنافق |
| ٣٢ | ☆ المسلمون بأحد |
| ٤١ | ☆ غزوة أحد : أبو دجانة |
| ٤٢ | - أبو عامر الفاسق |
| ٤٥ | - أبو سفيان وامراته يحرضان قريشاً |
| ٥٠ | - الزبير بن العوام وأبو دجانة |
| ٥٢ | - استشهاد حمزة رضي الله عنه |
| ٥٨ | - استشهاد مصعب بن عمير |
| ٦٠ | - حنظلة غسيل الملائكة |
| ٦٤ | ☆ عند فقد المبادأة يستحيل تحقيق النصر : |
| ٦٥ | - الزبير بن العوام يذكر سبب الهزيمة |
| | - ١٤٢ - |

- ☆ إن لحظة واحدة يمكنها أن تحدد مصير المعركة
- ٧١ - ما أصاب الرسول يوم أحد
- ٧٥ - من بطولات الصحابة في أحد
- ٨٣ - مقتل أبي بن خلف
- ٨٦ - مقتل اليان وابن وقش
- ٨٧ - مقتل قرمان منافقاً
- ٨٩ - مقتل مخيريق
- ٨٩ - الأصرم : عمرو بن ثابت بن وقش
- ٩٠ - عمرو بن الجموح
- ٩١ - هند تمثل بحمزة
- ٩٤ - لماذا لم يهاجم أبو سفيان المدينة ؟
- ☆ بُعد أحد
- ٩٦ - سعد بن الربيع
- ٩٨ - سيد الشهداء حمزة
- ١٠٣ - ماورد في شهداء أحد
- ١٠٦ - العودة إلى المدينة المنورة
- ١٠٩ - غسل السيوف
- ☆ غزوة حمراء الأسد
- ١١٠ - سبب حمراء الأسد
- ١١٢ - معبد بن أبي معبد الخزاعي
- ١١٤ - أبو عزة المجحي (الشاعر)

- ☆ ما أنزل الله في أحد من القرآن الكريم ١٢٠
- ☆ خاتمة « نتائج أحد » ١٢٦
- ☆ شهداء أحد ١٣٥
- ☆ قتلى المشركين يوم أحد ١٤٠

☆ ☆ ☆

- الصور والمصورات
- ☆ جبل أحد ٢١
- ☆ الطريق إلى أحد ٣١
- ☆ تعبئة المعركة ٤٠
- ☆ الالتفاف ٧٠

سلسلة
غزوات الرسول الأعظم
صلى الله عليه وسلم

الدكتور شوقي أبو خليل

غزوة الحديبية

عاقبة المخالفة

دار الفكر
دمشق - سورية



دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

الرقم الاصطلاحي للسلسلة: ٣٠٠٤

الرقم الاصطلاحي للحلقة: ٠٥٨٥، ٠٣١

الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-102-7

الرقم الدولي للحلقة: ISBN: 1-57547-104-3

الرقم الموضوعي: ٢٧٠

الموضوع: السيرة النبوية

السلسلة: غزوات الرسول الأعظم

العنوان: غزوة أحد

التأليف: الدكتور شوقي أبو خليل

الصف التصويري: دار الفكر - دمشق

التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق

عدد الصفحات: ١٤٤ ص

قياس الصفحة: ٢٠ × ١٤ سم

عدد النسخ: ١٥٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع

والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي

والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن

خطي من

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية

برقياً: فكر

فاكس ٢٢٣٩٧١٦

هاتف ٢٢١١١٦٦، ٢٢٣٩٧١٧

<http://www.fikr.com/>

E-mail: info @fikr.com



إعادة

١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م

ط ١: ١٩٨٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غَزْوَةُ الْحَمْدِ

عَاقِبَةُ الْمُخَالَفَةِ

غزوة أحد: عاقبة المخالفة / شوقي أبو خليل .. دمشق: دار الفكر،

١٩٩٦ - ١٤٤ ص : ٢٠ سم.

١ - ٩٥٦,٠٢ خ ل ي غ ٢ - ٢١٩,٥ خ ل ي غ

٢ - العنوان ٤ - أبو خليل

مكتبة الأسد

ع - ٧٠٥ / ٦ / ١٩٩٦

مَا بَدَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرْبًا قَطَّ ،
إِذَا كَانَ حَرْصِيًّا أَلَا يُرَاقِ دَمَ إِنْسَانِي
فَهُوَ نَبِيُّ الْمَرْحَمَةِ .

وَلَكِنْ إِذَا كَانَتْ لِمَحَالَةٍ وَاقِعَةٌ كَانَ رَحْلَهَا
الْأَوَّلُ . . . فَهُوَ نَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ .

لَقَدْ كَانَ عَظِيمًا فِي رَحْمَتِهِ بِالنَّاسِ ،
عَظِيمًا فِي اسْتِعْدَادِهِ لِلْحَرْبِ ، عَظِيمًا فِي
خَطِّهِ ، عَظِيمًا فِي تَحْقِيقِ الْبُصْرَةِ وَتَشْمَارِهِ .

بسم الله الرحمن الرحيم

تَصْدِيرٌ

☆ ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، إِنْ
يَمْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ
مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ
شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ .

[آل عمران : ١٣٩ / ١٤٠]

هُزِمَتْ قريش ببدر ، فسارت في شوال السنة الثالثة للهجرة ،
باتجاه المدينة المنورة تريد ثأرها ، فكانت غزوة أُحُد ، وكان خطأ
الرماة الذي قرر مصير المعركة .

وفي حياة رسول الله ﷺ حدثان متميزان ، أُحُد ، وحُنين .

ففي أُحُد وقع خطأ فني حربي مادي ، عندما خالف الرماة الأمر
العسكري .

وفي حُنين وقع خطأ أخلاقي معنوي تربوي ، عندما قال بعض
المسلمين : « لَنْ نُغْلِبَ الْيَوْمَ عَنْ قِلَّةٍ » .

وإن كنا ندع الحديث عن حُنين إلى حينه ، فإننا نقول : في أحد ما أخطأ رسول الله ﷺ ، بل أخطأ الرماة ، في اجتهاد خاطئ ، فسببوا ماسببوا ، تركوا النص ، وهو أمر رسول الله ﷺ الذي لا يحتمل التأويل ، إلى التحليل والتأويل ؛ فوقعوا في المخالفة .

ومع ذلك لم تحقق قريش ما أرادت ، على الرغم من الخطأ الفادح المرتكب ، والذي ساق إليها النصر ، وهي المهزومة المنحدرة .
فإن أرادت ثأراً لقتلها بيدر ، فقد حققت مطلباً .

وإن أرادت استعادة لهيبة أو سمعة مهدورة ، فقد حققت ذلك إلى أجل .

ولكن إن أرادت الأمر الأهم الأعظم ، ألا وهو القضاء على المسلمين ، والقضاء على رسول الله ﷺ لتسطيع فتح طريق تجارتها إلى الشام ، فهذا ما لم تستطع تحقيقه .

وفي غزوة أحد دفع المسلمون ثمن مخالفة أمر رسول الله ﷺ ، كما كشفت أحد مدى استعدادات المسلمين المادية والروحية .

في أحد منع الله عز وجل النصر عن المسلمين ، كي لاتتعلق القلوب بغير الله ، فخطأ واحد مع كل الفضائل المجتمعة ، ماجال دون العقوبة والجزاء . فكانت أحد درساً مؤثراً ، عمق الإيمان ، مع خالص الحب

والطاعة لرسول الله ﷺ ، ففازوا بكامل الإيمان ، فجاء النصر الدائم المستمر ، حتى فتح الله عليهم مكة المكرمة .

أُحْد .. امتحان واختبار ، لاليعلم الله النتيجة ، فعلمه سبحانه سابق ، الامتحان والاختبار ليعلم المسلمون أنفسهم ، فكانت أُحْد ونتائجها عملية طهارة وتزكية ، وعودة إلى سلامة النفس ، وطهارة القلب .

اختبار أُحْد ليعرف المسلمون مراحل إيمانهم ، وإلى أيّة مرحلة وصلوا ، فمن أثر الآخرة على الدنيا ومغائنها ، ازداد إيماناً وعُلُوّاً ، ومن أثر الدنيا ومغائنها على الآخرة ، استدرك ، ولحق بعد أُحْد بمن أثر الآخرة على الدنيا .

وفي أُحْد كان بإمكان رسول الله ﷺ ، وبمعدد إلهي ، أن يهزم قريشاً بحفنة تراب ، ولو فعل ، لَبَطُل الجهاد ، لقول من بعده ﷺ : ونحن بحاجة إلى حفنة تراب لنهزم الأعداء ، ولا وجود لتلك اليد التي ترمي هذه الحفنة ؛ إذن .. فلا جهاد ..

أُحْد .. لبنة في استكمال بناء الشخصية الإسلامية ، وتأكيد على أن الإسلام - مع الأحكام - عمل قلبي ، وتذوّق وجداني ، وشعور روحي ، وطاعة تامة ، والتزام كامل لا يقبل شائبة أو مخالفة .

وبعد المخالفة ، جاء الغزاء من الله سبحانه ، مع عفوه ، للمسلمين ، فكان تضيداً للجراح ، وتبديلاً للنفوس من الوهن إلى القوة ، ومن اليأس إلى الأمل .. فانتقلوا إلى حمراء الأسد يحمل بعضهم بعضاً ، فكانوا أحياء بعد موت ، وأوجدتهم بعد عدم .

إلى حمراء الأسد كي لا يظن العدو أن المسلمين قد انهزموا نفسياً ، أو معنوياً ، أو قلبياً ... ومع أنهم لا يستطيعون المشي من كثرة جراحاتهم ، حملهم إيمانهم لأبدانهم ، وحملهم يقينهم لاصحتهم وأجسامهم .

وبذلك الإيمان ، وبهذا اليقين ، ما قالوا : نحن جرحى ، فكيف المسير إلى حمراء الأسد بعد يوم واحد من غزوة أحد !! وما وقع في نفوسهم عدم صلاحهم للقتال ، وقال ﷺ : « وأن لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس » ، فرفض ﷺ بذلك الجندي سليم الجسد مريض القلب ، وقبل الجندي جريح الجسد معافي الإيمان ، صحيح القلب ، فساروا وجراحاتهم في صدورهم وليست في ظهورهم ، واستجابوا بعد أن مسهم القرح .



وعلى الرغم مما جرى في غزوة أحد ، تجلّت عظمة رسول الله ﷺ فيها :

- في قَرْضه ميدان المعركة على قريش .

- وفي إحرازه النصر سريعاً قبل مخالفة الرماة .

- وفي فكّه الطوق الذي فُرض على المسلمين ، والذي كان كافياً لإفناء جيش بكامله .

- وفي يأس قريش من القضاء على المسلمين ، بعد أن كان فناؤهم أمراً ممكناً سهلاً ، يحققه جيش أقل عدداً من جيش قريش .

لقد كان رسول الله ﷺ قائداً فذاً ، جنّب جُنْدَه الخطر المحقق بمهارة وحنكة ، وأعاد لهم هيبته بعد يوم واحد فقط بمناورته الرائعة إلى حمراء الأسد ، فانسحب أبو سفيان ومن معه مكتفياً بصورة فوز ، وسمعة انتصار ، لن ينال مثلها مطلقاً ، وسيفتح الله على نبيّه ، وسيدخل مكة ، لاليدل قريشاً ، ولالكي يحطّم كبرياءها ، لا .. فبعد أحد استغفر لقريش قائلاً : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » ، ولما أراد أبو قتادة الأنصاري التمثيل من قريش ، لما رأى من المثلة بالمسلمين ، قال ﷺ : « يا أبا قتادة إن قريشاً أهل أمانة ، من بغاهم العوثر أكبّه الله تعالى إلى فيه ، وعسى إن طالت بك مدّة أن تحقر عملك مع أعمالهم ، وفعالك مع فعالهم ، لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله » .

صلى الله عليك ياسيدي يا رسول الله ، لقد كنت رائعا في
 جهادك ، ورائعا في مجال التربية والأخلاق والمحبة ..
 لقد انتصرتَ على التخلفَ فحل التقدم .
 وانتصرتَ على الذل فحلت العزة .
 وانتصرتَ على الجهل فحل العلم .
 وانتصرتَ على الشرك والأصنام فحلّ الإسلام والإيمان .
 وانتصرتَ على القبلية والعصبية فحل التوحد والوئام والإخاء .
 جئت - صلى الله عليك - فأطفأت عداوة العرب وعشائريتهم
 وشتاتهم ، وأضأت نور المحبة بين القلوب ، فقامت مجتمعة للهداية
 والتحرير .
 اللهم اجزه عنا خير ماجزيت نبياً أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة .
 وإلى أُحد .. وما فيها من أحداث ، على بركة الله ، فهو من وراء
 القصد ..

☆ ☆ ☆

شوقي أبو خليل

دمشق - سورية

ص . ب : ٦٢٢٢

دمشق : ١٤٠٢ / ٦ / ٧ هـ

الموافق : ١٩٨٢ / ٤ / ١ م

Shawki@ Fikr.com

أسباب أحد

☆ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ،
فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً
ثُمَّ يُغْلَبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُخْشَرُونَ ۖ ﴾ .

[الأنفال : ٣٦]

لما أُصيب من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع - بعد غزوة بدر - فلهم^(١) إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بغير التجارة ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة^(٢) ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أُصيب آبائهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سفيان ، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة . وكانت تلك العير موقوفة في دار الندوة لم تعط لأربابها^(٣) ، فقالوا : يامعشر قريش ، إن محمداً قد وتركم^(٤) ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على

(١) « قُلْ » الجيش : هزمه ، فله فانتقل أي كسره فانكسر ، « مختار الصحاح » ، ص ٥١٢ .

(٢) الاكتفاء ، ج ٢ ص ١٠٠ ، وفي ابن هشام : عبد بن أبي ربيعة ، ج ٢ ص ١٤ ، وهو في الطبري « عبد الله » ، ج ٢ ص ٥٠٠ .

(٣) الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٤٨ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٢٢ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٢٩ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ٢ .

(٤) وَتَرَهُ حَقَّهُ يَتَرَهُ وَتَرَأَ : نَقَصَهُ . « مختار الصحاح » ، ص ٧٠٧ .

حربه ، فعلنا ندرک منه ثارنا بن اصاب منا .

قال أصحاب التجارة : ونحن طيبو النفوس أن تجهزوا لذلك بربح المال . فسلم لهم رؤوس أموالهم ، وكانت خمسين ألف دينار ، وأخرجوا أرباحها - وكان الربح لكل دينار ديناراً - فأخرج لتجهيز الجيش خمسون ألف دينار^(١) . وفيهم أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ، ثُمَّ يَغْلِبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾^(٢) .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب وأصحاب العير بأحايشها^(٣) ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد منَّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأسارى فقال : إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتُها ، فامنن عليَّ صلى الله عليك وسلم ؛

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٢٩ ، ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٤ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٢٣ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٣٦ .

(٣) الأحايش : الجماعة أياً كانوا ، أو هم أحايش قريش ، أو هم بنو المطلق وبنو الهون بن خزيمه ، اجتمعوا عند جبل يسمى « حيشيا » ، بأسفل مكة ، فحالفوا قريشاً . « الطبري ، ج ٢ ص ٥٠٠ ، هامش الصفحة » .

فمنّ عليه رسول الله ﷺ . فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فاخرج معنا ، فقال : إن محمداً قد منّ عليّ فلا أريد أن أظهر عليه ، قال : بلى ، فأعنا بنفسك ، فلك الله عليّ إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي ، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، فخرج أبو عزة في تهامة ، ويدعو بني كنانة ويقول :

إيها بني عبد مناة الرزّام^(١) أنتم حماة وأبوكم حام
لاتعدوني نصركم بعد العام لاتسلموني لايحل إسلام^(٢)

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة الجحفي إلى بني مالك بن كنانة ، يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، فقال :

يامال^(٣) ، مال الحسب المقدم أنشد ذا القربي وذا التذم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم الحلف وسط البلد المحرم
عند حطيم الكعبة المعظم^(٤)

(١) الرزّام : من يشتون في مكانهم لا يرحونه ، أي أنهم ثابتون في الحرب ، وفي البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٠ « أيا بني عبد مناة » .

(٢) ابن هشام ، ج ٣ ص ١٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٢٠ .

(٣) يامال : أراد يامالك فرحمه ، وذو التذم : الذي له ذمام ، والذمام العهد .

(٤) الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٤٨ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١١ .

ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له : وحشي ، يقذف بحربة له قذف الحبشة قلماً يخطئ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعية بن عدي فأنت عتيق . لأن حمزة هو قاتل طعية في بدر ، « وقيل : إن وحشياً كان غلاماً لطعية وإن ابنة سيده طعية قالت : إن قتلت محمداً أو حمزة أو علياً في أبي فإني لأدري في القوم كفواً له غيرهم فأنت عتيق » ^(١) .

وفي بدر قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فأقبلت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ترثيهم ، وبلغها تسويم ^(٢) الخنساء هودجها في الموسم ، ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سوّمت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ، وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك . فلما أصيبت هند بما أصيبت به ، وبلغها ذلك قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوّم براية ، وشهدت الموسم بعكاظ ^(٣) . فقالت : أقرنوا جملي بجمال الخنساء ، ففعلوا . فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : مَنْ أنت

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٢٩ . الاكتفاء ، ج ٢ ص ١٠٠ .

(٢) الخيل المُسوّمة : الخيل المُعلّمة ، « مختار الصحاح » ، ص ٣٢٢ .

(٣) عكاظ : اسم سوق للعرب بناحية مكة ، كانوا يجتمعون بها في كل سنة ، فيقيمون شهراً يتبايعون ويتناشدون الأشعار ويتفاخرون .

يأخِيَّة ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغني أنك تعاضمين العرب بمصيبتك ، فِيمَ تعاضمينهم ؟ فقالت الخنساء : بأبي عمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو . وِيمَ تعاضمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عتبة بن ربيعة وأخي الوليد ، قالت الخنساء : أو سواء هم عندك ، ثم أنشدت تقول :

أبكي أبي عَمْرًا بعين غـزيرة
وصنوي لأنسى معاوية الذي
وصخرًا ومن دامثل صخر إذا غدا
فذلك ياهند الرزية^(٣) فاعلمي
فقالته هند تحييها :

أبكي عميد الأبطحين كليهما^(٣)
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي
أولئك آل المجد من آل غالب
وحاميهما من كل باغ يريد
وشيبة والحامي الذمار وليدها
وفي العزم منها حين ينمي عديدها^(٤)

وخرجت قريش بكل طاقاتها ، ومعها أحاييشها ومن تابعها من

(١) السلب : الطويل من الرجال ، « لسان العرب » ، ج ١ ص ٤٧٤ .

(٢) الرزية : المصيبة ، « مختار الصحاح » ، ص ٢٤٠ .

(٣) الأبطح والبطحاء : الرمل المنبسط على وجه الأرض ، أو كل ميل فيه ذقاق الخصى فهو أبطح ،

والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى ، « معجم البلدان » ، ج ١ ص ٧٤ .

(٤) أعلام النساء ، ج ٥ ص ٢٤٣ .

بني كنانة وأهل تَهَامَة ، وخرجت معهم النساء التماس الحفيظة ، وألا يفروا ، فخرج أبوسفيان بن حرب - وهو قائد الناس - يَهند بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بَبْرَزَة بنت مسعود بن عمر بن عمير الثقفية وهي أم عبد الله بن صفوان بن أمية . وخرج عمرو بن العاص بِرَيْطَة بنت منبه بن الحجاج وهي أم عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية ، وهي أم بني طلحة : مُسَافِع والجلاس وكلاب ، قتلوا يومئذهم وأبوهم . وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزيز بن عمير ، وهي أم مصعب بن عمير . وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة^(١) .

وكانت هند بنت عتبة كلما مرّت بوحشي أو مر بها قالت : « وَيْهَا^(٢) أبا دَسَمَة ، أَشْفِ واستشف » .

(١) ابن هشام ، ج ٢ ص ١٦ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٢٢ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٠١ .

(٢) في الطبري ، ج ٢ ص ٥٠٢ « إيه » ، وهي كلمة تقال للتخفيض . وكان وحشي يكنى بأبي دَسَمَة . الاكتفاء ، ج ٢ ص ١٠٠ ، والطبري ، ج ٢ ص ٥٠٢ ، والروض الأنف ، ج ٣ ص ١٤٨ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ٣ .

وأقبلت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، مع الأحابيش ، وفيهم مائتا فرس^(١) ، وثلاثة آلاف بعير ، وسبعائة دارع ، حتى نزلوا بعينين ، بجبل بيطن السبخة من قناة على شفير الوادي ، مقابل المدينة ، عند أحد .



أُحُد

سمي بهذا الاسم لتوحيده وانقطاعه عن جبال آخر هنالك ، وقال فيه الرسول ﷺ : « هذا جبل يحبنا ونحبه ، إذا مررت به فكلوا من شجره ، ولو من عضاهه^(٢) » ، أي نحب أهله ، وهم الأنصار في رأي ، وفي رأي آخر أنه كان يبشره إذا رآه عند القدوم من أسفاره بالقرب من أهله ولقائهم ، وذلك فعل المحب ، وقيل : بل نحبه حقيقة ، وُضِعَ الحبُّ فيه كما وضع التسبيح في الجبال المسبحة مع داود ، وكما وضعت الخشية في الحجارة ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْهَبُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾^(٣) .

(١) في البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٢ مع قريش مائة فرس . والثابت مائتا فرس كما في المراجع الأخرى .

(٢) العضاه : كل شجرة كبيرة عظيمة لها شوك ، والقصد الحث على عدم إهمال الأكل من شجره تبرُّكاً به .

(٣) سورة البقرة ، الآية الكريمة : ٧٢ .

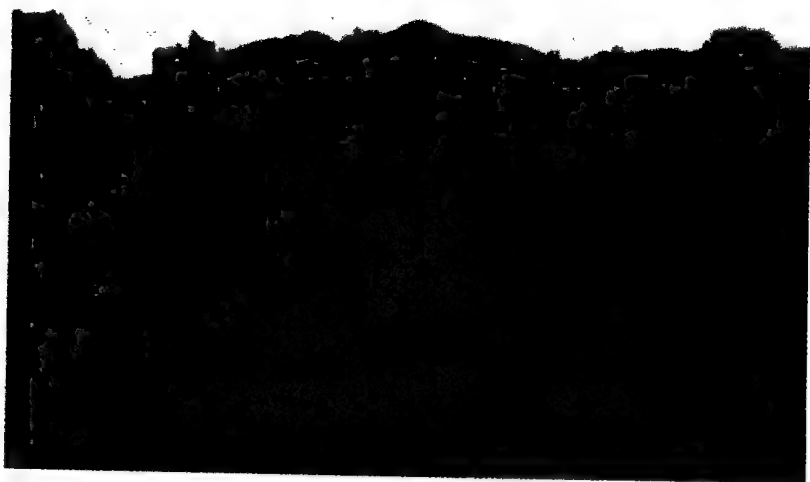
وكان ﷺ يحب الاسم الحسن ، ولأحسن من اسم مشتق من الأُحدِيَّة ، وقد سُمِّيَ الجبل بهذا الاسم ، مقدمة - لما أراده سبحانه - من مشكلة اسمه ومعناه ، إذ أهله وهم الأنصار نصروا التوحيد ، والمبعوث بدين التوحيد ، عنده استقر حياً وميتاً ، وكان من عادته عليه الصلاة والسلام أن يستعمل الوتر ويحبُّه في شأنه كله استشعاراً للأُحدِيَّة ، فقد وافق اسم هذا الجبل أغراضه عليه السلام ومقاصده في الأسماء ، فقد بدَّل كثيراً من الأسماء استقباحاً لها من أسماء البقاع وأسماء الناس ، وذلك لايحصى كثرة ، فاسم هذا الجبل من أوفق الأسماء له ، لأنه مشتق من الأُحدِيَّة^(١) .

وأحد على بعد ميل أو ثلاثة أميال من المدينة^(٢) .

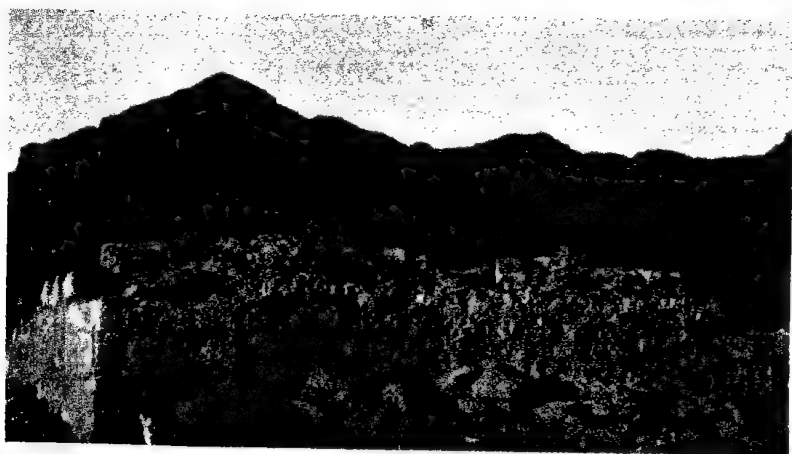


(١) الروض الأنف ، ج ٢ ص ١٥٨ و١٥٩ .

(٢) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٨٨ .



جبل الرامة



صورة توضح مكان انسحاب المسلمين بعد مخالفة الرامة
حيث التفوا حول رسول الله ﷺ يقدونه بحياتهم

الموقف في المدينة المنورة

☆ ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ
رَبُّيُّونَ كَثِيرًا فَهَارُوا وَلَهُمْ أَسَابِقُهُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝ ﴾

[آل عمران : ١٤٦]

بلغ رسول الله ﷺ أمر قريش ونزولها قرب أحد ، وذلك من رسالة أرسلها العباس^(١) مع رجل استأجره من بني غفار ، وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ، ففعل كذلك . فلما جاءه ﷺ الكتاب فكّ ختمه ، ودفعه لأبي بن كعب فقرأه عليه ، واستكتم النبي ﷺ أيباً ، ونزل على سعد بن الربيع^(٢) فأخبره بكتاب العباس واستكتمه أيضاً ، فلما خرج رسول الله ﷺ من عند سعد ، قالت له امرأته : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ .

فقال سعد بن الربيع : لأُمّ لك ، ومأنت وذاك ؟ !

فقالت : قد سمعت ما قال ، وأخبرته بما قال له رسول الله ﷺ ،

(١) العباس عم النبي ﷺ مسلم يكتُم ويخفي إسلامه في مكة ، فكان عيناً على المشركين ، يبعث بأخبارهم من مكة للنبي ﷺ ، ولولا رسالة العباس لأطبق المشركون على المدينة في غفلة من أهلها .

(٢) سعد بن الربيع ، شهد العقبة الأولى والثانية ، كان نقيب بني الحارث بن الخزرج ، هو وعبد الله بن رواحة ، استشهد يوم أحد ، « أسد الغابة » ج ٢ ص ٢٤٨ .

فاسترجع ، وأخذ بيدها ولحق برسول الله ﷺ فأخبره خبرها ، وقال :
 يا رسول الله إني خفت أن يفشو الخبر فترى أنني أنا المفشي له وقد
 استكمتني إياه . فقال له ﷺ : خَلَّ عنها^(١) . وهنا تتجلى أمانة سعد
 لسر رسول الله ﷺ ، وحرصه على ألا تتغير ثقة رسول الله ﷺ به
 ونظرته إليه ، إذا ذاع الخبر .

وقال رسول الله ﷺ لكبار الصحابة : « إني قد رأيت والله
 خيراً ، رأيت بقرأ لي تذبح ، ورأيت في ذباب^(٢) سيفي ثلماً ، ورأيت
 أنني أدخلت يدي في درع حصينة ، وأني مردف كبشاً^(٣) » .

وقال ﷺ : « فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقْتَلُونَ ، وأما
 الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي ، فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، وأما
 الكبش فإني أَقْتُلُ كبش القوم^(٤) . وأول ﷺ الدرع الحصينة بالمدينة
 المنورة » .

(١) السيرة الحلبيه ، ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٢) ذباب السيف : حدُّ طرفه الذي بين شفرتيه ، « لسان العرب ، ج ١ ص ٢٨٢ » .

(٣) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٠ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ١٦ ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١٠٣ ،

السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٢١ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ٣ .

(٤) وفي رواية : « وأولت الكبش بأني أَقْتُلُ صاحب الكتيبة » ، وقد صدق الله رؤياه ، فكان

الرجل الذي هو من أهل بيته حمزة سيد الشهداء ، وقُتِلَ طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين ،

فهو صاحب الكتيبة ، وكبش القوم : سيِّدُهم . « السيرة النبوية والآثار المحمدية ،

ج ٢ ص ٢٥ » .

ثم قال ﷺ : « فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها » .

وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ، يرى رأييه في ذلك ، وألاً يخرج إليهم ، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين لم يحضروا بدرأ : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أننا جنباً عنهم وضعفنا ، فيكون ذلك جراءة منهم علينا ، والله لانطمع العرب في أن تدخل علينا منازلنا ، وفي لفظ ، قالت الأنصار : يا رسول الله ما غلبنا عدولنا أتاناً في دارنا - أي في ناحية من نواحيها - فكيف وأنت فينا ؟! ووافقهم على ذلك حمزة رضي الله عنه ^(١) . فقال عبد الله بن أبي بن سلول ^(٢) : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدولنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه . فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ،

(١) وما قاله حمزة : « والذي أنزل عليك الكتاب لأطعم طعاماً حتى أجالدم سيفي خارج المدينة » ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٣١ .

(٢) دعاه رسول الله ﷺ - ولم يدعه قط قبلها - فاستشاره ، وفي الطبري (٢ / ٥٠٣) قال ابن أبي بن سلول : اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب ، وهذا لا يناسب ماسياًتي عند رجوعه ، وقوله : خالفني ، أطاعهم وعصاني .

ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا .

وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة ، فيقاتلوا في الأزقة ، فأتاه النعمان بن مالك الأنصاري ، فقال : يا رسول الله لا تحرمني الجنة ، فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة ، فقال له : بيم ؟ قال : بأني أشهد أن لا إله إلا الله وأَنَّك رسول الله ، وأني لأفِرُّ من الزحف ، قال ﷺ : صدقت ، فقتل يومئذ ^(١) .

ولم يزل الناس برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل ﷺ بيته ، فلبس لأمتَه ^(٢) ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ، وأخبرهم أن لهم النصره ماصبروا ، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ، ففرح الناس في بادئ الأمر ، ولكن سعد بن معاذ وأسيد بن حضير قالوا : استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج ، ولم يكن لنا ذلك ، فردّوا الأمر إليه ، ويلاحظ أن عامة مَنْ أشار عليه ﷺ بالخروج ، رجال لم يشهدوا بدرّاً ، وقد علموا الذي سبق لأصحاب بدر من الفضل والخير والمكانة . فقالوا : يا رسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى

(١) الطبري ، ج ٢ ص ٥٠٣ .

(٢) لأمتَه : درعه ، وقد يسمى السلاح كله لأمة .

الله عليك^(١) . فقال رسول الله ﷺ : « ما ينبغي لنبي إذا لبس لأُمته أن يضعها حتى يقاتل » ، فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس ، منهم مائة دارع ، مع فرس لرسول الله ﷺ اسمه « السكب » ، وفرس لأبي بردة . وعقد ﷺ لواء الأوس وجعله بيد أسيد بن حضير ، ولواء للخزرج وجعله بيد الحُباب بن المنذر « أو سعد بن عباد » ، ولواء للمهاجرين جعله مع علي بن أبي طالب ، ثم دفعه إلى مصعب بن عمير^(٢) كما سنرى .



انخزال المنافقين

وفي منتصف المسافة بين المدينة وأحد ، انخزل عن النبي ﷺ عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الجيش ، وجعل تبريراً لخيانته فقال :

(١) جاء في السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٢٥ : « قالوا : يا رسول الله امكث كما أمرتنا ، فقال : ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب ، وأذن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأيتيم إلا الخروج ، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو ، وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا » .

(٢) جاء في تاريخ خليفة بن خياط العصفري ، ج ١ ص ٢٩ : الراية مرط أسود من مراحل كان لعائشة ، وراية الأنصار يقال لها العُقاب . ولحملة الرايات ، راجع السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٢٢ . وقال ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٤ : « وكان مع المسلمين خمسون فارساً » !!! ولم يورد ذلك غيره ، وهذا خطأ .

أطاعهم وعصاني ، ماندري عَلَامَ نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ، فرجع
 بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن
 عمرو بن حرام أخو بني سلمة ، وهو في الخرج كعبد الله بن أبي بن
 سلول ، يقول : يا قوم ، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبىكم عندما حضر
 من عدوهم ، فقالوا : لو نعلم أنكم تقتاتلون لما أسلمناكم ، ولكننا لانرى أنه
 يكون قتال ، ولما استعصوا عليه ، وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال :
 أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيّه ^(١) .

لقد كان رأي عبد الله بن أبي بن سلول أن لا يخرج ، فظاهر القول
 سليم ، ولكن باطنه : لا يريد القتال ، بدليل تراجعهم بثلاث الجيش ،
 وهذا الانسحاب قبيل المعركة ، يضعف معنويات المقاتلين .

وموقف عبد الله بن أبي بن سلول يتضح سببه الحقيقي في قول
 سعد : ارفق به يا رسول الله ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لننظم له
 الخرز لنتتوجه .

وقال الأنصار يوم أحد لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ألا نستعين
 بحلفائنا من اليهود ؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم ، وهذا أمر طبيعي ،
 فشعورهم كما مر معنا بعد غزوة بدر الكبرى كان مع قريش .

(١) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٩ ، والطبري ، ج ٢ ص ٥٠٤ ، والسيرة النبوية ، ج ٢ ص ١٧ ،
 والكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١٠٣ .

ومضى ﷺ حتى سلك في حرة^(١) بني حارثة ، فذب فرسه بذنبه ، فأصاب كلاب سيف^(٢) فاستله ، فقال رسول الله ﷺ ، وكان يحب الفأل ولا يعتاف^(٣) لصاحب السيف : شم سيفك^(٤) ، فإني أرى السيوف تستل اليوم^(٥) .



مربع المافق

وسأل رسول الله ﷺ أصحابه : مَنْ رجل يخرج بنا على القوم من كذب^(٦) ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فنذبه في حرة بني حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك في مال لمربع بن قيطي الحارثي ، وكان رجلاً منافقاً ضير البصر ، فلما سمع حس رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ، قام يحثي في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله

(١) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود النخرة ، وأكثر هذه الحرات توجد حول المدينة المنورة ، وتسمى مضافة إلى أماكنها .

(٢) كلاب سيف : هي الحديدة المعفاء ، وهي التي تلي الغمد ، وقيل : مسار في قائم السيف ، « الروض الأنف » .

(٣) اعتاف : تطير .

(٤) شم سيفك : اغدده .

(٥) الطبري ، ج ٢ ص ٥٠٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ١٨ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٢٨ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٤ .

(٦) أي من قرب .

فإني لا أحلّ لك أن تدخل حائطي^(١) ، وأخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر^(٢) . وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل قبل نهي رسول الله ﷺ عنه ، فضربه بالقوس في رأسه فشجّه .

وغضب له ناس من بني حارثة ، كانوا على مثل رأيه ، أي منافقين لم يرجعوا مع من رجع مع عبد الله بن أبي بن سلول ، فهم بهم أسيد بن حضير حتى أوماً إليه رسول الله ﷺ بترك ذلك .
وهنا نقول :

إن قاعدة فقهية تقول : درء المفسد أولى من جلب المنافع .

إذا وُجدَ ضرر عام سيحل في الأمة كلها ، وهو هنا خطر العدو المهاجم للمدينة المنورة ، فإن فوات بعض المصلحة من فرد واحد ، أو أكثر ، يقدّم عليها الصالح العام على الصالح الخاص .

(١) الحائط : واحد الحيطان وحوَّط كُرمه تحويطاً : بنى حوله حائطاً فهو كُرمٌ مُحَوَّط . مختار الصحاح ، ص ١٦٢ ، والمراد هنا : بستانه أو كُرمه .

(٢) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠١ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٠٦ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٤ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ١٧ ، السيرة الجليلية ، ج ٢ ص ٢٣٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٢٨ .

لقد حقق ﷺ بعبوره السريع باتجاه أحد عبر حائط مربع المنافق أهدافاً هامة :

١ - لم تر قريش عدد قواته ، فلو مرّ بهم عن قرب ، لعرفوا إمكانات المسلمين ، وكشفوا قلة عددهم .. وبصورة عامة ، لعرفت قريش ما لا يجب أن يعرفوا .

٢ - حقق رسول الله ﷺ الوصول من أقرب طريق ، فوصل المسلمون إلى أحد في غاية السرعة ، مع تمام الراحة الجسمية أيضاً .

٣ - وكسبُ الزمن شيء هام عظيم في الحروب ، لقد وصل ﷺ ليضع خطته الحربية حسب طبيعة الأرض ، مع أخذ المكان المناسب التحصين ، والذي يتلاءم مع قلة عدد المسلمين وكثرة عدد عدوهم .

والنبي ﷺ لما مرّ ومن معه في أرض مربع بن قبيصة المنافق ، لم يخربوا شيئاً ، ولم يخسر ابن قبيصة من أرضه أو ثمره شيئاً ، مما يدل على نفاقه وحبّه تأخير المسلمين ، وسلوكهم طريقاً طويلاً ، مما يضيع على المسلمين الفرصة والزمن ، فيتحقق ما يريدّه المنافقون ، انهزام المسلمين وانكسارهم ، وسيظهرون شماتتهم - في المدينة وما حولها - بعد أحد .

المسلمون بأحد

☆ « إِنَّا لَن نَزَالُ غَالِبِينَ مَا تُبَيِّنُ
مَكَانَكُمْ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ عَلَيْهِمْ » .
« مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » .

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشَّعْبَ من أُحُدٍ في عدوة الوادي
إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحُدٍ ، واستقبل المدينة ، وأجاز
ﷺ يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ، ورافع بن خديج أخا بني
حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد رَدَّها ، فقبل : يا رسول
الله ، إِنَّ رافعاً رام فأجازه ، فلما أجاز رافعاً قيل له : يا رسول الله فإن
سمرة يصرع رافعاً ، فأجازه .

ورد ﷺ أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ،
وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وعمرو بن حزم ، وأسيد بن
ظاهر ، وعرابة بن أوس بن قيطي ، وهو الذي يقول فيه الشماخ :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخِيَرَاتِ مَنْقَطَعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَةَ رَفَعَتْ لِحْجِدَ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْمِينِ^(١)

ومن المستصغرين يوم أُحُدٍ سعد بن حبة^(٢) ، رَدَّه رسول الله ﷺ

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٣٥ .

(٢) سعد بن حبة عُرف بأمه ، وهي حبة بنت مالك الأنصارية ، وهو : سعد بن بجير .

لصغرسنه ، فلما كان يوم الخندق رآه يقاتل قتالاً شديداً ، فدعاه
ومسح على رأسه ، ودعاه بالبركة في ولده ونسله : فكان عمّاً
لأربعين ، وخالاً لأربعين ، وأباً لعشرين ، ومن ولده أبو يوسف
صاحب أبي حنيفة ، وقاضي قضاة هارون الرشيد .

فما فرغ ﷺ من استعراض جنده ، إلا وقد غابت الشمس ، فأذن
بلال بالمغرب ، صلى رسول الله ﷺ بأصحابه ، ثم أذن بالعشاء فصلى
بهم ، وبات واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين
رجلاً يطوفون بالعسكر ، ونام رسول الله ﷺ وذكوان بن عبد قيس
يحرسه لم يفارقه .

وفي صباح السبت ١٥ من شوال سنة ٣ للهجرة ، أذن بلال
للصبح ، صلى رسول الله ﷺ بأصحابه صفوفاً ، وخطب خطبة
حثهم فيها على الجهاد ، وقال : لا يقاتلن أحدٌ منكم حتى نأمره
بالقتال ، وسرّحت قريش الظهر والكراع^(١) في زروع كانت بالصُّمغة^(٢)
من قناة للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ
عن القتال : أترعى زروع بني قيلة^(٣) ولما نضارب ؟! وهذا يحدث في

(١) الظهر : الإبل ، والكراع : الخيل .

(٢) الصُّمغة : مكان قرب أحد .

(٣) قيلة : أم الأوس والخزرج ، وينسبون إليها .

بعض المواقف بين القائد وجنده ، منهم من ينطق به ، ومنهم من يبقيه
 يحول في خاطره ، ويثبت الزمن والمستقبل ، بعد نظر القائد ،
 ونظرته الشاملة ، وقصر نظر الجندي الذي لم يطلع على أبعاد خطة
 القائد وعلى كل جوانبها وأهدافها ، فنظرة القائد أعمق وأشمل وأعم ،
 وبخاصة هنا وأنه رسول الله !! وأنه ﷺ لم يعبئ جنده حسب طبيعة
 الموقع ، ولم يتواجد الجند على ميدان المعركة حسب الخطة التي أعدها ،
 فكيف يقاتل والحالة هذه ، ولو رعت الأنعام الزروع !!؟

وتعبى رسول الله ﷺ للقتال ، وهو في سبعمائة رجل على
 التشكيل التالي :

- على المينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

- وعلى الميسرة المقداد بن عمرو الساعدي رضي الله عنه .

- وعلى القلب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

- وجعل الزبير بن العوام على رجال قبالة خالد بن الوليد ، وقال

له : « كن يازائه » .

- وعلى الرماة عبد الله بن جبير أخو بني عمرو بن عوف وهو معلّم

يومئذ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً^(١) ، وقال ﷺ :

(١) الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١٠٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٢٩ ، البداية =

انضح^(١) الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ،
فأثبت مكانك لا نُؤتِين من قبيلك ، الزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، فإذا
رأيتونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن
رأيتونا تُقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا ، وارشقوهم بالنبل فإن الخيل
لا تقدم على النبل ، إنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم ، اللهم إني
أشهدك عليهم ، احموا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا ، إن رأيتونا
تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، وإن
رأيتونا هزمنا القوم وأوطأناهم^(٢) فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، إن
رأيتونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتونا قد غنما فلا تشركونا ،
اللهم إني أشهدك عليهم^(٣) .



والنهاية ، ج ٤ ص ١٤ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ١٨ . وتمركز الرماة في جبل عينين ، المسمى
بجبل الرماة اليوم ، ويقع جنوب غرب معسكر المسلمين ، على ضفة الوادي الجنوبية ، على بعد
مائة وخسين متراً عن مقر القيادة .

(١) انضح : ادفع .

(٢) أوطأناهم : مشينا عليهم وهم قتل .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط العصفري ، ج ١ ص ٢٩ ، والكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١٠٥ ،
والسيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٢٩ ، والبداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٤ ، وابن هشام ،
ج ٢ ص ١٨ ، والسيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٢٥ ، والسيرة الحلبية ،
ج ٢ ص ٢٣٥ .

وتعبأت قريش بقيادة أبي سفيان وهم ثلاثة آلاف رجل ،
وسبعمائة درع ، ومئتا فرس قد جنبوها^(١) ، وجعلوا على مينة الخيل
خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وعلى المشاة
صفوان بن أمية ، أو عمرو بن العاص .

ومن الملاحظ قبيل معركة أُحُد ، أن رسول الله ﷺ قبيل بدر
أكد النصر ، وقرّر النتيجة قبل وقوعها :

١ - « سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى
الطائفتين »^(٢) ، والقافلة وصلت مكة ، فلم يبقَ إلا النصر في المعركة .

٢ - « والله لكانني الآن أنظر إلى مصارع القوم ، هذا مصرع
فلان »^(٣) ، يضع يده على الأرض ههنا ، وههنا ، فما أناط أحدهم عن
موضع يده الشريفة ﷺ .

٣ - ولما أشار سعد بن معاذ رضي الله عنه ببناء العريش ، وأعدَّ
الركائب ليعود الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ، إن لم يتحقق النصر ،
قال رسول الله : « أو يقضي الله لك خيراً من ذلك يا سعد »^(٤) ، أي
النصر والظهور على قريش .

(١) أي جعلوها إلى جانبهم ليستعملوها عند الحاجة .

(٢) ابن هشام ، ج ٢ ص ١٨٨ ، والطبري ، ج ٢ ص ٤٢٤ ، والبداية والنهاية ، ج ٣ ص ٣٦٢ .

(٣) البداية والنهاية ، ج ٣ ص ٢٦٣ ، الطبري ، ج ٢ ص ٤٤١ .

(٤) السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ١ ص ٤٣٤ .

٤ - وفي العريش ، قال رسول الله ﷺ : « اللهم فنصرك الذي وعدتني » ، حتى أنه ﷺ طلب من الله بعض رؤوس الكفر بأسمائهم : « اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأمة ، وزمعة بن الأسود .. » .

بينما كان رسول الله ﷺ قبل أحد يحذر :

١ - رؤيا رسول الله ﷺ في المدينة :

- أ - رأيت بقرأ لي يذبح ، فهي ناس من أصحابي يقتلون .
 - ب - رأيت في ذباب سيفي ثلماً ، فهو رجل من أهل بيتي يُقتل .
 - ج - ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، فأولتها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم ...
- ٢ - وفي الطريق إلى أحد : « شم سيفك فياني أرى السيوف ستسل

اليوم » .

٣ - وحذر ﷺ أمير الرماة ومن معه ، من أمر كأنه يراه :

- أ - « لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك » .
- ب - « لا تبرحوا .. فإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا » .

ج - « إنا لن نزال غالبين ما مكثتم - أو ما ثبتم - مكانكم .. إن رأيتونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم .. إن رأيتونا نُقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتونا قد غنمنا فلا تشركونا ، اللهم إني أشهدك عليهم » .

فقبل أحد ، كان النبي ﷺ يحذر من أمر كأنه يلوح بين ناظريه ، يحذر من المخالفة ، وسنرى عاقبتها !!

سؤال يعرض لنا قبل البدء بأحداث أحد :

لماذا لم يختار أبو سفيان ، وبالتالي قريش ، الموقع الاستراتيجي من أرض المعركة ، على الرغم من وصولهم إلى موقع أحد قبل المسلمين ؟ !
إجابة من الإجابات الخمس التالية كافية جواباً لهذا السؤال ، وقد تكون مجمعة الجواب الكامل :

١ - ضيق الأفق العسكري عند أبي سفيان وقريش ، فالعرب في الجاهلية ، لم يخوضوا معارك كبيرة منظّمة ، فيها خطط حربية مدروسة .

٢ - ولعل قريشاً ما أرادت حصر نفسها في مساحة قليلة صغيرة ضيقة ، وهم ثلاثة آلاف مع خيلهم وإبلهم ونسائهم .

٣ - ولعل القرشيين لم يقدّروا سير الأحداث القادمة ، ولا أين من

الممكن أن يتركز رسول الله ﷺ ، وما ظنوا أنه لن يمر عليهم ليتجاوزهم إلى شعبٍ معين ، فيجعل ظهره إلى الجبل ، ووجهه قبالة المدينة المنورة .

د - ولعلمهم فكروا بالفرار عند الحاجة ، بعد أن ذاقوا مرارة الهزيمة المنكرة ببدر ، فهم في منبسط من الأرض متصل بطريق القوافل العام الموصل إلى مكة .

هـ - لقد فرض رسول الله ﷺ موقع المعركة وميدانها على القرشيين ، فاختار المكان الأنسب الذي يلائم قلة عدد جنده ، مما يعطيه الفعالية ، ويشل حركة جيش المشركين ، وبخاصة فرسانهم ، وتم له ﷺ ذلك كما أراد .



غزوة أحد

البت ١٥ من شوال ٣هـ

☆ ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحِبُّونَ ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾

[آل عمران : ١٥٢]

أبودجانة سمالك بن خرسة :

أخرج رسول الله ﷺ سيفاً ، جاء في السيرة الحلبية^(١) ، « وكان مكتوباً في إحدى صفحته :

في الجبن عار وفي الإقبال مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر » وقال ﷺ : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، ومن جملتهم علي رضي الله عنه ، قام ليأخذه ، فقال : اجلس ، وعمر رضي الله عنه ، فأعرض عنه ، والزيبر رضي الله عنه

(١) ج ٢ ص ٢٣٥ .

طلبه ثلاث مرات ، ورسول الله ﷺ يعرض عنه ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة ، فقال : وماحقه يارسول الله ؟

قال ﷺ : أن تضرب به العدو حتى ينحني .

فقال أبو دجانة : أنا أخذه يارسول الله بحقه ، فأعطاه إياه .
وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال^(١) عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أراد القتال ، يُخرج عصابة حمراء ، يَعْلَمُ بها عند الحرب . يعتصب بها ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ، ثم جعل يتبخر بين الصّفين ، فقال ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبخر : إنها لَمِشِيَةٌ يَبْغُضُهَا اللهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ^(٢) .



أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ :

عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان ، من الأوس ، وكان عبد الله بن أبي بن سلول من الخزرج ، وهما من رؤوس أهل المدينة ،

(١) أي يمشي مشية المتكبر .

(٢) لأن فيها عدم الاكتراث بالعدو . الطبري ، ج ٢ ص ٥١١ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٢٠ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٥ . وإعطاء السيف لأبي دجانة لا يعني أنه أفضل من علي وعمر والزبير ، ولكنها خصوصية لأبي دجانة ، لإظهار شأن الأنصار وفضلهم ، وحب رسول الله ﷺ لهم ، وهم أهل لهذا الحب ، ولتقدير رسول الله .

وعظمتها المتوجهين للرياسة على أهلها ، فعبد الله بن أبي أظهر الإسلام نفاقاً ، وأما أبو عامر فأصرَّ على الكفر ، إلى أن مات طريداً وحيداً في بلاد الشام .

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة خرج أبو عامر إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، وفي رواية : كانوا خمسة عشر رجلاً ، وكان يعد قريشاً أن لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يامعشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يافاسق ، وكان أبو عامر يُسمى في الجاهلية الراهب ، فسمّاه رسول الله ﷺ : الفاسق . فلما سمع ردّهم عليه قال : أصاب قومي بعدي شر ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم^(١) بالحجارة^(٢) .

لقد كان أبو عامر من الرهبان ، وعلى هؤلاء وعلى الأخبار أخذ الله الميثاق على لسان أنبيائهم بأنّه إذا ظهر النبي العربي أن يؤمنوا به ، وأن يدعوا الناس إلى الإيمان به ، وكانوا قبل ظهوره يبشّرون به ،

(١) راضخهم : راماهم .

(٢) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٣ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥١٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ،

ج ٣ ص ٣٢ ، الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٥١ .

ويذكرون أوصافه ، والبركات والخيرات وانتشار الإيمان ، وإبادة الأصنام عند ظهوره . فلما ظهر وبعث وأُرْسِلَ ، كانوا أَوَّلَ الأعداء له ، ونبذوا ميثاق الله الذي أخذه عليهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، ونظروا بعين المصلحة الدنيوية ، فَخَيَّلَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا اعترفوا بنبوته سيحرمون المنافع المادية التي كانوا يأخذونها من أتباعهم ، ورأوا أنهم سيخسرون زعامتهم ، فأثروا المنفعة الدنيوية العاجلة على ميثاق الله الذي أخذه على أنبيائهم وعليهم ، وآثروا دنياهم على آخرتهم ^(١) ، والعاجل على الآجل ، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ ^(٢) .

كتموا الحق ، وأخفوا الحقيقة .. وكان ما يجب أن يفعلوه الوفاء بالميثاق ، وأن يبشروا بالنبي المنتظر ، ويؤمنوا به ، فلم يفعلوا ذلك ، وأحبوا أن يحمدا وعملوا عكس ما يجب أن يفعلوا : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٣) .

(١) مع أن دنياهم لن تضيع ، وسينعمون بجز الإيمان ، ورفاه الإسلام .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٨٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٨٨ .

أَبُوسَفْيَانَ وَأَمْرَاتُهُ يُحَرِّضَانِ قَرَيْشًا :

قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ماقد رأيتم ، وإننا يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلؤا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ؟! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ، وهذا ماأراده أبو سفيان .

ونادى أبو سفيان : يامعشر الأوس والخزرج ، خلؤا بيننا وبين بني عمنّا وننصرف عنكم ، فجاء الجواب حاسماً قاسياً ، لأن أبا سفيان فاته أن رابطة العقيدة وحّدت بين رسول الله ﷺ وبين الأنصار ، وفرقت بين رسول الله ﷺ وبين أبناء عمه الوثنيين ، لذلك شتمه الأنصار أقبح شتم ، ولعنوه أشد اللعن^(١) .

وخرج رجل من المشركين على بعير له ، فدعا للبراز ، فأحجم عنه الناس ، حتى دعا ثلاثاً ، فقام إليه الزبير بن العوام ، فوثب حتى استوى معه على البعير ، ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير ، فقال رسول الله ﷺ : الذي يلي حضيض الأرض مقتول ، فوقع المشرك ، فوقع عليه

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٣٥ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٣٢ ، الطبري ،

الزبير فذبحه ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ ، وقال : « لكل نبي حوارٍ »^(١) ، وإن حوارِيَّ الزبير » ، وقال ﷺ : « لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه » ؛ لما رأى من إحجام الناس عنه^(٢) .

وخرج طلحة بن أبي طلحة^(٣) ، وطلب المبارزة مراراً ، فلم يخرج إليه أحد ، فقال : يا أصحاب محمد ، زعمت أن قتلاكم إلى الجنة ، وأن قتلانا إلى النار ، يا أصحاب محمد ، إنكم تزعمون أن الله تعالى يعجلنا بسيوفكم إلى النار ، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة ، فهل أحد منكم يعجلني بسيفه إلى النار ؟ أو أعجله بسيفي إلى الجنة ؟ ! كذبتم واللات والعزى ، لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليَّ بعضكم ، فخرج إليه علي بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين ، فقتله علي رضي الله عنه .

وفي رواية : التقيا بين الصّفين ، فبدره علي فصرعه وقطع رجله^(٤) ، ووقع على الأرض ، وبدت عورته ، فقال طلحة : يا بن عمي

(١) حوارِي : أي ناصر ، راجع كتاب دول الإسلام ، ج ١ ص ١٧ ، طبع دائرة المعارف ، حيدر آباد ، سنة ١٣٣٧ هـ ، والكتاب للمحافظ شمس الدين أبي عبد الله ، المتوفى سنة ٧٤٦ هـ .

(٢) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٣) واسمه أبي طلحة عبد الله بن عثمان بن عبد الدار ، وكان بيده لواء المشركين ، لأن بني عبد الدار كانوا أصحاب لواء المشركين ، لأن اللواء كان لوالدهم عبد الدار كما تقدّم .

(٤) وفي رواية : تقدم علي وهو يقول : أنا أبو القُصم ، أي أبو المعضلات القصم والدواهي العظم ، وقيل : « أبو القُصم » ، وفي التنزيل : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ ، وفيه : ﴿ لَا انْقِصَامَ لَهَا ﴾ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٢٣ .

أنشدك الله والرحم ، فرجع علي عنه ولم يجهز عليه ، فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟! فقال علي رضي الله عنه : إنه استقبلني بعورته ، فعطفتني عليه الرحم ، وعرفت أن الله قد قتله . وسأله رسول الله ﷺ : مامنعك أن تجهز عليه ؟ فقال : ناشدني الله والرحم ، فقال ﷺ : اقتله ، فقتله^(١) ، واستبشر رسول الله ﷺ وأصحابه ، لأنه كبش الكتيبة .

ثم أخذ لواء المشركين أخو طلحة ، عثمان بن أبي طلحة^(٢) ، فحمل عليه حمزة ، فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتره ، فرجع حمزة وهو يقول : أنا ابن ساقى الحجيج^(٣) .

فأخذ اللواء أخو عثمان ، وأخو طلحة ، أبو سعيد بن أبي طلحة ، فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فقتله ، فحملة مسافع بن

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٣٦ . وطلحة هو كبش الكتيبة ، أي الجيش ، الذي رآه رسول الله ﷺ في رؤياه المتقدمة .

(٢) وقال يومئذ وهو يحمل لواء المشركين :

إن على أهل اللواء حقاً أن يخضبوا الصعدة أو تنبدا

(٣) ساقى الحجيج : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الحارث ، زعيم قريش في الجاهلية ، وأحد سادات العرب ومقدميهم ، مولده في المدينة ومنشؤه بمكة ، كان عاقلاً ، ذا أناة ونجدة ، فصيح اللسان ، حاضر القلب ، أحبه قومه ورفعوا من شأنه ، فكانت له السقاية والرفادة . وهو جد رسول الله ﷺ ، توفي سنة ٥٧٩ م عن نحو ثمانين عاماً أو أكثر . « الأعلام ، ج ٤ ص ٢٩٨ » .

طلحة بن أبي طلحة الذي قتله علي رضي الله عنه ، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأثلح فقتله . ثم حمل اللواء أخو مسافع ، وهو الحرث بن طلحة ، فرماه عاصم فقتله . وكانت أمهما وهي سلافة معها في جيش المشركين ، وكل واحد منهما بعد أن رماه عاصم يأتي أمه ويضع رأسه في حجرها ، فتقول له : يا بني من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رماني يقول : خذها وأنا ابن أبي الأثلح ، فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وجعلت لمن جاء برأسه مائة من الإبل^(١) .

فحمل لواء المشركين أخو مسافع وأخو الحارث ، وهو كلاب بن طلحة ، فقتله الزبير أوقرمان ، فحملة أخوهم الجلاس بن طلحة ، فقتله طلحة بن عبيد الله .

فكل من مسافع والحرث وكلات والجلاس الأربعة أولاد طلحة بن أبي طلحة ، كل قتل كأبيهم ، وعميهم عثمان وأبي سعيد . وعند ذلك حمل

(١) فلما أصيب عاصم يوم الرّجيع أرادوا أن يأخذوا رأسه لبييعوه من سلافة ، فبعث الله عز وجل عليه مثل الظلّة من النحل والزناير فحمته ، ولم يقدروا على شيء منه ، فلما أعجزهم قالوا : إن النحل والزناير ستذهب إذا جاء الليل ، فبعث الله مطراً ، فجاء سيل فحملة فلم يوجد ، وكان قد عاهد الله تعالى أن لا يمس مشركاً ولا يمسّه مشرك ، فجاه الله بعد وفاته . (أسد الغابة في معرفة الصحابة . ج ٢ ص ١١١) .

اللواء أوطاة بن شرحبيل ، فقتله علي رضي الله عنه أو الحمزة ، فحمله شريح بن قارظ ، فقتل ولم يعرف قاتله ، ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار ، فقتله قزمان ، فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم ، فقتله قزمان أيضاً ، ثم حمله صواب غلامهم وكان حبشياً ، فقاتل حتى قطعت يده ، ثم برك عليه فأخذه لصدره وعنقه ، حتى قتل عليه ، قتله قزمان أو علي أو سعد بن أبي وقاص .

وعند قتل أصحاب اللواء صار المشركون كتائب متفرقة ، فجاس المسلمون فيهم ضرباً حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أثقالهم ، وكان شعار المسلمين : أمت ، أمت ، أي أمتهم يا الله ، وشعار المشركين : ياللعزى ^(١) ، يالهلبل ^(٢) .

وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات ، فكانت تنضح بالنبل ، نبل الرماة الخمسين ، فترجع مغلولة متفرقة .

ولما التقى الناس ، وحيت الحرب ، قامت هند بنت عتبة ، زوج أبي سفيان بن حرب ، في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم ، فقالت هند فيما قالت :

(١) العزى : شجرة كانوا يعبدونها .

(٢) هلبل : صنم كان داخل الكعبة منصوباً على بئر .

وَيْهًا^(١) بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَهِيَ أَهْمَةُ الْأُدْبَارِ
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ^(٢)

وتقول :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ^(٣) نَمْشِي عَلَى النَّارِقِ^(٤)
مَشْيَ الْقَطَا النَّوَاتِقِ^(٥) وَالْمَسْكُ فِي الْمَفَارِقِ
وَالدَّرُ فِي الْخَانِقِ إِنْ تَقْبَلُوا نَعَانِقِ
وَنَفْرَشَ النَّارِقِ أَوْ تَدْبِرُوا نِفَارِقِ
فِرَاقٍ غَيْرِ وَامِقٍ^(٦)

الزَّيْبَرُ بْنُ الْعَوَامِ وَأَبُو دَجَانَةَ :

قال الزبير بن العوام : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف وأعطاه أبا دجانة ، وقلت : أنا ابن صفيّة عمته ، ومن

(١) وِيهًا : كلمة إغراء وتحريض ، كما تقول : دونك يا فلان . والأدبار : الأعقاب ، أي الذين يحمون أعقاب الناس .

(٢) الْبَتَّارُ : السيف القاطع .

(٣) الطارق : النجم ، والمراد : نحن بنات من بلغ العلو وارتفع القدر كالنجم .

(٤) النَّارِقُ : الوسائد الصغيرة ، وكل ما يجلس عليه .

(٥) أي مشية الخفاف .

(٦) الوامق : الحب ، والأبيات مجموعة من : البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٦ ، السيرة النبوية لابن

كثير ، ج ٣ ص ٣١ ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١٠٦ ..

قريش ، وقد قت إليه فسأله إياه قبله ، فأعطاه إياه وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع ؛ فاتبعته ، فأخرج عصابة له حمراء ، فعصب بها رأسه ، وكان مكتوباً على أحد طرفيها : « نصر من الله وفتح قريب » ، وفي طرفها الآخر : « الجبانة في الحرب عار ، ومن قرأ لم ينج من النار »^(١) ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت ، وهذا ما كانت الأنصار تقول له إذا تعصب بها . فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلي^(٢) ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم للدهر في الكيول^(٣) أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقي أحداً إلا قتله ، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً مسلماً إلا ذفف عليه ، أي أسرع في قتله ، فجعل كل واحد فيهما يدنو من صاحبه ، يقول الزبير : فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة ، فاتقاه

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٢) يعني رسول الله ﷺ ، وكان أبو هريرة يقول : حدثني خليلي ، وأنكره عليه بعض الصحابة ، وقيل له : متى كان خليلك ؟! وإنما أنكر عليه لقوله ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام » . وليس في الحديث ما يدفع أن يقول الصحابي : حدثني خليلي ؛ لأنهم يريدون به معنى الحبيب ، وإنما فيه أن النبي ما خص بها أحداً ، دون أن يمنع غيره من أصحابه أن يقولها له ، وما كان في قلوبهم من المحبة له يقتضي هذا ، وأكثر منه ، ما لم يكن الغلو : « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ، فإنما أنا عبد الله ورسوله » .

(٣) الكيول : آخر الصفوف .

بدرقته ، فعضت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأيتَه قد حمل
السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها ،
فقلت : الله ورسوله أعلم ^(١) .

وقال أبو دجانة : رأيت إنساناً يخمش الناس خشاً شديداً ،
فصدمت له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمت سيف
رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة .

وهذا تكريم رائع للمرأة ، كي لا يقال : إن المسلمين قتلوا النساء
وهن غير محاربات في الجيش ، فهن ظعائن خلف الجيش يحمسن
فقط . وفي السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٣١ ، يقول
أبو دجانة سبب عدم قتل هند بوضوح : « لا ناصر لها » ، لا احتقاراً
ونظرة دُون للمرأة ، بل احتراماً وتقديراً وتكريماً للمرأة ، وحماية لها .



اسْتِشْهَادُ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن شرحبيل بن
هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون

(١) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٧ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٢١ ، الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠١ ، السيرة
النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٢٢ .

اللواء ، ثم مرّ به سباع بن عبد العزّي الغبشاني ، وكان يكنى بأبي نيار ، فقال له حمزة : هلم إلي يا بن مقطّعة البطور^(١) ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

قال وحشي ، غلام جبير بن مطعم : والله إني لأنظر إلى حمزة يهد^(٢) الناس بسيفه ما يليق^(٣) به شيئاً ، مثل الجمل الأورق^(٤) ، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزّي ، فقال له حمزة : هلم إلي يا بن مقطّعة البطور ، فضربه ضربة ، فكأنما أخطأ رأسه ، وهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها إليه ، فوقعت في ثُنته^(٥) حتى خرجت من بين رجله ، فأقبل نحوي ، فغلب فوق ، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ، ثم تنحّيتُ إلى العسكر ، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره .

(١) كانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكانت خُثانة بكة ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٠ .

(٢) يهد : يهلك .

(٣) ما يليق : ما يبغي .

(٤) الأورق : مغبر اللون .

(٥) ثُنته : تحت السرة وفوق العانة ، وكان حمزة قد عثر فانكشف الدرع عن بطنه ، وفي رواية : كان حمزة يقاتل بسيفين وهو يقول : أنا أسد الله ، ولكنه عثر عثرة وقع منها على ظهره ، فانكشف الدرع عن بطنه فطعنه وحشي . (الروض الأنزه في مناقب سيدنا حمزة رضي الله عنه لجعفر حسن البرزنجي الشافعي المفتي بطيبة ، ص ٢ ، مخطوطة في دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق ، رقم : ٨٤٦٢) .

قال عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث ، عن سلمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري ، قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الحيار أخو بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية بن أبي سفيان^(١) ، فأدربنا مع الناس^(٢) ، فلما قفلنا مررنا بجمص ، وكان وحشي قد سكنها وأقام بها ، فلما قدمناها قال لي عبيد الله بن عدي : هل لك في أن تأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ فقال : إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بجمص ، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجدها صاحياً تجدا رجلاً عربياً ، وتجدا عنده بغض ما تريدان ، وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجدها وبه بغض ما يكون به ، فانصرفا عنه ودعاه ، قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسة^(٣) له ، فإذا شيخ كبير مثل البغات^(٤) .

فإذا هو صاح لا بأس به ، قال : فلما انتهينا إليه سلّمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي ، فقال : ابن لعدي بن الحيار أنت ؟

(١) الخليفة الأموي الأول ، من : ٤١ هـ ، إلى : ٦١ هجرية .

(٢) أدربنا : اجتزنا الدروب .

(٣) الطنفسة : كل ما يجلس عليه كالسباط والوسائد والحصير والثوب .

(٤) البغات : ضرب من الطير ، لونه أسود .

قال : نعم ، قال : أما والله ما رأيته منذ ناولته أمك السَّعدية التي أرضعتك بذي طوى^(١) ، فإني ناولتها وهي على بغيرها ، فأخذتك بِعُرضيك^(٢) ، فلمعت لي قدماك حين رفعتك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفت عليَّ فعرفتهما . قال : فجلسنا إليه ، فقلنا له : جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة ، كيف قتله ؟!

فقال وحشي : أما إني سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألتني عن ذلك ، كنت غلاماً لجبير بن مطعم ، وكان عمه طُعَيْة بن عدي قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد ، قال لي جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق ، فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة ، قلما أخطئ بها شيئاً ، فلما التقى الناس ، خرجت أنظر حمزة وأتبصره ، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هذا ، ما يقوم له شيء ، فوالله إني لأتألم له ، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنوني ، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال له : هلم إلي يا بن مقطعة البظور ، فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه ، وهزرت

(١) أم عبيد بن عدي قرشية أمية لا سعدية ، إلا أن يريد بها مرضعته إن كانت سعدية ، واسمها : أم قنال بنت أبي العيص بن أمية ، ذكرها البخاري في هذا الخبر ، ولم يقل إنها سعدية . أما عبيد الله بن عدي فولد في حياة رسول الله ﷺ ، ومات في خلافة الوليد بن عبد الملك .

(٢) بِعُرضيك : بجانبك .

حربتي حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه^(١) ، وذهب لينوء^(٢) نحوي فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيتها فأخذت حربتي ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدت فيه ، ولم يكن لي بغيره حاجة ، وإنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة أعتقت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة ، هربت إلى الطائف ، فكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيت^(٣) علي المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام أو باليمن ، أو ببعض البلاد ، فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال لي رجل : ويحك إنه والله ما يُقتل أحد من الناس دخل في دينه ، وتشهد شهادته .

فلما قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه ، أتشهد بشهادة الحق ، وقال الناس : يا رسول الله هذا وحشي ، فقال ﷺ : دعوه فلا سلام رجل واحد أحب إليّ من قتل ألف رجل كافر^(٤) . فلما رأي قال : أوحشي ؟

(١) قال حسان بن ثابت : والله إني لأنظر إلى الحربة تهوي وأنا على رأس فارح - أي أطمه - فقلت : والله إن هذه لسلّاح ماهي بسلّاح العرب ، كأنها إنما تهوي إلى حمزة ولأدري ، وفي البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٩ (حق خرجت مابين وركيه) .

(٢) ينوء : ينهض متعباً .

(٣) تعيت بالأمر كتنعي ، ويقال في المشي : أعيت وأنا غيبي .

(٤) الروض الأتف ، ج ٣ ص ١٦٣ ، وأوردنا هنا رواية ابن هشام ، ج ٣ ص ٢٢ . وهي أيضاً في :

قلت : نعم يا رسول الله ، قال : اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة ، قال وحشي : فحدثته كما حدثتكم ، فلما فرغت من حديثي قال : ويحك !! غيَّب عني وجهك ، فلا أرينك ، فكننت أتكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني ، حتى قبضه الله ﷻ .

فلما خرج المسلمون إلى مسيمة الكذاب صاحب اليمامة ، خرجت معهم ، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس ، رأيت مسيمة الكذاب قائماً في يده السيف وما أعرفه ، فتهيأت له ، وتهياً له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريد ، فهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت فيه ، وشد عليه الأنصاري^(١) بالسيف ، فربُّك أعلم أيُّنا قتله ، فإن كنت قتلت ، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقد قتلت شر الناس .

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب - وكان قد شهد اليمامة - : سمعت يوماً صارخاً يقول : قتله العبد الأسود .

ولم يزل وحشي يشرب الخمر حتى خلع من الديوان^(٢) ، فكان عمر

البداية والنهاية ، ج ٤ ص ١٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٢٧ ، والطبري ،

ج ٢ ص ٥١٦ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٦٢ ، والاكتفاء ، ج ١ ص ١٠١ .

(١) وهو عبد الله بن زيد ، وفي رواية : اشترك معها أبو دجانة أيضاً .

(٢) ديوان المجاهدين أيام عمر رضي الله عنه .

ابن الخطاب يقول : قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة^(١) .



اسْتِشْهَادُ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ :

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتِلَ ، وكان الذي قتله ابن قنئة الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً^(٢) ، فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب .

ولم يترك مصعب رضي الله عنه إلا نَمِرَةً^(٣) ، يقول عبد الرحمن بن عوف : إذا غطينا بها رجله خرج رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله (الإذْخِر)^(٤) . وكان مصعب بن عمير قبل الإسلام فتي مكة شاباً وجالاً ولباساً وعطراً .

لقد أسلم مصعب ورسول الله ﷺ في دار الأرقم ، وكان يختلف إلى

(١) أي لم يكن ليرك من الابتلاء ، فتكرر حذؤه في شرب الخمر ، وإخراجه من ديوان المجاهدين من أقبج الابتلاء ، من حديث رواه الدارقطني في صحيحه عن سعيد بن المسيب ، (السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٦٣) .

(٢) لأن مصعباً رضي الله عنه كان إذا لبس لأمته يشبه النبي ﷺ .

(٣) النمرة : بردة من الصوف .

(٤) الإذْخِر : - بكسر الهمزة - حشيش معروف طيب الرائحة .

رسول الله ﷺ سرّاً ، فبصر به عثمان بن طلحة العبدري يصلي ، فأعلم أهله ، فأخذوه فحبسوه ، فلم يزل محبوساً إلى أن هاجر إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة بعد بيعة العقبة الأولى يفقه أهلها و يقرئهم القرآن ، ويصلي بهم . وكان يسمى بالمدينة المقرئ ، وأسلم على يده أسيد بن حضير وسعد بن معاذ ، وكفى بذلك فخراً وأثراً في الإسلام .

كان عمره يوم استشهد في أحد أربعين سنة أو أكثر قليلاً .

قال سعد بن أبي وقاص : كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة ، وأجوده حُلَّةً مع أبيه ، ثم لقد رأيته جُهد في الإسلام جهداً شديداً ، حتى لقد رأيت جلده يَتَحَشَّفُ^(١) كما يتحشّف جلد الحية .

وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول : « ما رأيت بمكة أحسن لِمَّة^(٢) ، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير »^(٣) .

رحم الله مصعباً .. فلو لم يجد منتهى السعادة الروحية في إسلامه ، وغاية السرور في إيمانه ، مع كامل الصفاء القلبي في صحبة رسول الله ﷺ ، لما انقلب وتحوّل هذا التحوّل الجذري في حياته وسلوكه .

(١) يتحشّف : يتقبض ويتقلّص .

(٢) لِمَّة : من شعر الرأس دون الجمّة ، سُمّيَت بذلك لأنها أَلت بالمنكبين ، فإذا زادت فهي الجمّة .

(٣) أَسَدُ الْغَابَةِ في معرفة الصحابة ، ج ٥ ص ١٨١ .

ما أعظم هذه العينة من الرجال ، وما أرقى تربيتهم التي رباهم عليها رسول الله ﷺ . لقد رفع مصعب لواء المسلمين في أحد ، وما وصل وارثي إلى هذا المقام ، إلا بعد أن تزكت روحه ، وعشقت ربها ، واستنار قلبه بنور الله عز وجل ، فأنكر ذاته ، وعاش لعقيدته ، واستشهد من أجلها .

وسيبقى مصعب في تاريخنا من الخالدين ، مع الشخصيات الجليلة ، والنفوس النبيلة ، والأعلام العظام .



ولما اشتد القتال يوم أحد ، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار ، وقال : « اللهم بك أحول ^(١) ، وبك أصول ، وفيك أقاتل ، حسبي الله ونعم الوكيل » . وأرسل ﷺ إلى علي رضي الله عنه أن تقدم بالراية - بعد استشهاد مصعب - فتقدم علي يحمل الراية .

حَنْظَلَةُ غَسِيلَ الْمَلَأَيْكَةِ :

استأذن حنظلة رسول الله ﷺ في قتل أبيه - أبي عامر الفاسق - ، فنهاه عن قتله ^(٢) . وخلال المعركة التقى حنظلة وأبو سفيان ، فلما

(١) أي أمتع .

(٢) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٣ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢١ ، الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٥٤ ، الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٢ . واسم أبي عامر : عبد عمرو .

استعلاه حنظلة ، رآه شداد بن الأسود بن شعوب قد علا أبا سفيان ،
 فضرب شداد حنظلة فقتله . فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبكم
 - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة في صحاف الفضة بماء المزن بين السماء
 والأرض »^(١) ، فسألوا أهله - بعد المعركة - ما شأنه ؟! فقالت زوجته
 جميلة بنت أبي بن سلول ، أخت عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان
 ابنتى بها تلك الليلة^(٢) ، فكانت عروساً عنده ، فرأت في النوم تلك
 الليلة كأن باباً في السماء فتح له فدخله ، ثم أغلق دونه ، فعلمت أنه
 ميت من غده ، فدعت رجالاً من قومها حين أصبحت فأشهدتهم على
 الدخول بها خشية أن يكون في ذلك نزاع . وقالت زوجها : خرج وهو
 جنب ، سمع الهاتفة ، ومنادي الجهاد ، فعجل عن الغسل إجابة
 للداعي^(٣) . فقال رسول الله ﷺ : « لذلك غسلته الملائكة » ، والتمس
 في القتلى ، فوجدوه يقطر رأسه ماءً ، وليس بقربه ماء تصديقاً لما قاله
 ﷺ .

-
- (١) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٢ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٤ ، الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٦٣ ،
 الطبري ، ج ٢ ص ٥٢٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٤١ ، الكامل في التاريخ ،
 ج ٢ ص ١١٠ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٥٥ ، وابن هشام ، ج ٣ ص ٢٥ ...
 (٢) ولدت له عبد الله بن حنظلة ، وهو الذي ولّاه أهل المدينة عليهم لما خلعوا يزيد بن معاوية .
 (٣) جاء في الحديث الشريف : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ، كلما سمع هيعة - منادي
 الجهاد - طار إليها » . ابن هشام ، ج ٣ ص ٢٥ .

وقال أبو سفيان بن حرب ، وهو يذكر صبره في ذلك اليوم ،
ومعاونة ابن شعوب إياه على حنظلة :

ولو شئتُ نَجَّثْنِي كُمَيْتَ طِمْرَةٍ^(١) ولم أَحْمِلِ النِّعَاءَ لابنِ شَعُوبٍ
وما زالَ مُهْرِي مَرْجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى دَنَتْ لِعُرُوبٍ^(٢)
وَسَلَّى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنَّنِي قَتَلْتُ مِنَ النَّجَارِ^(٣) كُلَّ نَجِيبٍ
وَمِنْ هَاشِمٍ قَرْمًا^(٤) كَرِيماً وَمُصْعَباً وَكَانَ لَدَى الْهَيْجَاءِ غَيْرَ هَيَّوبٍ
فَلَوْ أَنَّنِي لَمْ أَشْفِ نَفْسِي مِنْهُمْ

لَكَانَتْ شَجَاءً فِي الْقَلْبِ ذَاتُ نُدُوبٍ^(٥)
فَأَبَوْا وَقَدْ أُوْدَى الْجَلَابِيبُ مِنْهُمْ هُمُ خَدَبٌ مِنْ مُعْبِطٍ وَكُئِيبٍ^(٦)
أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ كَفِيًّا وَلَا فِي خُطَّةٍ بِضَرِيبٍ^(٧)
فَأَجَابَهُ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ :

(١) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٢) أي لم يبعد عنهم إلا بمقدار الموضع الذي يزجر إليه الكلب ، والضير المستتر في دَنَتْ للشمس .

(٣) بنو النجار ، من سكان المدينة ، وهم أخوال رسول الله ﷺ ، ولعلَّه يعني الأنصار عموماً .

(٤) القرم : السيد ، يعني حمزة .

(٥) ندوب : جمع ندب أو النَّدْبَة : أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد ، لسان العرب ،

ج ١ ص ٧٥٣ .

(٦) الجلابيب : جمع جلباب ، وهو الإزار الخشن ، وكان المشركون يسمون من أسلم الجلابيب ،
والخدب : الطعن النافذ ، والمعبط : الذي يسيل دمه .

(٧) ليست هذه كل الأبيات ، راجع ابن هشام ، ج ٢ ص ٢٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ،

ج ٣ ص ٤١ .

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَلَسْتَ لِزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبٍ
أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حِمَزَةَ مِنْهُمْ نَجِيًّا وَقَدْ سَمَّيْتَهُ بِنَجِيبٍ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرَأً وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ وَالْحَجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبٍ !
غَدَاةَ دَعَا الْعَاصِي عَلِيًّا فِرَاعَهُ بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلَّاهُ بِخَضِيبٍ

وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبي سفيان فيما دفع عنه :

لَأَحْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي بَطْنَةً مِثْلَ شِعَاعِ الشَّمْسِ
وقال أيضاً :

وَلَوْلَا دِفَاعِي يَا بَنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي لَأُلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ ^(١) غَيْرَ مُجِيبٍ
وَلَوْلَا مَكْرِّي الْمُهَرَّ بِالنَّعْفِ فَرَقَرْتُ ^(٢) عَلَيْهِ ضَبَاعٌ ^(٣) أَوْ ضِرَاءُ كَلِيبٍ ^(٤)



(١) النَّعْفُ : ما انحدر من حزونة الجبل ، ويعني يوم أحد .

(٢) فرقرت : أسرعت وطاشت ، وفي ابن هشام والطبري : فرقرت « بالقاف » .

(٣) ابن هشام والطبري : ضَبَاعٌ عليه .

(٤) الضراء : الضارية من الكلاب .

عند فقد المباداة يستعيد تحقيق النصر

☆ وَلَئِنْ قَتَلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ .

[آل عمران : ١٥٧]

ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فحسوهم
بالسيوف ، حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لاشك فيها . ولما
قُتِل أصحاب لواء المشركين واحداً بعد واحد ، ولم يقدر أحد أن يدنو
منه ، انهزم المشركون ، وولّوا لايلوون على شيء^(١) ، ونساؤهم يدعون
بالويل بعد فرحهن وضربهن بالدفوف ، وألقين الدفوف ، وقصدن
الجبيل كاشفات سيقانهن ، يرفعن ثيابهن ، وتبع المسلمون المشركين
يضعون فيهم السلاح ، ويأخذون الغنائم . ففارقت الرماة محلهم الذي
أمرهم ﷺ أن لا يفارقوه ، ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير ، فقالوا له :
انهزم المشركون فما مقامنا هنا ؟ وانطلقوا إلى الغنائم .

(١) قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه : احمل على جماعة من المشركين ، وفرّقهم ، وقتل فيهم ،
ثم أبصر ﷺ جماعة أخرى فقال له : احمل عليهم ، فحمل عليهم وفرّقهم وقتل منهم ، فقال
جبريل : يا رسول الله هذه المواساة ، فقال رسول الله ﷺ : إنه مني وأنا منه ، فقال جبريل :
وأنا منكما ، يقال : سَمِعَ صوت عندها يقول : لاسيف إلا ذو الفقار ، ولافتى إلا علي .

وثبت عبد الله بن جبير مكانه ، وثبت معه دون العشرة ، وقال : لأجاوز أمر رسول الله ﷺ . فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل من الرماة ، وقلة من به منهم ، فكرّ بالخيـل ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوا مع أميرهم عبد الله بن جبير ، ومثلوا به ، ومن كثرة طعنه بالرماح خرجت أحشائه .

الزبير بن العوام يذكر سبب الهزيمة :

قال ابن العوام رضي الله عنه : والله لقد رأيـتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشـرات هوارب ، مادون أخذهن قليل أو كثير ، إذ مالت الرماة إلى العسكر ، حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيـل ، فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتل ، فانكفأنا ، وانكفأ علينا القوم ، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم ^(١) .

لقد أحاط المشركون بالمسلمين وقد شغلوا بالغنائم ، ودخلت

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٢٩ ، الروض الأثف ، ج ٣ ص ١٥٥ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٤ ، وفي الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٢ : قال الرماة : والله ما تجلس هنا لشيء ، قد أهلك الله العدو ، وإخواننا في عسكر المشركين ، فتركوا منازلهم التي عهد إليهم رسول الله أن لا يتركوها ، وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول ، فأوجفت الخيل فيهم قتلاً ، ولم تكن نبيل تنضحها ، ووجدت مدخلاً عليهم ، فكان ذلك سبب الهزيمة .

خيول المشركين تنادي فرسانها بشعارها : ياللعزى ، يالهبل ، ووضعا السيوف في المسلمين وهم آمنون ، وتفرّق المسلمون في كل وجه مما أصابهم من الدهش والحيرة^(١) .

ولم يزل لواء قريش صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعته لقريش فاجتمعوا عليه ، وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبي طلحة ، وكان صواب حبشياً ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يده ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء ب صدره وعنقه حتى قُتل عليه ، وهو يقول : اللهم هل أعذرت ؟

قال حسان بن ثابت في ذلك :

| | |
|--------------------------------------|---------------------------|
| لواء حين رُدَّ إلى صواب | فخرتم باللسواء وشرُّ فخرٍ |
| والألم من يطأ غفر التراب | جعلتم فخركم فيه لعبدٍ |
| وما إن ذاك من أمر الصواب | ظننتم والسفية له ظنونٌ |
| بمكة يبعكم حمر العياب ^(٢) | بأن جلدنا يوم التقينا |
| وما إن تُعصبان على خصاب | أقر العين أن عصبت يده |

وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم :

(١) السيرة الخلبية ، ج ٢ ص ٢٣٩ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٣٥ . ويقول الحافظ

ابن حجر في هزيمة المسلمين بأحد : إنها شؤم ارتكاب النهي .

(٢) العياب : ماتضع فيه الناس حوائجهم .

إذا عَضَلَ سَيَقَتْ إِلَيْنَا كَأَنهَا جَدَايَةُ شُرْكَ مُعَلَّمَاتِ الْحَوَاجِبِ^(١)
 أَقْنَاهُمْ طَعْنًا مَبِيرًا مُنْكَبِلًا وَخُزْنَاهُمْ بِالضَرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 فَلَوْلَا لَوَاءُ الْحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا يُبَاعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ يَبِيعُ الْجَلَائِبِ^(٢)



وانهزمت طائفة من المسلمين إلى جهة المدينة ، ولم يدخلوها .
 وقال رجال من المسلمين حيث نودي أن رسول الله قد قُتِلَ : (ارجعوا
 إلى قومكم يؤمنوكم) .

وقال ثابت بن الدحداح : يامعشر الأنصار ، إن كان محمد قد قتل
 فإن الله حي لا يموت ، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم ،
 فنهض إليه نفر من الأنصار ، فحمل بهم على كتيبة فيها خالد وعمرو
 وعكرمة وضرار بن الخطاب ، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح
 فقتله ، وقتل من كان معه من الأنصار رضي الله عنهم .

وقال بعض المنافقين : ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي بن
 سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان ، يا قوم إن محمداً قد قُتِلَ فارجعوا
 إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .

(١) الجداية : الغزال ، وشرك : اسم موضع ، وعضل : اسم قبيلة .

(٢) الجلائب : ما يجلب إلى الأسواق لبيع فيها .

وانهزمت طائفة منهم حتى دخلت المدينة ، فلقيتهم أم أين ، فجعلت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به ، وأعطني سيفك .

قال البخاري : حدثنا عبدان « عبد الله بن عثمان المروزي » ، أخبرنا أبو حمزة ، عن عثمان بن مَوْهَب ، قال : جاء رجل حجَّ البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قال : هؤلاء قريش ، قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر ، فأتاه فقال : إني سائلك عن شيء أتحدثني ؟ قال : أنشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أن عثمان بن عفان فرَّ يوم أحد ؟ قال : نعم . قال : فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم ، قال : فكبر ، مستحسناً لما أجابه ابن عمر ، لمطابقته لما يعتقد في عثمان رضي الله عنه .

قال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه .

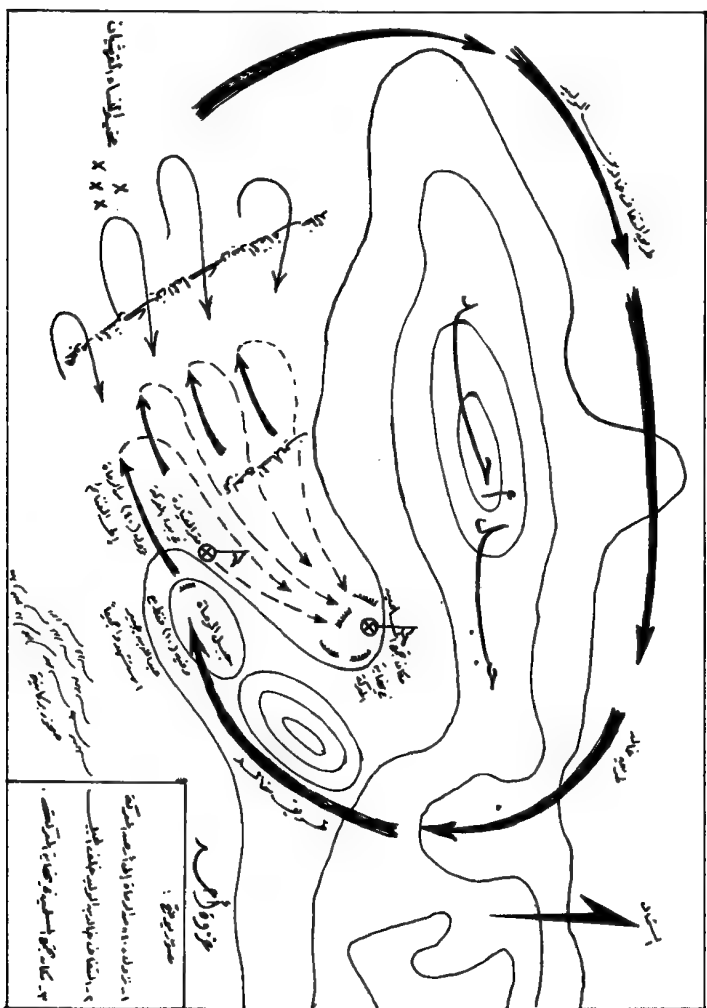
أما فراره يوم أحد : فأشهد أن الله عفا عنه ، ﴿ ... ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم والله ذو فضلٍ على المؤمنين ﴾ ^(١) . وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنتُ النبي ﷺ وكانت مريضة ، فقال له

(١) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٥٢ .

رسول الله ﷺ : إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه . وأما تغيُّبه
عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحد أعز بيطن مكة من عثمان بن عفان
لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى
مكة ، فقال النبي ﷺ بيده اليمنى : هذه يد عثمان ، فضرب بها على
يده ، فقال : هذه لعثمان . اذهب بهذا الآن معك ^(١) .



(١) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٥٤ .



إِنْ نَحْطِ وَاحِدَةً يُمْكِنُ أَنْ تُحْدَدَ مَصِيرُ الْمَعْرَكَةِ

☆ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ
لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا
عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

[آل عمران : ١٥٩]

مَا أَصَابَ الرَّسُولُ يَوْمَ أُحُدٍ :

وانكشف المسلمون ، فأصاب العدو فيهم ، وكان يوم بلاء
وتحivص ، وأكرم الله فيه مَنْ أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص
العدو إلى رسول الله ﷺ ، وقذف بالحجارة حتى وقع لشقه ^(١) ،
فأصابت ربايعيته ، وشجَّ في وجهه ، وَكَلِمَت ^(٢) شفته ، وكان الذي
أصابه عتبة بن أبي وقاص ^(٣) .

(١) الشق : الجانب .

(٢) كلمت : جرحت .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٥٧ ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١٠٧ ، الطبري ،

ج ٢ ص ٥١٥ ، ابن هشام ، ج ٢ ص ٢٨ ، عيون الأثر : ج ٢ ص ١٢ .

عن أنس بن مالك قال : كُثِرَتْ رباعية النبي ﷺ يوم أحد ، وشج في وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله ؟ ! فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : إن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر ربايعته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، ودعا عليه عليه ﷺ بقوله : اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً ، وقد استجاب الله عز وجل ذلك ، وقتله في ذلك اليوم حاطب بن أبي بلتعة . قال حاطب : رأيت ما فعل عتبة برسول الله ﷺ قلت لرسول الله ﷺ : أين توجه عتبة ؟ فأشار النبي ﷺ إلى حيث توجه ، فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحته رأسه ، وأخذت فرسه وسيفه ، وجئت به إلى رسول الله ﷺ ، فقال لي : رضي الله عنك ، رضي الله عنك مرتين (٢) .

(١) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٢٨ .

(٢) وهذا يخالف قول بعضهم : إنه مات بعد أن أسلم بعد الفتح « الكامل في التاريخ ،

ج ١ ص ١٠٧ » .

وشجَّ عبد الله بن شهاب الزهري رسول الله ﷺ في جبهته^(١) .

وإن ابن قَمِيَّةَ الحارثي جرح وجنته ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر^(٢) في وجنته ﷺ ، وقال لما تقدم نحو رسول الله : خذها وأنا ابن قَمِيَّةَ ، فقال رسول الله ﷺ : أقمأك الله عز وجل^(٣) ، واستجاب الله فيه دعوة نبيِّه ﷺ ، فإنه بعد أحد ، خرج إلى غنمه فوافاها على ذروة الجبل ، فأخذ يعترضها ، فشدَّ عليه كبشها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطع .

وفي رواية : فسَلَطَ الله عليه تيس جبل ، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة^(٤) .

ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر الفاسق ، ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، وكان من سبب وقوعه أيضاً أن ابن قَمِيَّةَ الحارثي علاه ﷺ بالسيف ، فلم يؤثر فيه السيف^(٥) ،

(١) هذا عبد الله بن شهاب الأصغر ، أما عبد الله بن شهاب الأكبر فهو من مهاجرة الحبشة ، توفي بمكة قبل الهجرة ، وأسلم عبد الله الأصغر فيما بعد .

(٢) المغفر : حلق يجعل على الرأس يتقى به ضرب السلاح في الحرب . واسم ابن قَمِيَّةَ : عبد الله بن قَمِيَّةَ الحارثي .

(٣) أي صَفَرَك وأَذَلَّكَ .

(٤) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٤٦ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥١٩ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٥٠ .

(٥) لقد لبس ﷺ درعين ، أخذاً بالأسباب ، فلم يؤثر السيف فيه .

إلا أن ثقل السيف أثر في عاتقه الشريف ، فشكا ﷺ منه شهراً أو أكثر .

وأخذ علي رضي الله عنه بيد رسول الله ﷺ ، ورفع طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حتى استوى قائماً ، لقد جلس طلحة تحت رسول الله ﷺ ، ثم نهض به حتى استوى ، وأجلسه على صخرة في الشَّعب ، فقال رسول الله ﷺ : « أوجب طلحة » ، أي فعل شيئاً استوجب به الجنة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع ^(١) .

ومصَّ مالك بن سنان - أبو أبي سعيد الخدري - الدم عن وجه رسول الله ﷺ ، ثم ازدرده ، فقال رسول الله ﷺ : « من مسَّ دمي دمه لم تصبه النار » ^(٢) .

ومما قاله ﷺ بحق مالك بن سنان : « من أراد أن ينظر إلى

(١) السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٤٩ ، جاء : « واحتضنه طلحة حتى استوى قائماً » وقال ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى شهيد يمضي على رجله ، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله » .

(٢) وكذلك عبد الله بن الزبير ، قال : أتيت النبي ﷺ وهو يحتجم ، فلما فرغ ، قال : يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حتى لا يراك أحد ، قال : فشربته ، فلما رجعت قال : يا عبد الله ما صنعت ؟ قلت : جعلته في أخفى مكان علمت أن يخفى على الناس ، قال : لعلك شربته ؟؟ قلت : نعم ، قال : ويل للناس منك ، وويل لك من الناس ، لن تمس النار جوفك إلا تحلَّه القسم . ولم يأمر النبي ﷺ بفعل فم الذي ازدرد الدم ، كل ذلك خصوصية لرسول الله ﷺ .

رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا « وأشار إليه ، وفي لفظ : « من سرّه أن ينظر إلى من لآتمسه النار ، فلينظر إلى مالك بن سنان » . فاستشهد في أحد ، رضي الله عنه .

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال : إن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ ، فسقطت ثنيته ^(١) ، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى ، فكان ساقط الثنيتين .



مِنْ بَطُولَاتِ الصَّحَابَةِ فِي أَحَدٍ :

قال الحافظ ابن حجر : صار المسلمون ثلاث فرق ، فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة ، فما رجعوا حتى انفض القتال ، وهم قليل ، وفي حقهم نزل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ، وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ^(٢) .

وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل ، فصارت

(١) ثنيته : الأسنان الأمامية « الثنايا » . ومن كُيرت ثناياه فهو : أهُتَم ، لسان العرب ، ج ١٢ ص ٦٠٠ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٥٥ .

غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه ، أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل ، وهم أكثر الصحابة .

وفرقة تثبتت مع النبي ﷺ . ثم تراجعت إليه الفرقة الثانية شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه ﷺ حي ^(١) ، وجاء أنه ثبت بين يديه ﷺ ثلاثون رجلاً كلهم يقول : وجهي دون وجهك ، ونفسي دون نفسك ، وعليك السلام غير مودّع ^(٢) .

قال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم : من رجل يشري لنا نفسه ؟ فقام زياد بن السَّكَن ^(٣) في نفر خمسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً يَقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد بن السَّكَن ، فقاتل حتى أثبت ^(٤) ، ثم فاءت منه فئة من المسلمين ، فقاتلوا عنه حتى أجهضوا عنه العدو ، فقال رسول الله ﷺ : أدنوه مني ، فأدنوه منه ، فوسَّده قدمه ، فأت وخده على قدم رسول الله ﷺ ^(٥) .

☆ وقاتلت أم عمار ، نُسَّية بنت كعب المازنية يوم أحد .

(١) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٣٨ .

(٢) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٤٢ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٣ .

(٣) زياد بن السَّكَن بن رافع بن امرئ القيس الأنصاري الأوسي الأشجلي ، يجتمع هو وسعد بن معاذ

في امرئ القيس ، قتل شهيداً يوم أحد . « أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٢ ص ٢٧٠ » .

(٤) أي حتى منعه جراحاته أن يفارق مكانه .

(٥) ابن هشام ، ج ٣ ص ٢٩ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥١٥ .

ذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري ، أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أم عمارة ، فقلت لها : ياخاله ، أخبريني خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وهو في أصحابه والدولة والريح^(١) للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله ﷺ ، فقممت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح إليّ ، قالت أم سعد : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قنئة ، أقماه الله ، لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلانجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ ، فضربني هذه الضربة ، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

وفي رواية : خرجت نُسَيْبَة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناهما خبيب وعبد الله^(٢) ، وقال لهم رسول الله ﷺ : « رحمكم الله أهل البيت ، بارك الله فيكم أهل البيت » ، فقالت له نسيبة : ادع الله

(١) أي إقبال النصر .

(٢) اشترك ابنها عبد الله بقتل مسيلة الكذاب ، قالت نسيبة : رأيت الحبيث مقتولاً ، وإذا ابني عبد الله بن زيد يحس سيفه بثيابه ، فقلت : أقتلته ؟ قال : نعم ، فجدت لله شكراً .

أن نُرَافقك في الجنة . فقال ﷺ : « اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة » .
 وعند ذلك قالت رضي الله عنها : ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا .
 وقال ﷺ في حقها : « ما التفت يميناً ولا شمالاً يوم أحد إلا
 ورأيتها تقاتل دوني » . وقد جُرحت رضي الله عنها اثني عشر جرحاً
 بين طعنة برمج ، أو ضربة بسيف ^(١) .

☆ وترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه ، يقع النبل في
 ظهره وهو منح عليه ، حتى كثرفيه النبل .

☆ وقال المقداد بن الأسود : ياسعد ، هذا رسول الله ﷺ
 يدعوك ، فقال سعد : وأين هو ؟ فأشار إليه ﷺ . يقول سعد بن أبي
 وقاص : فقممت وكأنه لم يصبني شيء من الأذى ، وأجلستني أمامه ،
 فجعلت أرمي وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله ﷺ
 يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته ، وأجب دعوته ، فكان
 سعد مجاب الدعوة ، حتى إذا فرغ النبل من كنانتي نثر ﷺ لي ما في
 كنانته ، وانكشف الناس عنه ﷺ ، قال سعد : لقد رأيتني والنبي ﷺ
 يناولني النبل ويقول : ارم فداك أبي وأمي ، حتى إنه ليناولني السهم

(١) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٢ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٤ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٤٣ ،

ابن هشام ، ج ٢ ص ٣٠ .

ماله نصل ، فيقول : ارم به . وجاء أن سعداً رضي الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم مامنها سهم إلا ورسول الله ﷺ يقول : ارم فذاك أبي وأمي ، ففداه ذلك اليوم ألف مرة^(١) .

وكان ﷺ يفتخر بسعد ، ويقول : « هذا سعد خالي^(٢) » ، فليبرني امرؤ خاله » ، وكان رضي الله عنه إذا غاب يقول النبي ﷺ : « مالي لأرى الصبيح المليح الفصيح » .

ورمى رسول الله ﷺ عن قوسه حتى اندقت سيّتها^(٣) ، فأخذها قتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأصيبت يوم أحد عين قتادة^(٤) حتى وقعت على وجنته ، وقيل : صارت في يده ، فأتى بها رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها ودعوت الله فلم تفقد منها شيئاً ، فقال : يا رسول الله ، إن الجنة جزاء جميل ،

(١) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٥٤ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٤١ و ٤٥ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٧ .

(٢) لأن سعداً رضي الله عنه كان من بني زهرة ، وكانت أم النبي ﷺ منهم . « السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٤١ » .

(٣) سيّتها : طرفها .

(٤) لإصابة عين قتادة بن النعمان الأوسي رضي الله عنه ، راجع : السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٥٧ ، الاكتفاء : ج ١ ص ١٠٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٦٧ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٣ ، ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٥ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥١٦ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٤ .

وعطاء جليل ، ولكني لي امرأة أحبها ، وأخشى إن رأتي أن تقذرنني ،
فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردّها إلى موضعها ، وقال : اللهم اكسِه
جمالاً ، وقال ﷺ : اللهم قِ قتادة كما وقى وجه نبيك ، اللهم اجعلها
أحسن عينيه وأحدهما^(١) ، فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

قال الأصمعي : قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد
قتادة بن النعمان ، فقال : ممّن الرجل ؟ فقال مرتجلاً :

أنا ابنُ الذي سألتُ على الخدِّ عينه فَرَدَّتْ بكفِّ المصطفى أحسنَ الردِّ
فَعَادَتْ كما كانت لأوَّلِ أمرِها فَيَا حُسْنَهَا عَيْناً وَيَا حُسْنَ مَاخِذِ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك :

تلك المكارمُ لاقْعْبَانِ من لبِ شَيْبَا بماءِ فَعَادَا بعدُ أبوالا !
ووصله عمرُ وأحسنَ جائزته^(٢) .

(١) أحدهما : أقوامها نظراً .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٦٧ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٣ ، السيرة النبوية
والآثار الحمديّة ، ج ٢ ص ٥٨ .

☆ ورمى أبو طلحة الأنصاري^(١) ، وكان رجلاً رامياً شديداً الرمي ، فنثر كنانته بين يدي رسول الله ﷺ ، وصار يقول : نفسي لنفسك الفداء ، ووجهي لوجهك الوقاء ، فلم يزل يرمي بها ، وكان الرجل يمرّ بالجعبَةِ من النبل فيقول ﷺ : انثرها لأبي طلحة ، وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة ، وصار رسول الله ﷺ يشرف^(٢) ليرى مواضع النبل ، فيقول له أبو طلحة : يابني الله بأبي أنت وأمي ، لاتشرف يصبك سهم من سهام القوم ، نخري دون نخرك ، ويتطاول أبو طلحة ب صدره ليقبى رسول الله ﷺ^(٣) .

☆ ولم يشهد أنس بن النضر^(٤) بدرأ ، فشق عليه ذلك ، فلما كان يوم أحد قال : يا رسول الله ، إني غبت عن أول قتال وقع قاتلت فيه المشركين ، والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ماأصنع ، فلما رأى تراجع المسلمين قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء^(٥) ،

(١) أبو طلحة الأنصاري اسمه : زيد بن سهل ، قال عنه رسول الله ﷺ : « صوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة رجل » ، وفي رواية : « خير من فئة » ، راجع أسد الغابة ، ج ٢ ص ٢٨٩ و ج ٦ ص ١٨١ .

(٢) ينظر إلى القوم .

(٣) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٧ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٣٠ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٤١ .

(٤) عم أنس بن مالك ، قال أنس بن مالك : سُميت به ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٦٢ .

(٥) يعني المسلمين .

وأبرأ إليك مما فعل هؤلاء^(١) ، ولما سمع قتل رسول الله ﷺ ، مرَّ برجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟! قالوا : قُتِلَ رسولُ الله ﷺ ، قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟! ، قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله ﷺ . ثم استقبل المشركين ، وقال لسعد بن معاذ : يا أبا عمرو أين ؟ واهأ لريح الجنة ، ورب الكعبة أجد ريحها دون أحد^(٢) ، وقاتل رضي الله عنه حتى قُتِل ، فوجد فيه بضع وثمانون جراحة ، مابين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ومثَّل به المشركون ، فما عرفته أخته « الربيع » إلا بينانه .

☆ وأصيب عبد الرحمن بن عوف في فيه يومئذ فهِم^(٣) ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، إصابة بعضها في رجله فخرج^(٤) . وكان أوَّل

(١) يعني المشركين ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٢) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٣ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٦٢ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣١ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥١٧ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٢٩ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٩ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٣٠ .

(٣) هم : كسرت ثنيته .

(٤) كان ابن عوف عظيم التجارة ، فكثر ماله ، حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البُرَّ والدقيق والطعام ، فلما دخلت المدينة ، سُمِع لأهل المدينة رجَّة ، فقالت عائشة : ما هذه الرجَّة ؟ فقيل لها : غير قدمت لعبد الرحمن بن عوف ، سبعمائة بعير تحمل البُرَّ والدقيق والطعام ، فقالت عائشة : سمعت النبي ﷺ يقول : يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حَبَوًّا ، فلما بلغه ذلك قال :

من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة ، بعد أن قال الناس : قُتِلَ رسول الله ﷺ كعبُ بن مالك ، قال كعب : عرفت عينيه تزهران^(١) من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إليَّ رسول الله ﷺ أن أنصت . فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم ومعه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة ، ورهط من المسلمين^(٢) .



مقتل أبي بن خلف :

وفي الشعب أسند رسول الله ﷺ إلى صخرة ، فأدركه أبي بن خلف وهو يقول : أي محمد ، لا نجوتُ إن نجوتَ ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال ﷺ : دعوه ، فلما

يا أمه ، إني أشهدك الله أنها بأحلامها وأحلاسها وأقتابها في سبيل الله عز وجل . والأحلاس : جمع جلس وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ، والقتب للبعير بمثابة البرذعة للحمار ، أسد الغابة ، ج ٣ ص ٤٨٠ .

(١) تزهران : تضيئان .

(٢) ابن هشام ، ج ٢ ص ٣١ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٤ .

دنا ، تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، فلما أخذها ﷺ انتفض بها انتفاضة تطاير بها من حوله تطاير الشعراء^(١) عن ظهر البعير ، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأداً منها .

وكان أبي بن خلف حين افتدي من الأسر يبدر يقول : والله إن عندي العوذ ، فرساً أعلفها كل يوم فرقاً^(٢) من ذرة ، أقتل عليها محمداً . فبلغت رسول الله ﷺ فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله .

فلما رجع أبي بن خلف إلى قريش ، وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلتني والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك من بأس ، قال أبي : إنه قد كان قال : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق علي لقتلني ، فمات بسرف^(٣) وهم قافلون به إلى مكة^(٤) .

قال حسان بن ثابت في ذلك :

لقد ورث الضلالة عن أبيه أبي يومَ بارزه الرسولُ
أتيت إليه تحملاً رِمَ عظم وتوعده وأنت به جهولُ

(١) الشعراء : ذباب له لدغ .

(٢) الفرق : مكيال يسع اثني عشر رطلاً .

(٣) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

(٤) وفي رواية : أن النبي طعنه طعنة وقع منها مراراً من على فرسه ، وجعل يخور ، كما يخور الثور إذا ذبح ، (السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٤٤) .

وقد قتلتُ بنو النجار منكم
وتَبَّ ابنا ربيعة إذ أطاعا
وأفلتَ حارثٌ لَمَّا شغلنا
وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا من مُبْلِغٍ عَنِّي أَيْيَا
تَمَنَّى بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعِيدٍ
تَمَيُّكَ الْأَمَانِي مِنْ بَعِيدٍ
فَقَدْ لَاقَتْكَ طَعْنَةُ ذِي حِفَاظٍ
فَقَدْ أَلْقَيْتَ فِي سَحْقِ السَّعِيرِ
وَتَقْسَمُ أَنْ قَدَرْتَ مَعَ النُّذُورِ
وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورٍ
إِذَا نَابَتْ مُلَّتَاتُ الْأُمُورِ^(١)
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَحْيَاءِ طُرّاً



وعندما كان رسول الله ﷺ في فم الشَّعْبِ ، خرج علي بن أبي طالب ، حتى ملأ درقته ماء من المِهْرَاسِ ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه ، فوجد له ريحاً ، فعافه ، فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم^(٢) ، فخرج محمد بن مسلمة رضي الله عنه يطلب له ماء ، فلم

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٦٩ ، وابن هشام ، ج ٣ ص ٣٢ .

(٢) ولما غُيِّلَ جرح النبي زاد دمه ، فأحرقت بعدها فاطمة حصيراً حتى أصبح رماداً ، وكُتِبَتْهُ حَتَّى لَصِقَ بِالْجِرْحِ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ .

يجد ، فذهب إلى (مياه) ، فأقى منها بماء عذب فشرب رسول الله ﷺ ، ودعاه بخير ، وصبَّ على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمی وجه نبیه .

فبينما رسول الله ﷺ بالشَّعب معه أولئك نفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قریش الجبل^(١) ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

وصلى رسول الله ﷺ يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً^(٢) .



مَقْتَلُ الْيَمَانِ وَأَبْنِ وَقْش :

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد ، رفع حَسِيل بن جابر^(٣) ، وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شيخان كبيران : (ما أبالك ، ما تنتظر ؟ فوالله

(١) كانت كوكبة من الخيل ، عليها خالد بن الوليد .

(٢) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٦ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٢٢ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٤٩ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٧١ .

(٣) حَسِيل بن جابر هو أبو حذيفة بن اليمان ، الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٣ .

لا بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار^(١) ، إنما نحن هامة^(٢) اليوم أو غداً ، أفلا نأخذ أسيافاً ، ثم نلحق برسول الله ﷺ ، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ ؟) .

فأخذوا أسيافاً ثم خرجوا ، حتى دخلا في الناس ، ولم يعلم بهما . فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبي ، فقالوا : والله إن عرفناه ، قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه ، فتصدَّق حذيفة بديته على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً .

مقتل قزمان منافقاً :

قال عاصم بن عمر بن قتادة : كان عندنا رجل غريب ، لا ندري من هو^(٣) ، يقال له : قَزْمَان ، وكان ذا بأس وقوة ، وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر يقول : إنه لمن أهل النار . فلما كان يوم أحد قاتل قزمان قتالاً شديداً ، وكان يرمي النبال كأنها الرمال ، ثم فعل بالسيف

(١) يُضْرَب لقرب الأجل ، فالظمء ما بين الشربتين ، والحمار لا يصبر على العطش .

(٢) الهامة كما تزعم العرب : طائر يخرج من رأس القتيل يصيح : اسقوني اسقوني لا يسكت حتى يؤخذ بثأره .

(٣) أي يظهر الإسلام .

الأنبياء ، ولما أخبر ﷺ بذلك قال : إنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، وأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفر ، لأنه كان حليفاً لهم ، فجعل رجال من المسلمين يقولون : والله لقد ابتليت اليوم يا قزمان فأبشر ، فيقول : بماذا أبشر ، فوالله ما قاتلت إلا على أحساب قومي^(١) ولولا ذلك ما قاتلت^(٢) .

وقال له قتادة رضي الله عنه : هنيئاً لك الشهادة يا أبا الغيداق ، فقال قزمان : إني والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت إلا على الحفاظ أن تسير إلينا قريش حتى تطأ أرضنا . فلما اشتدت عليه الجراحة ، أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه^(٣) ، وعند ذلك جاء رجل إلى رسول الله فأخبره بذلك ، فقال ﷺ : « أشهد أنني رسول الله حقاً »^(٤) .

سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاقل حمية ، ويقاقل رياء ، أي ذلك في سبيل الله ؟

(١) أي على شرفهم ومفاخرهم ، ومناصرة لهم .

(٢) فلم يقاتل لإعلاء كلمة الله ورسوله وقهر أعدائهما .

(٣) قطع عروقا في باطن الذراع يقال لها الزواحق ، وقيل أيضاً : جعل ذباب سيفه في صدره بين ثدييه ثم تحمل عليه حتى قتل نفسه ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٢ .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٧١ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٦ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٣١ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٢ ، الكامل في التاريخ ، ج ١ ص ١١٢ .

فقال ﷺ : « من يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » ، وقال : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ^(١) .

مَقْتَلُ مُخْرِيقٍ :

وكان ممن قتل يوم أحد مخريق ، وكان أحد بني ثعلبة بن الفِطَيُون ، قال لما كان يوم أحد : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم سبت ، قال : لا سبت لكم ، فأخذ سيفه وَعَدَّتْهُ وقال : إن أُصِبْتُ فمالي لحمد يصنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ ، فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله ﷺ : مخريق خير يهود . وجعل رسول الله ﷺ أموال مخريق ، وكانت سبع حوائط ، أوقافاً بالمدينة لله . فكانت أوّل وقفٍ بالإسلام ^(٢) .

الأَصِيرُ ، عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقَشٍ :

رَجُلٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قط ، فكيفَ كانَ ذلكَ ؟!؟

كانَ أَصِيرُم يَأْبَى الْإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَحَدٍ ، شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ وَرَمَحَهُ وَلَأَمْتَهُ فغدا

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٢ .

(٢) الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٨٠ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٧ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٣١ ،

السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٧٣ .

حتى دخل في عُرْض الناس^(١) ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلمسون قتلاهم في المعركة إذ هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث ، فسألوه ما جاء به ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحذب على قومك ، أم رغبة في الإسلام ؟

قال الأصيرم : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله ، وأسلمت ، ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله ﷺ ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله ﷺ ، فقال : إنه لمن أهل الجنة^(٢) .

عمرو بن الجموح :

كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل قد عذرك ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة . فقال

(١) عُرْض الناس : جانبهم وناحيتهم .

(٢) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٣ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٧ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٥٤ ، الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٣ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٧ .

ﷺ : أما أنت فقد عذرك الله ، فلا جهاد عليك ، وقال لبيته : ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة ، فخرج معه وقد أخذ سلاحه وأقبل على القبلة وقال : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني خائباً إلى أهلي ، وقال : يا رسول الله ، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل ، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة ؟ فقال رسول الله ﷺ : كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرَجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةٌ فِي الْجَنَّةِ^(١) واستشهد رضي الله عنه في أحد .



هَذَا تُمَثِّلُ بِحِمْرَةٍ :

ومثَّلت هند بنت عتبة - والنسوة اللاتي معها - بشهداء أُحُدَ ، يجدعن الأذان والآنفَ ، حتى اتخذت هند من أذان الرجال وأنفهم خَدَمًا^(٢) وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشياً غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة ، فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها ، فقالت :

(١) وفي رواية قال ﷺ : « لقد رأيته يطأ في الجنة بمرجته » ، ويمكن الجمع بين الروایتين بأنه في أول دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ، ثم تصير صحيحة في الجنة .

(٢) الخدم : الخلاخيل .

نَحْنُ جَزِينَاكَ يَوْمَ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سَعْرِ
مَا كَانَ لِي عَنْ عَثْبَةٍ مِنْ صَبْرٍ وَلَا أَخِي وَعَمُّهُ وَبَكْرٍ
شَفِيتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَسْذَرِي شَفِيتَ وَحْشِي غَلِيلَ صَدْرِي
فَشُكْرُ وَحْشِي عَلِيٍّ عُمْرِي حَتَّى تَرِمَ أَعْظَمِي فِي قَبْرِي

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبَّاد بن المطلب فقالت :

خَزَيْتِ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ يَا بِنْتَ وَقَّاعٍ عَظِيمِ الْكَفْرِ
صَبَّحَكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ مِ الْهَاشِمِيِّينَ الطَّوَالِ الزُّهْرِ^(١)
بِكُلِّ قَطَّاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي حَمَزَةَ لَيْثِي وَعَلِيٍّ صَقْرِي
إِذَا رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكِ غَدْرِي فَخَضْبًا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّحْرِ
وَنَذْرِكِ السَّوَاءَ فَشَرُّ نَذْرٍ^(٢)

ومرَّ الحليس بن زَبَّان ، أخو بني الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، مرَّ بأبي سفيان ، وهو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب ، بزج الرمح ، فقال الحليس : يا بني كنانة ، هذا سيد قریش يصنع بابن عمه ما ترون لهما^(٣) ، فقال أبو سفيان :

(١) مِ الْهَاشِمِيِّينَ : أرادت من الهاشميين ، والزُّهْر : البيض .

(٢) الْأَبْيَاتُ فِي : ابن هشام ، ج ٢ ص ٣٦ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٧ ، السيرة النبوية لابن

كثير ، ج ٢ ص ٧٤ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٨ .

(٣) أَي مِيتًا لَا يَسْتَطِيعُ الدِّفَاعُ عَنْ نَفْسِهِ .

ويحك !! اكتمها عني ، فإنها كانت زلة^(١) .

وحين أراد أبو سفيان الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته فقال : أنعمت فعال^(٢) ، وإن الحرب سجال ، مرة لنا ومرة علينا ، يوم أحد بيوم بدر ، يوم نساء ويوم نسر ، حنظلة بحنظلة^(٣) ، وفلان بفلان .. أعلُ هُبَل^(٤) ، أعلُ هُبَل ..

فقال رسول الله ﷺ : قم يا عمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ، لاسواء^(٥) ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، فلما أجاب عمر أبا سفيان ، قال له أبو سفيان : هلم إليّ يا عمر ، فقال رسول الله ﷺ لعمر : ائتته فانظر ماشأنه ، فجاء فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال أبو سفيان : أنت أصدق عندي من ابن قئة وأبر^(٦) .

ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مثل ، والله ماضيت ، وما سخطت ، وما نهيت ، وما أمرت ، ولما هم بالانصراف ومن معه

(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٧ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٨ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٣٧ .

(٢) خطاباً لنفسه وللأزلام التي استقسم بها قبل خروجه من مكة ، ويقصد : بالغنا في فعالنا .

(٣) حنظلة بن أبي سفيان قُتل ببدر ، وقتل حنظلة غسيل الملائكة بأحد .

(٤) أي زد علواً ، وأظهر دينك .

(٥) أي نحن وأنتم لسنا سواء ، ولا ينبغي لك أن تقول هذا .

(٦) لقول عبد الله بن قئة : إني قد قتلت محمداً .

نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد .

ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وقال له : اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل^(١) وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده ، لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم .

قال علي رضي الله عنه : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة .



لماذا لم يهاجم أبو سفيان المدينة ؟

لقد فكر أبو سفيان في نهب المدينة ، فهذا أمر يخطر في البال ، مادام جيش المسلمين في أحد يعتني بجرحاه ، ويدفن قتلاه ، بعد أن أعاد تجمعه . ولكن صفوان بن أمية قال : لاتفعلوا ، فإنكم لاتدرون ما يغشاكم فيها .

(١) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم ليستعملوها وقت الحاجة .

حقّق أبو سفيان بعد هزيمة نصرّاً لم يكن يملك مقومات تحقيقه ،
ولولا خطأ الرماة ما أحرزه ، فهو ليس بقدرة احتلال المدينة بعد تنظيم
جيش المسلمين ، وعندها سيترك كل من في المدينة - شيوخاً ونساء
وصبياناً - في سحر أبي سفيان ومن معه .

لقد اكتفى المشركون بقيادة أبي سفيان سمعة بين القبائل ،
وأعادوا اعتبار قريش بعد هزيمة بدر . فتحقق الهدف الإعلامي من
أحد .

وعرف أبو سفيان أيضاً قدرة المسلمين العسكرية الحقيقية ،
بدليل .. لما أراد الرجوع إلى حمراء الأسد - كما سير معنا - وعلم أن النبي
ﷺ أعاد استعداداته وسار إليه ، قرّ أبو سفيان ومن معه ، قرّ
المنتصرون ، فهم على يقين أنهم ليسوا بقدرة المسلمين القتالية .

إن النصر الذي أحرزه أبو سفيان ، أحرزه مغلوب منهزم ، أخطأ
خصمه خطأ واحداً قرّر مصير المعركة لصالح المنهزم المغلوب ، ولولاه
ما عرف النصر . فأثر الانسحاب إلى مكة ، وعدم دخول المدينة ،
حفاظاً على الكسب الذي حقّقه ، ولم يكن بمقدوره تحقيقه لولا خطأ
الرماة المسلمين .



بعد

☆ « ادفنوهم حيث صرِعوا ،
(١)
ادفنوهم بدمائهم وثيابهم » .
« رسول الله ﷺ »

سعد بن الربيع « رحمه الله نصحه الله ولرسوله حياً وميتاً » :
وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله ﷺ : من رجل ينظر لي
ما فعل سعد بن الربيع ؟ في الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل
من الأنصار ، وهو محمد بن مسلمة (٢) : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل
سعد . فنأدى في القتلى : يأسعد بن الربيع مرة بعد مرة ، فلم يجب
أحد ، قال : يأسعد إن رسول الله ﷺ أرسلني أنظر ما صنعت ، فأجابه
حينئذ بصوت ضعيف ، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق ،
فقال له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أم في
الأموات ؟

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٨٥ .

(٢) أو : « أبي بن كعب » .

قال سعد بن الربيع : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنَّه لا عذر لكم عند الله إن خُلصَ إلى نبيكم ﷺ ، ومنكم عين تطرف ، الله ، الله ، وما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، فوالله ما لكم عند الله عذر^(١) .

ثم لم يبرح محمد بن مسلمة حتى مات سعد ، فجاء رسول الله ﷺ فأخبره خبره ، فقال ﷺ : « رحمه الله ، نصح الله ولرسوله حياً وميتاً » .

دخل رجل على أبي بكر الصديق وبنْتُ لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يقبلها ويلاعبها ويلطفها في حنان ، فقال له الرجل : من هذه ؟ قال : هذه بنت رجل خير مني ، سعد بن الربيع ، كان من النقباء يوم العقبة ، وشهد بدرًا ، واستشهد يوم أُحُد .

(١) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٤ ، الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٧١ ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١١٢ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٢٨ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٣٩ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٥٩ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٣٨ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٧٨ ، عيون الأثر ، ج ٢ ص ١٩ .

سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ :

وخرج رسول الله ﷺ يلتبس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده
بيطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ، ومثّل به ، فجُدع أنفه وأذناه ،
فلما رأى ﷺ ما رأى ، قال : لولا أن تحزن صفيّة ، ويكون سنة من
بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن
أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثّلن بثلاثين رجلاً
منهم^(١) .

وقال ﷺ : رحمة الله عليك ، فإنك كنت ما علمتك فعولاً
للخيرات ، وصولاً للرحم . وبكى رسول الله ﷺ وانتحب حتى شقق ،
وقال : يا عم رسول الله ، وأسد الله ، وأسد رسول الله ، يا حمزة يافاعل
الخيرات ، يا حمزة ياكشف الكربات ، يا حمزة يا ذاب^(٢) عن وجه رسول
الله^(٣) .

وقال المسلمون لما رأوا حزن رسول الله ﷺ وغيظه على ما فعل

(١) ابن هشام ، ج ٢ ص ٣٩ ، السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٦١ وفي الروض الأنزه (مخطوطة)
ص ٤ « لأمثّلن بسمعين منهم » .

(٢) الذاب : المانع الدافع ، مختار الصحاح ، ص ٢١٩ .

(٣) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٤٠ ، وابن هشام ، ج ٢ ص ٣٩ .

بعمه : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر ، لنمثلن بهم مثلةً لم يمثّلها أحد من العرب .

وقال ﷺ وهو واقف أمام جثة حمزة : لن أصاب بمثلك أبداً^(١) ، ماوقفت موقفاً قط أغيظ إليّ من هذا ، ثم قال : جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله^(٢) .

وأُنزل الله عزّ وجل في قول رسول الله ﷺ ، وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِقْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرَ لِلصَّابِرِينَ ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾^(٣) . فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة^(٤) . وصار كلما فارق مقاماً أمر بالصدقة .

وقال ﷺ لأصحابه : « استووا حتى أثني على ربي عز وجل ،

(١) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٤٠ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٧٩ .

(٢) وكان رسول الله ﷺ وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد ، إخوة من الرضاعة ، أرضعتهم ثويبة مولاة لأبي لهب .

(٣) سورة النحل ، الآيات الكريمات : ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ .

(٤) وفي الروض الأتزه ، ص ٤ : « فقال ﷺ : بل نصبر ، وكفر عن يمينه » ، المخطوطة .

فصاروا خلفه صفوفاً ، فقال : اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قرّبت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك .

اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة ، والأمن يوم الخوف .

اللهم إني عائد بك من شرّ ما أعطيتنا ، وشرّ ما منعتنا .

اللهم حبّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

اللهم توفّنا مسلمين ، وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين .

اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدّون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك .

اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب^(١) ، إله الحق^(٢) .

(١) أوتوا الكتاب ولم يأخذوا بأحكامه .

(٢) رواه النسائي ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٧٧ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٨ .

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة ، وكان أخاها لأبيها وأمها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام : القها فأرجعها لآ ترى مابأخيها ، فقال لها : ياأمة ، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي ، قالت : وَلِمَ ؟ وقد بلغني أن قد مُثِّلَ بأخي ، وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، قال ﷺ : خلَّ سبيلها ، فأتته فنظرت إليه ، واسترجعت قائلة : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ، واستغفرت له . ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن^(١) .

وسجي حمزة بثوب ألقاه عليه رجل من الأنصار ، ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه ، فقال ﷺ : « يا جابر هذا الثوب لأبيك » ، وكفن حمزة بنبرة كانوا إذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه ، وإن مدوها على رجله انكشف رأسه ، فمدوها على رأسه ، وجعلوا على رجله الإذخر أو الحرمل^(٢) .

وجاء في بعض الروايات : « ثم أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجي

(١) الروض الأنزه ، ص ٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٨٢ ، الطبري ، ج ٢ ص ٥٢٩ ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ١١٣ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٤١ .

(٢) نباتان معروفان في الحجاز . وجابر الذي خاطبه رسول الله ﷺ هو : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن غم بن كعب الأنصاري السلمي .

بردة ثم صلى عليه ، فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة ، فصلى عليهم ، وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ^(١) .

لقد أجمع الفقهاء على ترك غسل الشهيد ، واختلفوا في الصلاة عليه ، والأرجح أن حديث الصلاة هذا لم يثبت ، ولهذا لم يأخذ به فقهاء الحجاز والأوزاعي ^(٢) .

ودفن مع حمزة في قبر واحد ابن أخته عبد الله بن جحش ^(٣) ، وكان قد مثل به ، غير أنه لم يقرر بطنه .

وذكر سعد بن أبي وقاص أنه هو وعبد الله بن جحش دَعَا بدعوة فاستجيب لهما ، فدعا سعد أن يلقي فارساً من المشركين شديداً بأسه ، شديداً حرده ^(٤) ، فيقتله ، ويأخذ سلبه . فقال عبد الله آمين .

ثم استقبل عبد الله القبلة ، ورفع يديه إلى السماء ، وقال : اللهم

(١) وهذا غريب وسنده ضعيف كما يذكر ابن كثير في السيرة النبوية ، ج ٣ ص ٨٠ ، تفرد به الإمام أحمد ، وضعفه في سنده من جهة عطاء بن السائب .

(٢) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٤ ، وفي الروض الأنزه ، ص ٥ ، جاء : « ولم يصل عليه ﷺ كما هو الأثبت » . وراجع : البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٤٠ ، والروض الأنف ، ج ٣ ص ١٧٩ ، وفي ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٦ : « ولم يصل النبي على الشهداء » .

(٣) أمه أمية بنت عبد المطلب ، فحمزة خاله .

(٤) الحرّد : الغضب ، مختار الصحاح ص ١٢٩ .

لقني اليوم فارساً شديداً بأسه ، شديداً حرده ، يقتلني ويجمع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك غداً تقول لي : يا عبدي : فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذْنَاكَ ؟ فأقول : فيكَ يارب وفي رسولك ، فتقول لي : صدقت ، قل ياسعد : آمين ، قال سعد : فقلت : آمين ، ثم مررت به آخر النهار قتيلاً مجدوع الأنف والأذنين ، ولقيت أنا فارساً من المشركين فقتلته ، وأخذت سلبه^(١) .



مَا وَرَدَ فِي شَهَادَةِ أَحَدٍ :

☆ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(٢) .

عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هذه الآية ، فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أُصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعه

(١) قتل عبد الله بن جحش أبو الحكم بن الأخنس بن شريق ، وسمي عبد الله رضي الله عنه (المجدع)

في الله) بعد جُدِعَ أَنْفُهُ وَأُذُنُهُ ، الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٦٩ .

فيقول : يا عبادي ، ماتشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لأفوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! « يُسألون ويحييون ثلاثاً » ثم يقولون : إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، ثم نردّ إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى تقتل مرة أخرى ^(١) .

ونظر رسول الله ﷺ إلى جابر بن عبد الله وقال : « مالي أراك مهتماً ؟ قال : قلت : يا رسول الله قُتل أبي وترك ديناً وعيالاً ^(٢) ، فقال : ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحاً ، وقال له : يا عبادي سلني أعطك ، فقال : أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق مني القول : أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يارب فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ » .

وقال ﷺ في قتلى أحد : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، أنه ما من جريح يُجرَح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمى جرحه ،

(١) البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٤٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٨٨ . السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٦٨ .

(٢) قال جابر : لما حضر أحد ، دعاني أبي من الليل فقال لي : ما أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتل من أصحاب رسول الله ﷺ ، وإني لأترك بعدي أعزُّ علي منك غير نفس رسول الله ﷺ ، وإن عليّ ديناً فاقض واستوص بأخوانك خيراً ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٨٧ .

اللون لونُ دم ، والريح ريح مسك » .

وأمر رسول الله ﷺ بنزع الحديد والجلود عنهم ، وقال :
« ادفنوهم بدمائهم وثيابهم ، ادفنوهم حيث صرعوا » ^(١) .

وقال ﷺ : « احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرّجلين والثلاثة في
القبر الواحد ، قيل : يا رسول الله فأيتهم يُقدّم ؟ قال : أكثرهم
قرآنًا » . وفي رواية : « انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن ، فاجعلوه أمام
أصحابه في القبر ، انظروا إلى عمرو بن الجحوح ، وعبد الله بن عمرو بن
حرام ، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد » ^(٢) .

وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، وأرسل
بعضهم ناضحاً ^(٣) ليحمل شهيداً إلى المدينة ، فقال ﷺ : « والذي نفسي
بيده لا يُدفن إلا مع إخوته » ، أي حيث صرع .

وروى البيهقي عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يأتي قبور
الشهداء ، فإذا أتى فرضة الشعب قال : « السلام عليكم بما صبرتم فنعم

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٨٥ .

(٢) جاء في (الروض الأنزه ، ص ٥) : ودفن حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير في قبر
واحد .

(٣) الناضح : البعير ، (مختار الصحاح ، ص ٦٦٤) .

عُقْبَى الدار» ، ثم كان أبو بكر بعد النبي ﷺ يفعله ، وكان عمر بعد أبي بكر يفعله ، وكان عثمان بعد عمر يفعله ^(١) .



الْعُودَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ :

ولما عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ، كانت حَمْنَةُ بنت جحش على مشارفها ، فلما لقيها الناس نعوأ إليها أخاها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعي لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ! فقال رسول الله ﷺ : إن زوج المرأة منها لبيكان ، لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها ، ثم قال لها : لِمَ قلت هذا ؟! قالت : تذكرت يتم بنيه فراغني ، فدعا لها ﷺ أن يحسن الله تعالى عليهم الخلف ، فتزوّجت طلحة بن عبيد الله ، فكان أوصل الناس لولدها ، وولدت له محمد بن طلحة ^(٢) .

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ٨٩ .

(٢) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٦٧ ، وطلحة بن عبيد الله من العشرة المبشرين بالجنة ، وماضيه في الإسلام عريق ، اتقى النبل في أحد عن رسول الله ﷺ بيده ، حتى ثَلَّتْ إصبه ، قال أبو بكر الصديق : (ذاك يوم طلحة) ، ونزفه يوم أحد الدم حق غشي عليه ، ونفخ أبو بكر الماء في وجهه حتى أفاق ، فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قال له أبو بكر : هو بخير ، وهو أرسلني إليك ، فقال : الحمد لله ، كل مصيبة بعده جَلَل ، أي قليلة ، إنه : طلحة الخير ، طلحة الفيّاض .

وجاءت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه ، وسعد بن معاذ أخذ بلجامها ، فقال له سعد : يا رسول الله أمي ، فقال ﷺ : مرحباً بها ، فوقف لها ، فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ فعزّاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو بن معاذ ، فقالت : أما إذا رأيتك سالماً فقد اشتويت المصيبة - أي استقللتها - ، ودعا رسول الله ﷺ لأهل من قُتل بأحد ، بعد أن قال لأم سعد : يا أم سعد أبشري ، وبشري أهلهم أن قتلهم ترافقوا في الجنة جميعاً ، وقد شفّعوا في أهلهم جميعاً ، قالت : رضينا يا رسول الله ، ومن يبكي عليهم بعد هذا ؟ ، ثم قالت : يا رسول الله ، ادع لمن خلفوا ، فقال : « اللهم أذهب حزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا » .

ومرّ ﷺ بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نَعَوْا لها قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : كل مصيبة بعدك جلل^(١) .

(١) جلل : تريد صغيرة ، وجاء في السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٦٥ : قالت : أرونيّه حتى أنظر إليه ، فلما رأيته ﷺ قالت : كل مصيبة بعدك جلل ، ولم تكثر بمقتل أخيها وأبيها وزوجها وابنها ، حتى جاءت رسول الله ﷺ وأخذت بناحية ثوبه ، ثم جعلت تقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا أبالي إذ سلت من عطب ، واسم المرأة : (أم عامر الأشهلية) على الأغلب .

وسمع ﷺ نساء الأنصار يبكين على أزواجهن وأبنائهن وإخوانهن ، فقال بعد أن ذرفت عيناه : لكن حمزة لا بواكي له ، فأمر سعد بن معاذ وأسيد بن حضير نساء من قومهما أن يذهبن إلى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة^(١) .

ونزل ﷺ عن فرسه مستنداً على السَّعْدِين ، ودخل بيته ، ولما أذن بلال لصلاة المغرب ، خرج ﷺ على مثل تلك الحال يتوكأ على السَّعْدِين ، فصلى ﷺ ، فلما رجع من المسجد سمع البكاء ، فقال : ما هذا ؟ ف قيل : نساء الأنصار يبكين حمزة ، فقال : رضي الله عنكن وعن أولادكن ، وأمر أن ترد النساء إلى منازلهن ، وقال : ارجعن يرحمك الله ، فقد آسيتن بأنفسكن ، ونهى يومئذ عن النوح^(٢) .

وباتت وجوه الأنصار تلك الليلة على بابه ﷺ بالمسجد يحرسونه ، خوفاً من أي طارئ ، أو تحسباً من أن ترسل قريش عيناً ، أو رجلاً مأجوراً ليقتل رسول الله ﷺ ، كما فعلت بعد بدر .



(١) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٢٦٨ .

(٢) لم ينس عن البكاء ، ولكنه نهى ﷺ : « إن فلان فلا يخمشن ولا يلطنن ولا يحلقن شعراً ولا يشققن جيباً » .

غَسَلَ السَّيْفُ :

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ، ناول سيفه (ذو الفقار) إلى ابنته فاطمة ، وقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنيّة ، فوالله لقد صدقني اليوم . وناولها علي رضي الله عنه سيفه فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم ، وقال رضي الله عنه :

أَفَاطِمُ هَاتِي السِّيفَ غَيْرَ ذَمِيمٍ فَلَسْتُ بِرَعْدِيدٍ وَلَا بِلُئِيمٍ^(١)
فقال ﷺ : لئن كنت صدقت القتال ، لقد صدق معك سهل بن حنيف^(٢) وأبودجانة .

(١) الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٧٦ .

(٢) سهل بن حنيف : كان مشهوراً بالرماية ، وكان ممن ثبت مع رسول الله ﷺ في أحد ، وبإياعه على الموت ، ولما انكشف الناس ، جعل ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ ، ويقول ﷺ : انبلوا سهلاً ، أي أعطوه نبلاً . (السيرة النبوية والآثار الحمديدية ، ج ٢ ص ٤٣) .

غزوة حمر، الأمس

الأحد ١٦ من شوال ٣ هـ

☆ لقد كان رسول الله ﷺ
بارعاً في علم النفس ، فحفظ
معنويات جنوده مرتفعة عالية ،
قال ﷺ : « لا يصيب المشركون منا
مثلاً حتى يفتح الله علينا »^(١) .

وفي يوم الأحد السادس عشر من شوال ، السنة الثالثة للهجرة ،
أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو ، وأن لا يخرج من معنا
أحد إلا من حضر يومنا بالأمس^(٢) .

وقال جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام : يا رسول الله ، إن أبي
كان خلفني على أخوات لي سبع ، وقال : يا بني ، إنه لا ينبغي لي
ولالك أن تترك هؤلاء النسوة لارجل فيهن ، ولست بالذي أؤثر

(١) الاكتفاء ، ج ١ ص ١٠٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٩٤ ، البداية والنهاية ،
ج ٤ ص ٤٧ ، ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٧ .

(٢) ابن هشام ، ج ٣ ص ٤٤ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٤٩ وفي السيرة النبوية لابن كثير : فقال
عبد الله بن أبي بن سلول : أنا راكب معك ، فقال رسول الله ﷺ : لا .

بالحجاء مع رسول الله ﷺ على نفسي ، فتخلف على أخواتك ، فتخلفت عليهن ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فخرج معه ^(١) .

سَبَبُ حَمَاءِ الْأَسَدِ :

خرج رسول الله ﷺ والمسلمون في طلب أبي سفيان والمشركون ، إرهاباً لهم ، وليظنوا أن بهم قوة ، وأن الذي أصابهم في أحد لم يوهنهم عن عدوهم ^(٢) .

وتلاوم المشركون ، وقال بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئاً ، أصبتم شوكة القوم وحدهم ، ثم تركتهم ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم .

أمام هذا الواقع ، وعلى ما في المسلمين من قروح ، أمر رسول الله ﷺ بطلب العدو ليسمعوا بذلك ، وليعلموا أن بالمسلمين قوة تقف في وجههم ، وأن انتصار المغلوب ، سينهار مع الزمن القريب .

وشهد رجل من بني عبد الأشهل - مع أخيه - أحداً مع رسول الله

(١) ومراً معنا استشهاد أبيه في أحد ، ومكانته بين الشهداء .

(٢) قال ابن سعد : « ودعا رسول الله ﷺ بلوائه وهو معقود لم يحل - أي لم يحل بعد أحد - فدفعه

إلى علي بن أبي طالب » عيون الأثر ، ج ٢ ص ٢٨ .

ﷺ ، ورجعا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو . فقال لأخيه : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟! والله مالنا من دابة نركبها ، ومامنا إلا جريح ثقیل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وكنت أيسر جرحاً ، فكان إذا غلب حملته عَقْبَةٌ^(١) ، ومشى عَقْبَةٌ ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .



مَعْبِدُ بْنُ أَبِي مَعْبِدٍ الْخَزَاعِي

ومرَّ معبد بن أبي معبد الخزاعي بالمسلمين ، وكانت خزاعة - مسلمهم ومشرکهم - مكن سرَّ رسول الله ﷺ بتهامة ، لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، شعورهم وميلهم مع رسول الله ﷺ ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم .

ثم خرج معبد ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد ، حتى لقي أبا

(١) عَقْبَةٌ : بوزن غَلْبَةٍ : التَّوْبَةُ .

سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء^(١) ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حذاً أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكرنَّ على بقيتهم فلنفرغنَّ منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال أبو سفيان : ويحك ! ماتقول ؟ قال معبد : والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصي الخيل . قال أبو سفيان : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم ، لنستأصل بقيتهم ، قال معبد : فإني أنهاك عن ذلك ، والله لقد حملني مارأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من الشعر ، قال : وما قلت ؟ قال معبد : قلت :

كَادَتْ تُهْدُ مِنْ الْأَصْوَاتِ رَاحِلِي إِذْ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَايِلِ^(٢)
تُرْدِي بِأَسَدٍ كَرَامٍ لَا تَنَابِلَةَ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلَ مَعَازِيلِ^(٣)

(١) الرُّوْحَاءُ : اسم لموضع بين مكة والمدينة ، قال ياقوت : « الروح والراحة من الاستراحة ، ويوم روح أي طيب » ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ٧٦ والروحاء فج واسع يقع على طريق المدينة - مكة ، على مقربة من حمراء الأسد .

(٢) الجرد : عتاق الخيل ، والأباييل : الجماعات .

(٣) تردي : تسرع ، والتنابلة : القصار ، والميل : الذين لارماح معهم ، والمعازيل : العُزْل من السلاح .

فظلت عدوًّا أظنُّ الأرضَ مائلةً لمَّا سمّوا برئيسٍ غيرِ مخذولٍ
فقلت ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكم

إذا تَغَطَّمَتِ^(١) البطحاءُ بالجيلِ^(٢)

إني نذيرٌ لأهلِ البَسلِ^(٣) ضاحيةٌ لكلِ ذي إربةٍ منهم ومعقولِ
من جيشِ أحمدٍ لا وُخْشَ^(٤) تنابلة وليس يوصف ما أنذرتُ بالقيـلِ
فثنى ذلك أبا سفيانٍ ومن معه^(٥) .

ومرَّ بأبي سفيانٍ ركبٌ من عبدِ القيسِ ، فقال : أين تريدون ؟
قالوا : نريد المدينة . قال : ولمَ ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم
مبلَّغون عني محمداً رسالةً أرسلكم بها إليه وأحلَّ لكم إبلكم هذه غداً زيباً
بعكازٍ إذا وافيتوها ؟ قالوا : نعم ، قال : فإذا وافيتوه فأخبروه أنا قد
أجمعنا السيرَ إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم^(٦) .

فمرَّ الركبُ برسولِ الله ﷺ وهو بحمراءِ الأسد ، فأخبروه^(٧) بالذي

(١) تَغَطَّمَت : اهتزت .

(٢) الجيل : الصنف من الناس .

(٣) أهل البسل : قريش ، والضحية : الظاهرة للشمس ، والإربة : العقل .

(٤) الوخش : الرديء ، رذلة الناس .

(٥) ابن هشام ، ج ٣ ص ٤٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ١٠٠ .

(٦) الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٨١ ، ابن هشام ، ج ٣ ص ٤٥ ، السيرة النبوية والآثار الحمديدية ،

ج ٢ ص ٧٧ .

(٧) في الروض الأنف ، ج ٣ ص ١٨١ : « وكان الموصل مقالته للمؤمنين نعيم بن مسعود » .

قال أبو سفيان ، فقال : حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيل .

ومن أسباب عودة أبي سفيان وانسحابه إلى مكة ، قول صفوان بن أمية لقريش : لاتفعلوا ، فإن القوم قد حربوا^(١) ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان ، فارجعوا ، فارجعوا . فقال رسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم همُّوا بالرجعة : « والذي نفسي بيده ، لقد سُوِّمت لهم حجارة ، لو صَبَّحُوا بها ، لكانوا كأمس الذاهب »^(٢) .

وفي حمراء الأسد ، كان المسلمون يوقدون تلك الليالي - الاثنين والثلاثاء والأربعاء - خمسمائة نار ، حتى تُرى من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل جهة^(٣) . وأظهرت هذه النيران أن المسلمين أُلوف مؤلفة ، وأن عددهم كبير جداً .



(١) حربوا : غضبوا .

(٢) ابن هشام ، ج ٢ ص ٤٦ .

(٣) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، ج ٢ ص ٧٧ .

أبو عزة الحمصي الشاعر :

☆ « المؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين » .
لقد جعل ﷺ التجربة قريناً للإيمان .

وظفر ﷺ بأبي عزة عمرو بن عبد الله الحمصي ، وكان قد أسره بيدر ، ثم منَّ عليه من غير فداء لأجل بناته ، وكان شاعراً يشتغل بسب النبي ﷺ وهجاء أصحابه ، ويستنفر الناس للقتال ، وكان عاهد النبي ﷺ بعد بدر على أن لا يعود إلى شيء من ذلك ، فلما منَّ عليه وأطلقه ، رجع إلى مكة ونقض العهد ، واشتغل بما كان مشغلاً به قبل من السبِّ والهجاء ، فلما كان يوم أُحد خرج مع المشركين وهو على ذلك الحال ، فلما نزل المشركون بحمراء الأسد نزل معهم ، ثم ساروا وتركوه نائماً ، فأدركه المسلمون وأسروه ، وكان الذي أسره عاصم بن ثابت رضي الله عنه ، فلما ظفر به ﷺ قال : يا رسول الله أقلني وامن علي ودعني لبناتي ، وأعاهدك أن لا أعود ، فقال ﷺ : « لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمداً مرتين ، إن المؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت » ؛ ف ضرب عنقه ^(١) .

☆ ☆ ☆

(١) اعتمدنا رواية السيرة النبوية والآثار الحمصية ، ج ٢ ص ٧٩ ، والبداية والنهاية ، ج ٤ ص ٤٦ .

وظفر ﷺ أيضا بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، جد عبد الملك بن مروان ، أبو أمه عائشة ، فأمر بقتله ، وخلاصة قصته ، أنه لما رجع المشركون من أحد ، ذهب على وجهه ، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فدقّه ، فقالت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ : من أنت ؟ قال : ابن عم عثمان ، فقالت : ليس هو هنا ، فقال : أرسلني إليه فله عندي ثمن بعير كنت اشتريته منه . فجاء عثمان رضي الله عنه ، فلما نظر إليه قال : أهلكني وأهلك نفسك ، فقال : يابن عم ، لم يكن أحد أمس بي منك فأجرتني . فأدخله عثمان رضي الله عنه منزله ، وجعله في ناحية ، ثم خرج عثمان رضي الله عنه ليأخذ له أماناً من رسول الله ﷺ ، فسمع رسول الله ﷺ يقول : إن معاوية بالمدينة فاطلبوه ، فدخلوا منزل عثمان رضي الله عنه ، فأشارت إليهم أم كلثوم رضي الله عنها بأنه في ذلك المكان ، بعد أن علمت أن رسول الله ﷺ أمرهم بذلك ، فأخرجوه وأتوا به رسول الله ﷺ ، فأمر بقتله ، فقال عثمان رضي الله عنه : والذي بعثك بالحق ماجئت إلا لأخذ له أماناً ، فهبه لي ، فوهبه له وأجله ثلاثاً ، وأقسم أنه إن وجده بعدها قتله .

وخرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد فأقام معاوية ثلاثاً ليستعلم أخبار رسول الله ﷺ ليأتي بها قريشاً ، فلما كان في اليوم الرابع ، عاد

رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فخرج معاوية هارباً ، فقال ﷺ : إنكم ستجدونه بموضع كذا وكذا فاقتلوه ، فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فقتلاه^(١) .



عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وكان لعبد الله بن أبي بن سلول مقام يقومه كل جمعة لا ينكر ، شرفاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخاطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزّروه^(٢) ، واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس . حتى إذا صنع يوم أحد ماصنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أي عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ماصنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنا قلت بجزاً^(٣) أن قت أشدد أمره ، فلقية رجل من الأنصار بباب المسجد ، فقال : مالك ؟ ويلك !! قال : قت أشدد أمره ، فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني ،

(١) السيرة النبوية والآثار الحمديّة ، ج ٢ ص ٧٨ .

(٢) عزّروه : عظموه .

(٣) البجر : الأمر العظيم ، والبجاري : الدواهي .

لَكُنَّا قَلْتُ بَجْرًا أَنْ قَتَّ أَشَدُّ أَمْرُهُ ، قَالَ الْأَنْصَارِيُّ : ارْجِعْ يَسْتَغْفِرْ
لَكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَبْتَغِي أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي .

لَقَدْ كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ ، يَوْمَ بَلَاءٍ وَمَصِيبَةٍ وَتَمَحِيصٍ ، اخْتَبَرَ اللَّهُ بِهِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَحَنَ بِهِ الْمُنَافِقِينَ ، مِمَّنْ كَانَ يَظْهَرُ الْإِيمَانَ بِلِسَانِهِ ، وَهُوَ
مُسْتَخْفٌ بِالْكَفْرِ فِي قَلْبِهِ ، وَيَوْمًا أَكْرَمَ اللَّهُ فِيهِ مَنْ أَرَادَ كِرَامَتَهُ بِالشَّهَادَةِ
مِنْ أَهْلِ وَلَايَتِهِ .



ما أنزل الله في أحد من القرآن الكريم

☆ قال المسور بن مخرمة لعبد

الرحمن بن عوف : « أخبرني عن

قصتكم يوم أحد ، قال : اقرأ العشرين

ومائة من آل عمران تجدها : ﴿ وإذ

غدوت من أهلِكَ تبوء المؤمن

مقاعد للقتال ۞ .

أنزل الله ستين آية فيها صفة ما كان في يوم أحد ، وهي أواخر
سورة آل عمران ^(١) .

﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمن مقاعد للقتال ، والله سميع

عليم ۞ ^(٢) ، أي سميع بما تقولون ، عليم بما تحفون . ﴿ إذ همّت طائفتان

منكم أن تفشلا ۞ أي تتخاذلا ، والطائفتان هما : بنو سلمة بن جشم بن

الخزرج ، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس ، يقول تعالى : ﴿ والله

وليها ۞ أي المدافع عنها ما همتا به من فشلها ، وذلك أنه إنما كان ذلك

منها عن ضعف ووهن أصابها غير شك في دينها ، فتولّى دفع ذلك

عنها برحمته ، حتى سلمتا من وهنها وضعفها ، ولحقنا بنبيها ﷺ .

(١) من الآية الكريمة : ١٢٠ ، حتى آخر السورة الآية الكريمة : ٢٠٠ .

(٢) سنورد هنا بعض الآيات .

وقالت الطائفتان : ما نحب أنألم نهم بما همنا به. ، لتولي الله إيانا في ذلك .

ثم ذكر عز وجل سبب المصيبة التي نزلت بهم ، والبلاء الذي أصابهم ، والتحريض لما كان فيهم ، وأتخاذة الشهداء منهم ، فقال تعزية لهم ، وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : ﴿ قد خلت من قبلك سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ، ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، ولا تنها ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾ أي نصرها بين الناس للبلاء والتحريض ، ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾ ، أي ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ، ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾ ، أي المنافقين الذين يظهرون الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية ﴿ وليحص الله الذين آمنوا ﴾ أي يختبر الذين آمنوا ، ﴿ ويمحق الكافرين ﴾ ، أي يبطل من المنافقين قولهم بالسنتهم مالمس في قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذي يستترون به .

ثم قال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ ﴾ فدخل الجنة يكون بعد اختبار بالشدة ، وابتلاء بالمكاره . ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله

الرسول ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ﴿١﴾ ، ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾ ، ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين ﴾ .

﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر ، وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ^(١) ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ ، أي : وقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم ، إذ تحسونهم بالسيوف ، أي القتل ، بإذني وتسليطي أيديكم عليهم ، وكفي أيديهم عنكم .

﴿ حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر ﴾ أي : اختلفتم في أمري ، وتركتكم أمر نبيكم ، وما عهد إليكم ، يعني الرماة ﴿ وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون ﴾ أي الفتح ، وهزيمة العدو ، ﴿ منكم من يريد

(١) قال ابن عباس : (هو عبد الله بن جبير الذي كان أميراً على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم ، وألا يخالفوا أمر نبيهم ، فثبت معه طائفة ، فاستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم ، وأخذ السلب ، فكر عليهم العدو ، وكانت المصيبة) ، الروض الأنف ، ج ٢ ص ١٩٤ .

الدنيا ﴿ الذين أرادوا الغنائم وتركوا ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ﴾ ، ﴿ ومنكم من يريد الآخرة ﴾ ، الذين جاهدوا في الله ، ولم يخالفوا ما نهوا عنه لعرض من الدنيا ، رجاء ما عند الله عز وجل من حسن ثوابه في الآخرة .

﴿ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ، والرسول يدعوكم في أخراكم ، فاثابكم غماً بغم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴾ أي كرباً بعد كرب ، بقتل من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم ، وبما وقع في أنفسكم من قول من قال : قُتل نبيكم ، فكان ذلك مما تتابع عليكم غماً بغم ، ﴿ والله خبير بما تعملون . ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾ ، ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلي الله ما في صدوركم ، وليحص ما في قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور ﴾ ، فأنزل الله النعاس أمانة منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهل النفاق قد أهتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، تخوف القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، والله لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخفوا به منكم .

ثم ذكر سبحانه وتعالى المصيبة التي أصابتهم ، فقال : ﴿ أولمَّا

أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أئى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ، إن الله على كل شيء قدير ﴿ ، إن تك أصابتكم مصيبة في إخوانكم بذنوبكم ، فقد أصبتم مثليها قبل من عدوكم ، في اليوم الذي كان قبله بيدر ، قتلاً وأُشراً ، ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم . ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ، وليعلم المؤمنين ﴿ ، إن ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فبإذني ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصري ، وصدقتكم وعدي ، ليميز بين المؤمنين والمنافقين ﴿ وليعلم الذين نافقوا ﴿ منكم ، وليظهر ما فيهم ، ﴿ وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ﴿ يعني عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد ، وقولهم : « لو نعلم أنكم تقتاتلون لسرنا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكننا لا نظن أنه يكون قتال » فأظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم ، يقول عز وجل : ﴿ هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴿ فهم يظهرون لك الإيمان وليس في قلوبهم منه شيء ﴿ والله أعلم بما يكتنون ، الذين قالوا لإخوانهم ﴿ الذين أصيبوا معكم من عشائركم وقومهم : ﴿ لو أطاعونا ما قُتِلوا قل فادروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴿ ، فلا بد من الموت ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، لقد نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله ، حرصاً على البقاء في الدنيا ، وفراراً من الموت .

ثم قال عز وجل ، يرغب المؤمنين في الجهاد ، ويهون عليهم الموت : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ، فالذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون في نعيم الجنة وفضلها ، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ^(١) .

وأُنزل عز وجل بالذين استجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء ، وانطلقوا إلى حمراء الأسد يحملون جراحاتهم : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ .

﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءً واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ .

وكانت آخر آية في سورة آل عمران : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .



(١) تفسير الآيات في ابن هشام ، ج ٣ ، من ص ٤٧ إلى ص ٥٧ .

خاتمة

نتائج أحد

☆ « مما لا شك فيه أن الطاعة هي قوام النظام في كل جيوش العالم ، وعلى أساسها يضع القائد خطته في المعركة ليحقق النصر ، فإذا ما انعدمت الطاعة ، فسدت الخطة ، وصار الأمر فوضى وخساراً » .

☆ استشهد من المسلمين يوم أحد سبعون^(١) ، قال تعالى : ﴿ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها .. ﴾ ، أي إن المسلمين قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين ، مثلي ما أصيب منهم يوم أحد .
وجرح منهم مائة وخمسون .

وتذكر الروايات التاريخية أنه قُتل من المشركين ثلاثة وعشرون فقط^(٢) ، وهذا الرقم فيه نظر ، فقد جاء أن علياً وطلحة وأبا دجانة ..

(١) أربعة من الشهداء من المهاجرين ، وهم : حمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير ، وعبد الله بن جحش ، وثمّاس بن عثمان ، وستة وستون من الأنصار ، راجع أسماءهم جميعاً بعد هذه الخاتمة .

(٢) وجرح من قريش خمسون .

قتل كل واحد منهم ثمانية أو تسعة من المشركين ، وقتل حمزة وحده واحداً وثلاثين !!؟! ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأحد احتمالين :

١ - إما أن قريشاً حملت بعض قتلها .

٢ - وإما أنها دفنت بعضهم . وهذا ما لم يذكره المؤرخون .

☆ وأظهر أعداء الإسلام بعد أحد شماتهم ، وقالوا أقبح القول .

فأخذ هزة عنيفة حاول المسلمون أن يتماسكوا بعدها ، واستطاعوا تحقيق ذلك بعد يوم واحد فقط ، ولكن القبائل حول المدينة حاولت استغلالها والانتقاض على المسلمين ، والغدر بهم ، ففشلوا .

قال اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ، ولا أصيب منه ما أصيب ، ولكنه طالب مُلك ، تكون له الدولة وعليه .

وقال المنافقون : ما محمد إلا طالب مُلك ، ما أصيب بمثل هذا نبياً قط ، أصيب في بدنه ، وأصيب في أصحابه ، ولو كان من قتل معه عندنا ما قتل . فاستأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسول الله ﷺ في قتل هؤلاء المنافقين ، فقال ﷺ : أليسوا يظهرون الشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ قال عمر : بلى ، ولكن تعوذاً من السيف وقد بان أمرهم ، وأبدى الله أضغانهم ، فقال ﷺ : نهيتُ عن قتل من أظهر ذلك .

لقد أساء المنافقون قبل أخذ وبعدها . أسأؤوا بعدها بدعواتهم المُضَلَّة ، وأسأؤوا قبلها عند انسحابهم ، فشَقُّوا بذلك الصفوف ، وأضعفوا القوى . ومع ذلك ما ظهر من رسول الله ﷺ إلا كل صبر وحلم وأناة على الرغم من نفاقهم ودعواتهم . ولكنه ﷺ قال عند انسحابهم : « إنها طيبة ، وإنها تنفي الخُبث كما تنفي النار خُبث الفضة » ، فمثل أحداث أحد ، عملية فرز تطهَّر المجتمع ، ليبقى صافياً نقيّاً نظيفاً .

☆ ولقد جرت حكمة الله عز وجل أن الرسل تبلى ، ثم تكون العاقبة لهم ، ولو انتصروا دائماً لدخل في المسلمين من ليس منهم ، ولما تميَّز الصادق من غيره ، فاقتضت الحكمة الجمع بين النصر وتأخير لتميَّز الصادق من الكاذب .

ولو قطع الله كل يد امتدت إلى رسول الله في حينه ، لما بقي إسلام بعده ، فلا صبر لداعية ، ولا تحمُّل لمسلم ، ولقيل : إن الله لم ينتصر لنا كما انتصر لنبيِّه ، فتحمُّله ﷺ أسوة وقدوة لتحمل الدعاة المجاهدين من بعده ، فتأخير النصر في بعض المواطن حكمة ، فهو لتربية النفوس ، ولكسر شموخها وتعاضمها ، فلما كان الابتلاء والامتحان ، صبر المؤمنون ، وجرع المنافقون .

كما أن أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة

الحاصلة له من المخالفين له ، وعلى قدر ما يقاسيه منهم ، وله أجر الهداية لمن أطاعه أيضاً ، ولا أحد أكثر من نبينا ﷺ في ذلك ، فلم يتفق لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما اتفق له ﷺ من كثرة ما قاساه من قومه ، ومن ثم بعد الصبر والجهد ، من كثرة ما أجابه من الأمم .

☆ كما هيأ الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين الصادقين منازل في دار كرامته ، فقيض لهم أسباب الابتلاء ، ليصلوا إليها ، بفضلته ومنته أولاً ، وبصبرهم وجهادهم واستشهادهم ثانياً .

فالشهادة من أعلى مراتب المؤمنين المخلصين الصادقين ، فساقهم الله إليها إكراماً لهم ، حيث اتخذ منهم شهداء ، وكانوا يتمنون ذلك قبل لقاء العدو .

☆ وكان ما حدث بعد مخالفة الرماة ، كافياً بعد التفاف خالد بن الوليد بفرسانه^(١) ، لإفناء جيش كامل ، وتحطيم كل قواته وعتاده ، ولكن انسحاب النبي ﷺ ببراعة إلى شعب أحد ، حنكة حريية ، وتقدير للموقف دقيق ، مع سرعة في اتخاذ القرار الصحيح في الوقت

(١) لم يوضح المؤرخون أن تصرف خالد بن الوليد بأمر من أبي سفيان لكونه القائد العام المخطط ، أم بمبادرة شخصية من فكره العسكري ، والأرجح أن خالداً تصرف من ذاته ، وحسب تقديره هو للموقف .

المناسب ، مع السيطرة التامة على سير الأحداث ، وبذلك تجنّب ﷺ خطر الإفناء الكامل لقواته .

لقد كان رسول الله ﷺ وهو في أشد ساعات الحرج في أحد ، مثال الاتزان والهدوء ، والنظرة الصحيحة الثاقبة البعيدة المدى ، مع القرار السريع ، الذي يحمل في ثناياه الحكمة التامة .

لقد كان مصير الجيش بعد التطويق الإفناء لا محالة ، وبخاصة بعد أن أحدث التطويق ارتباكاً حتى فقد المسلمون قدرة التمييز بين الصديق والعدو ، فقتل بعضهم بعضاً ، فاستطاع ﷺ أن يجعل الخسارة أقل ما يكون ، ففكّ طوق الحصار ، وأمن سلامة الجند ، مع العلم أن المشركين المطوّقين ، كانوا خمسة أمثال المسلمين المطوّقين .

☆ ولم يخطر بباله ﷺ لحظة أن أحداً قد رسمت مصير دعوته في المستقبل ، بل هو على يقين أنها صورة عارضة ، سرعان ما تتلاشى ، فقال ﷺ لعلي رضي الله عنه : « لن ينالوا منا حتى يفتح الله علينا » . فمع ما في القول من أهمية النبوة واستشفاف الغيب ، وقلنا : إن نبوءة واحدة ، يأتي الواقع خلافاً لها ، كافية لتنفي النبوة كلها ، فلولم يكن محمد بن عبد الله رسول الله حقاً وصدقاً ، لما ألزم نفسه ﷺ بمثل هذه النبوءات ، ولكنه رسول الله حقاً وقيناً ، ولا ينطق عن الهوى . وفي رباطة جأشه ﷺ ، وفي هدوء أعصابه ، وفي صموده وثباته ، درس

عظيم للمسلمين ، فهو دليل على مبلغ ثقته بالله ، ويقينه أن العاقبة
للتقوى .

وكانت حمراء الأسد ، بأمره ﷺ ، مناورة عسكرية رائعة
وبارعة ، أعادت الروح المعنوية الرفيعة العالية للمسلمين ، وأعادت
هيبتهم ومكانتهم بين القبائل بعد ما سمعوا بأحد . ففزع زعيم قريش
أبو سفيان من أحد بغية العودة إلى مكة فرحاً بسمعة الفوز والغلبة ،
مع اليأس من القضاء على المسلمين ، بعد أن كان إفناؤهم أمراً سهلاً ،
يمكن تحقيقه ، لو امتلك أبو سفيان خبرة عسكرية ، وحنكة حربية .



يقول كارل بروكلمان في (تاريخ الشعوب الإسلامية) ،
ص ٥٢ : « وكان على محمد أن يعوّض هذه الخسارة التي أصابت مجده
العسكري من طريق آخر ، ففكر في القضاء على اليهود ، فهاجم بني
النضير ، لسبب واهٍ ، وحاصروهم في حيّهم ، وإذ لم يجرؤ إخوانهم في
الدين من بني قريظة ، على أن يسعفوه ، فقد اضطروا إلى الاستسلام
بعد حصار دام بضعة أسابيع ، ثم إنهم هاجروا إلى واحة خيبر ، التي تقع
على مسافة عشرين ميلاً شمالي المدينة ، والتي كانت تنزل فيها جالية
كبيرة من اليهود » .

وهذا قول كله افتراء ومخالفة للحقيقة التاريخية :

لقد كانت مهاجمة بني النضير حلقة في سلسلة حروب المسلمين ضد اليهود ، ذلك لأن اليهود كانوا يتجسّسون للمشرّكين ، وكانوا يساعدونهم على قتال المسلمين ، مع أن بينهم وبين الرسول معاهدات على لزوم الحياد ، فلما كانوا يخرقون هذا الحياد مرة بعد مرة ، فقد أراد الرسول أن يجليهم عن مساكنهم حتى يأمن كل شر منهم في المستقبل .



وأخيراً ..

مما لا شك فيه ، أن الطاعة هي قوام النظام في كل جيوش العالم ، قديمها وحديثها ، وعلى أساسها يضع القائد خطته في المعركة ليحقّق النصر ، فإذا ما انعدمت الطاعة ، فسدت الخطة ، وصار الأمر فوضى وخساراً .

وهذا ما حدث في أحد ، فقد خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ ، وهو القائد الأعلى ، وخرجوا على أميرهم عبد الله بن جبير وهو قائد كتيبتهم ، واندفعوا مع رغباتهم في حيازة الغنائم ، ففسدت بذلك الخطة التي وضعها القائد ، ورتّب خطواتها على أساس الطاعة التامة من الجنود ، فكانت مخالفة الجنود سبباً في فساد الخطة ، وكان فساد الخطة

سبباً في اضطراب الجيش ، وكان اضطراب الجيش سبباً في تحوّل النصر إلى هزيمة ، وقد أوشكت هذه الهزيمة أن تكون ساحقة لولا رعاية الله ولطفه^(١) .

☆ ما الذي دفع الرماة إلى هذه المخالفة التي خرقت الخطة العسكرية ، وأوقعتهم في الهزيمة ؟

- أهو الخروج على طاعة القائد ؟

- أم هو الحرص على اغتنام الغنائم وجمع الأسلاب ؟

- أم هو خطأ التقدير لظروف المعركة وملابساتها ؟

إنهم تأوّلوا قول رسول الله ﷺ حين رأوا الأعداء منهزمين ، وإخوانهم يجمعون الغنائم ، فلا بأس من مغادرة المواقع والاشتراك في جمع الغنائم ، فأراد الله أن يدرك المؤمنون سنةً من سننه في خلقه ، أن النصر لا يكون إلا بأسبابه ، وأن الهزيمة لها أسبابها أيضاً ، حتى لو كان رسول الله بين الصحابة في المعركة .

وهذا يدل بوضوح على أن صلاح العقيدة وحده غير كاف لتحقيق النصر ، فللنصر نوااميسه وأسبابه ، وأن الأخذ بهذه الأسباب من صلاح هذه العقيدة .. إن منهج الله ثابت ، وموازينه ثابتة .

(١) صور من حياة الرسول ، ص ٣٦٩ وما بعدها .

« لقد ربّى الله الجماعة الإسلامية في هزيمة أحد العسكرية ، وهي في مطلع خطواتها لقيادة البشرية ، ربّها بالابتلاء بالشدة ، بعد الابتلاء بالرخاء ، والابتلاء بالهزيمة المرّة بعد الابتلاء بالنصر ، هذا وذاك وضعا وفق أسبابها ، ووفق سنن الله الجارية في النصر والهزيمة ، لتتعلّم هذه الجماعة أسباب النصر والهزيمة ، ولتزيد طاعة الله ، توكلّاً عليه ، والتصاقاً بركنه ، وتطبيقاً لشرعه ، ولتعرف طبيعة هذا المنهج وتكاليفه معرفة اليقين » .



شهداء أحد

☆ آمنت قلوبهم بالله رباً ،
وبمحمد بن عبد الله رسولاً نبياً ،
فاسترخصت البذل والعطاء والفداء
لأن موعدها الجنة ، وهذه عقيدة في
الإسلام فعلت الأعاجيب .

استشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله ﷺ من المهاجرين
القرشيين أربعة نفر^(١) :

- ١ - حمزة بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه .
- ٢ - عبد الله بن جحش .
- ٣ - مصعب بن عمير .
- ٤ - شماس بن عثمان .

واستشهد من الأنصار :

- ٥ - عمرو بن معاذ بن النعمان .

(١) ابن هشام ، ج ٣ ص ٥٩ . وراجع : مجموعة أسماء أهل بدر وأحد المسماة : (بجالية الكُزْب
بأصحاب سيد العجم والعرب) ، لجعفر بن حسن البرزنجي ، دار الكتب الظاهرية بدمشق ،
رقم : و - ١٨٢٧ .

- ٦ - الحارث بن أنس بن رافع .
- ٧ - عمارة بن زياد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس .
- ٨ - سلمة بن ثابت بن وقش .
- ٩ - عمرو بن ثابت بن وقش .
- ١٠ - ثابت بن الدَّحْداح الأوسي .
- ١١ - رفاعة بن وقش .
- ١٢ - أبو حذيفة اليان حسيل بن جابر .
- ١٣ - صيفي بن قيظي .
- ١٤ - حباب بن قيظي .
- ١٥ - عباد بن سهل .
- ١٦ - الحارث بن أوس بن معاذ .
- ١٧ - إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو .
- ١٨ - عبيد بن التيهان .
- ١٩ - حبيب بن يزيد بن تيم .
- ٢٠ - يزيد بن خاطب بن أمية بن رافع .
- ٢١ - أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد .
- ٢٢ - حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن نعمان بن مالك (غسيل الملائكة) .
- ٢٣ - أنيس بن قتادة .

- ٢٤ - أبو حية بن عمرو بن ثابت ، أخو سعد بن خيثمة لأُمّه .
- ٢٥ - عبد الله بن جبير بن النعمان ، أمير الرماة .
- ٢٦ - خيثمة أبو سعد بن خيثمة .
- ٢٧ - عبد الله بن سلمة .
- ٢٨ - سُبَيْع بن حاطب بن الحارث بن قيس .
- ٢٩ - عمرو بن قيس .
- ٣٠ - وابنه : قيس بن عمرو بن قيس .
- ٣١ - ثابت بن عمرو بن زيد .
- ٣٢ - عامر بن مخلد .
- ٣٣ - أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك .
- ٣٤ - عمرو بن مطرف بن علقمة بن عمرو .
- ٣٥ - أوس بن ثابت بن المنذر .
- ٣٦ - أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب (عم أنس بن مالك ، خادم رسول الله ﷺ) .
- ٣٧ - قيس بن مخلد ، من بني مازن بن النجار .
- ٣٨ - كيسان ، من بني مازن بن النجار ، عبد لهم ،
- ٣٩ - سُلَيْم بن الحارث . من بني دينار بن النجار .
- ٤٠ - نعمان بن عبد عمرو .
- ٤١ - خارجة بن زيد بن أبي زهير .

- ٤٢ - سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير .
- ٤٣ - أوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان .
- ٤٤ - مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر (أبو أبي سعيد الخدري ^(١)) .
- ٤٥ - سعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبحر ^(٢) .
- ٤٦ - عتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد .
- ٤٧ - ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة .
- ٤٨ - ثقف بن فروة بن البدي .
- ٤٩ - عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش .
- ٥٠ - ضمرة ، حليف لبني طريف ، رهط سعد بن عبادة .
- ٥١ - نوفل بن عبد الله .
- ٥٢ - عباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان .
- ٥٣ - نعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غم بن سالم .
- ٥٤ - المجذر بن زياد البلوي .
- ٥٥ - عبادة بن الحساس .

(١) اسم أبي سعيد الخدري : سنان ، ويقال : سعد .

(٢) البَجَر : خروج السَّرة وغلظ أصلها ، قال ابن سيده : البَجَرَة : السَّرة من الإنسان والبعير عظمت أو لم تعظم ، وبَجَرَ بَجْراً فهو أَبَجَر إذا غلظ أصل سُرته ، وقيل : الأبحر : الذي خرجت سُرته ، لسان العرب ، ج ٤ ص ٣٩ .

٥٦ - رفاعة بن عمرو .

٥٧ - عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام .

٥٨ - عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام .

٥٩ - خلاد بن عمرو بن الجموح .

٦٠ - أبو أيمن ، مولى عمرو بن الجموح .

٦١ - سليم بن عمرو بن حديدة .

٦٢ - ومولاه « غنطرة » .

٦٣ - سهل بن قيس بن أبي كعب بن القين .

٦٤ - ذكوان بن عبد قيس .

٦٥ - عبيد بن المعلّى بن لوزان .

٦٦ - مالك بن نيلة المزني .

٦٧ - الحارث بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة .

٦٨ - إياس الخزرجي ، من بني سواد بن مالك بن مالك .

٦٩ - إياس بن عدي ، من بني عمرو بن مالك بن النجار .

٧٠ - عمرو بن إياس ، من بني سالم بن عوف .

☆ أخبر عليه الصلاة والسلام عن شهداء أحد أن من زارهم وسلّم

عليهم إلى يوم القيامة ردّوا عليه السّلام . وكان ﷺ يأتي قبورهم على

رأس كل حول فيقول : سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عُقبى الدار .

☆ ☆ ☆

وَقَتْلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أَحُدٍ :

- ١ - طلحة بن أبي طلحة .
- ٢ - أبو سعيد بن أبي طلحة .
- ٣ - عثمان بن أبي طلحة .
- ٤ - مسافع بن طلحة .
- ٥ - الجلاس بن طلحة .
- ٦ - كلاب بن طلحة .
- ٧ - الحارث بن طلحة .
- ٨ - أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف .
- ٩ - أبو زيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف .
- ١٠ - صؤاب غلام أبي زيد بن عمير .
- ١١ - القاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف .
- ١٢ - عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد .
- ١٣ - أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي .
- ١٤ - سباع بن عبد العزى .
- ١٥ - هشام بن أبي أمية بن المغيرة .
- ١٦ - الوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة .
- ١٧ - أبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة .

١٨ - خالد بن الأعم .

١٩ - عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح « أبو
عزة الشاعر » .

٢٠ - أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح .

٢١ - عبدة بن جابر .

٢٢ - شيبه بن مالك بن المضرب .

اثنان وعشرون رجلاً ، وردت أسماؤهم في قتلى أحد من
المشركين .



المحتوى

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| ☆ تصدير | ٧ |
| ☆ أسباب أحد : | ١٣ |
| - أحد | ١٩ |
| ☆ الموقف في المدينة المنورة : | ٢٢ |
| - انخزال المنافقين | ٢٦ |
| - مربع المنافق | ٢٨ |
| ☆ المسلمون بأحد | ٣٢ |
| ☆ غزوة أحد : أبو دجّانة | ٤١ |
| - أبو عامر الفاسق | ٤٢ |
| - أبو سفيان وامراته يحرضان قريشاً | ٤٥ |
| - الزبير بن العوام وأبو دجّانة | ٥٠ |
| - استشهاد حمزة رضي الله عنه | ٥٢ |
| - استشهاد مصعب بن عمير | ٥٨ |
| - حنظلة غسيل الملائكة | ٦٠ |
| ☆ عند فقد المبادأة يستحيل تحقيق النصر : | ٦٤ |
| - الزبير بن العوام يذكر سبب الهزيمة | ٦٥ |

- ☆ إن لحظة واحدة يمكنها أن تحدد مصير المعركة ٧١
- ماأصاب الرسول يوم أحد ٧١
- من بطولات الصحابة في أحد ٧٥
- مقتل أبي بن خلف ٨٣
- مقتل اليان وابن وقش ٨٦
- مقتل قرمان منافقاً ٨٧
- مقتل مخيريق ٨٩
- الأصيرم : عمرو بن ثابت بن وقش ٨٩
- عمرو بن الجموح ٩٠
- هند تمثل بحمزة ٩١
- لماذا لم يهاجم أبو سفيان المدينة ؟ ٩٤
- ☆ بعد أحد ٩٦
- سعد بن الربيع ٩٦
- سيد الشهداء حمزة ٩٨
- ماورد في شهداء أحد ١٠٣
- العودة إلى المدينة المنورة ١٠٦
- غسل السيوف ١٠٩
- ☆ غزوة حمراء الأسد ١١٠
- سبب حمراء الأسد ١١١
- معبد بن أبي معبد الخزاعي ١١٢
- أبو عزة الجمحي (الشاعر) ١١٤

- ☆ ما أنزل الله في أحد من القرآن الكريم ١٢٠
- ☆ خاتمة « نتائج أحد » ١٢٦
- ☆ شهداء أحد ١٣٥
- ☆ قتلى المشركين يوم أحد ١٤٠

☆ ☆ ☆

- الصور والمصورات
- جبل أحد ٢١
- الطريق إلى أحد ٣١
- تعبئة المعركة ٤٠
- الالتفاف ٧٠